رسائل في العقيدة

تأليف

محمد بن إبراهيم الحمد

دار ابن خزيمة

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمد، محمد بن إبراهيم

رسائل في العقيدة ــ الرياض

٥٢٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم .

ردمك ×ـ٤٦ـ٨٧٤ـ٩٩٦٠

١ ــ العقيدة الإسلامية أ ــ العنوان

ديوي ٢٤٠ ٢٢/٤٦٩٩

رقم الإيداع: ٢٢/٤٦٩٩

ردمك: ×ـ٤٦ـ٨٧٤ـ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م

دار ابن خزيمة

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ـ الرياض

الملز ـ شارع الاحساء ـ غرب حديقة الحيوان

هاتف: ٤٧٣٠٧٨٨ ـ ٤٧٦٩٩٣٢ ـ فاكس: ٤٧٦٠٧٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً ـ.

أما بعد:

فإن علم العقيدة أشرف العلوم، وأجلها قدراً، وإن العلم بالعقيدة والدعوة إليها لأهم المهمات، وأوجب الواجبات.

فلا صلاح، ولا عز، ولا فلاح للأفراد والجماعات إلا بفهم العقيدة الصحيحة، وتحقيقها.

ولا شقاء، ولا ذلة، ولا خسارة إلا بالتفريط بها، والتقصير في حقوقها.

ولا أدل على ذلك من حال الأمة الإسلامية في ماضيها وحاضرها؛ فلما كانت متمسكة بدينها، محققة لتوحيد ربها ـ عز شأنُها، وهِيْبَ جنابها، وعلت بين الأمم رايتها.

ولما رقَّ دينها، وخفَّ وزنُ العقيدة في نفوس أهلها ـ هبطت من عليائها، وهوت من شامخ عزها، فلقيت صغاراً بعد شمم، وخمولاً بعد نباهة، وجهلاً بعد علم، وبطالة بعد نشاط.

وإن مما يعين على فهم العقيدة أن تبين معالمها، وأن تنشر محاسنها، وأن يقرب للناس فهمها.

ولقد يسر الله أن كتبتُ بعض الرسائل في العقيدة، وإخراجها مفردة كل واحدة منها على حدة.

ثم بعد أن خرجت تلك الرسائل أُشير عليَّ كثيراً أن تجمع؛ فكان أن نُقِّحت، وجُمعت في كتاب واحد حوى عدداً من الرسائل، ثم أعيد طبعه مرة ثانية، ونقِّح وزِيد فيه عدد من الرسائل، فجاء في هذا الكتاب الذي اشتمل على الرسائل التالية:

١- ختصر عقيدة أهل السنة والجماعة؛ المفهوم والخصائص.

٢- الإيمان بالله.

٣- لا إله إلا الله.

معناها ـ أركانها ـ فضائلها ـ شروطها

٤- توحيد الربوبية.

٥- توحيد الألوهية.

٦- توحيد الأسماء والصفات.

٧- الإيمان بالكتب.

٨- الطريق إلى الإسلام.

٩- كلمات في المحبة والخوف والرجاء.

١٠- الطيرة.

١١- نبذة مختصرة عن الشفاعة، والشرك، والرقية، والتمائم، والتبرك.

وبهذا يكون مجموع الرسائل إحدى عشرة رسالة؛ فأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

محمد بن إبراهيم الحمد

الزلفي ٦/٩/١٤٢٢هـ

ص.ب ٤٦٠

الرمز البريدي ١١٩٣٢



الرسالة الأولى

مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة

المفهوم والخصائص



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فلقد يسر الله أن كتبت كتاباً بعنوان:

«عقيدة أهل السنة والجماعة مفهومها ـ خصائصها ـ خصائص أهلها»

وقد حظي ذلك الكتاب بتقريظ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز ـ رحمه الله ـ.

وقد جاء ذلك الكتاب في مجلد، وطبع عدة مرات، ولقي قبولاً ولله الحمد.

ولهذا رأت بعض الجهات الخيرية اختصار ذلك الكتاب؛ ليتسنى طبعه، وتوزيعه على نطاق أكبر؛ فكان أن اختصر في هذه الرسالة التي جاءت حاملة العنوان التالي:

«مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة: المفهوم والخصائص»

وقد حذف من هذه الرسالة أكثر الحواشي والهوامش، والتفصيلات؛ فمن أراد الاستزادة فليراجع الأصل، والله المستعان وعليه التكلان.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

مقدمة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز لأصل الكتاب

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد وآله وصحبه أما بعد:

فقد اطلعت على ما كتبه أخونا الكريم صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، وما خصهم الله به من العلم النافع والعمل الصالح والخصال الحميدة، والأخلاق الكريمة، وقد سماه: «عقيدة أهل السنة والجماعة مفهومها ـ خصائصها ـ خصائص أهلها» فألفيته كتاباً قيماً ومفيداً وموضحاً لعقيدة أهل السنة والجماعة وأخلاقهم؛ فجزاه الله خيراً وضاعف مثوبته وزادنا وإياه من العلم النافع والعمل الصالح.

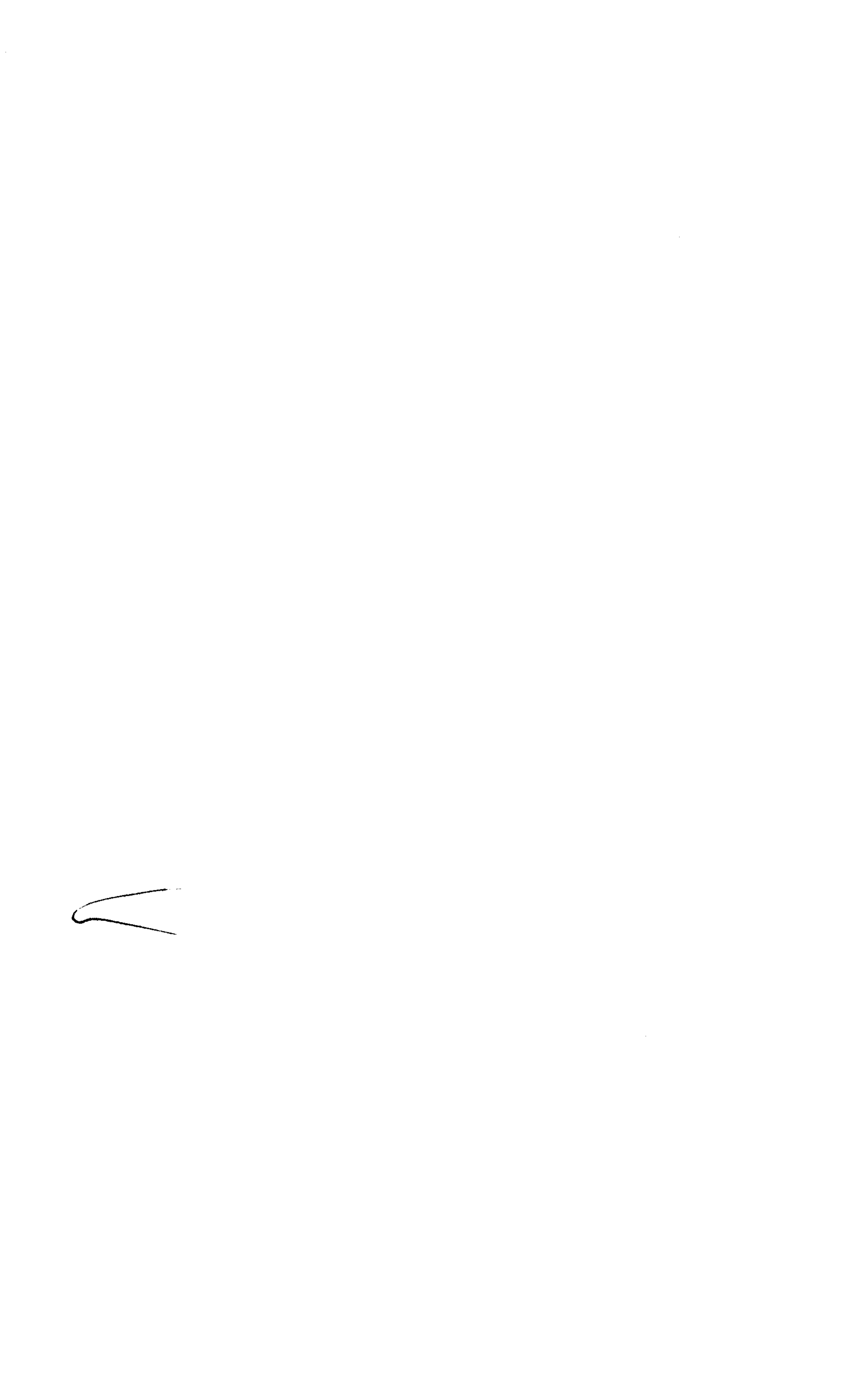
وإني أنصح كل من اطلع عليه بقراءته والاستفادة منه لعظم فائدته وشرحه لأحوال أهل السنة.

والله المسؤول أن يوفقنا وجميع المسلمين للعمل النافع والعمل الصالح وأن يصلح ولاة أمر المسلمين، ويمنحهم الفقه في الدين، وأن يعيذ الجميع من مضلات الفتن؛ إنه سمع قريب وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه. حرر في ٩/ ١١/ ١٤١٥هـ

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

مفتي عام المملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء



مفهوم العقيدة الإسلامية

١- تعريف العقيدة في الاصطلاح العام: هي الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك، وهي ما يؤمن به الإنسان، ويعقد عليه ضميره، ويتخذه مذهباً وديناً، بغضّ النظر عن صحته من عدمها.

٢- العقيدة الإسلامية: هي الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة من أصول الدين، وأموره، وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله ـ تعالى ـ في الحكم، والأمر، والقدر، والشرع، ولرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالطاعة والتحكيم والاتباع.

٣- موضوعات علم العقيدة: العقيدة ـ بمفهوم أهل السنة والجماعة ـ اسم عَلَم على العِلْم الذي يُدرس ويتَناول جوانب التوحيد، والإيمان، والإسلام، وأمور الغيب، والنبوات، والقدر، والأخبار، وأصول الأحكام القطعية، وما أجمع عليه السلف الصالح من أمور العقيدة، كالولاء والبراء، والواجب تجاه الصحابة، وأمهات المؤمنين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ.

ويدخل في ذلك الرد على الكفار، والمبتدعة، وأهل الأهواء، وسائر الملل والنحل، والمذاهب الهدامة، والفرق الضالة، والموقف منهم، إلى غير ذلك من مباحث العقيدة.

٤- أسماء علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة:

١- العقيدة والاعتقاد، والعقائد.

٢- التوحيد. ٣- السنة.

٤- الشريعة. ٥- الإيمان.

٦- أصول الدين، أو أصول الديانة.

٥- أهل السنة والجماعة: هم من كان على مثل ما كان عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه، وهم المتمسكون بسنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم الصحابة، والتابعون، وأئمة الهدى المتبعون لهم، وهم الذين استقاموا على الاتباع، وجانبوا الابتداع في أي مكان وزمان، وهم باقون منصورون إلى يوم القيامة.

وسموا بذلك لانتسابهم لسنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ واجتماعهم على الأخذ بها ظاهراً وباطناً، في القول، والعمل، والاعتقاد.

٦- أسماء أخرى لأهل السنة والجماعة: لأهل السنة والجماعة أسماء أخرى يعرفون بها، منها:

١- أهل السنة والجماعة. ٢- أهل السنة.

٣- أهل الجماعة. ٤- الجماعـة.

٥- السلف الصالح. ٦- أهل الأثر.

٧- أهل الحديث. ٨- الفرقة الناجية.

٩- الطائفة المنصورة. ١٠- أهل الاتباع.

خصائص العقيدة الإسلامية
عقيدة أهل السنة والجماعة

للعقيدة الإسلامية ـ عقيدة أهل السنة والجماعة ـ خصائص عديدة، لا توجد في أي عقيدة أخرى، ولا غرو في ذلك؛ إذ إن تلك العقيدة تُستَمد من الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومن تلك الخصائص مايلي:

١- سلامة مصدر التلقي: وذلك باعتمادها على الكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح، فهي مستقاة من ذلك النبع الصافي، بعيداً عن كدر الأهواء والشبهات.

وهذه الخصيصة لا توجد في شتى المذاهب والملل والنحل غير العقيدة الإسلامية ـ عقيدة أهل السنة والجماعة ـ.

٢- أنها تقوم على التسليم لله ـ تعالى ـ ولرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: وذلك لأنها غيب، والغيب يقوم على التسليم.

فالتسليم بالغيب من أعظم صفات المؤمنين التي مدحهم الله بها، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ [البقرة: ٢، ٣].

ذلك أن العقول لا تدرك الغيب، ولا تستقل بمعرفة الشرائع؛ لعجزها وقصورها؛ فكما أن سمع الإنسان قاصر، وبصره كليل، وقوَّته محدودة ـ فكذلك عقله، فَتَعَيَّن الإيمان بالغيب والتسليم لله ـ عز وجل ـ.

٣- موافقتها للفطرة القويمة، والعقل السليم: فعقيدة أهل السنة والجماعة ملائمة للفطرة السليمة، موافقة للعقل الصريح، الخالي من الشهوات والشبهات.

٤- اتصال سندها بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتابعين وأئمة الدين قولاً، وعملاً، واعتقاداً: وهذه الخصيصة قد اعترف بها كثير من خصومها؛ فلا يوجد ـ بحمد الله ـ أصل من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ ليس له أصل أو مستند من الكتاب والسنة، أو عن السلف الصالح، بخلاف العقائد الأخرى المبتدعة.

٥- الوضوح والسهولة والبيان: فهي عقيدة سهلة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، فلا لبس فيها، ولا غموض، ولا تعقيد؛ فألفاظها واضحة، ومعانيها بينة، يفهمها العالم والعامي، والصغير والكبير، فهي تستمد من الكتاب والسنة، وأدلة الكتاب والسنة كالغذاء ينتفع به كل إنسان، بل كالماء الذي ينتفع به الرضيع، والصبي، والقوي، والضعيف.

٦- السلامة من الاضطراب والتناقض واللبس: فلا مكان فيها لشيء من ذلك مطلقاً، كيف لا وهي وحي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟

فالحق لا يضطرب، ولا يتناقض، ولا يلتبس.

بل يشبه بعضه بعضاً، ويصدق بعضه بعضاً **﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾** [النساء: ٨٢].

٧- أنها قد تأتي بالمحار، ولكن لا تأتي بالمحـال: ففي العقيدة الإسلامية ما يبهر العقول، وما قد تحار فيه الأفهام، كسائر أمور الغيب؛ من عذاب القبر ونعيمه، والصراط، والحوض، والجنة والنار، وكيفية صفات الله ـ عز وجل ـ.

فالعقول تحار في فهم حقيقة هذه الأمور، وكيفياتها، ولكنها لا تحيلها بل تسلِّم لذلك، وتنقاد، وتذعن؛ لأن ذلك صدر عن الوحي المنزل، الذي لا ينطق عن الهوى.

٨- العموم والشمول والصلاح: فهي عامة، شاملة، صالحة لكل زمان ومكان، وحال، وأمة.

بل إن الحياة لا تستقيم إلا بها.

٩- الثبات والاستقرار والخلود: فهي عقيدة ثابتة، مستقرة خالدة، فلقد ثبتت أمام الضربات المتوالية التي يقوم بها أعداء الإسلام؛ من اليهود، والنصارى، والمجوس، وغيرهم.

فما إن يعتقد هؤلاء أن عظمها قد وهن، وأن جذوتها قد خبت، ونارها قد انطفأت، حتى تعود جذعة ناصعة نقية؛ فهي ثابتة إلى قيام الساعة، محفوظة بحفظ الله ـ تعالى ـ تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل؛ ورعيلاً بعد رعيل، لم يتطرق إليها التحريف، أو الزيادة، أو النقصان، أو التبديل.

كيف لا والله ـ عز وجل ـ هو الذي تكفل بحفظها، وبقائها ولم يكل ذلك إلى أحد من خلقه؟.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

١٠- أنها سبب للنصر والظهور والتمكين: فذلك لا يكون إلا لأهل العقيدة الصحيحة، فهم الظاهرون، وهم الناجون، وهم المنصورون كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»[1].

فمن أخذ بتلك العقيدة أعزه الله، ومن تركها خذله الله.

وقد عَلِم ذلك كلٌّ من قرأ التاريخ، فمتى حاد المسلمون عن دينهم ـ حاق بهم ما حاق، كما حدث لهم في الأندلس وغيرها.

١١- أنها ترفع قدر أهلها: فمن اعتقدها، وزاد علماً بها، وعملاً بمقتضاها، ودعوة للناس إليها ـ أعلا الله قدره، ورفع له ذكره، ونشر بين الناس فضله، فرداً كان أو جماعة؛ ذلك أن العقيدة الصحيحة هي أفضل ما اكتسبته القلوب، وخير ما أدركته العقول؛ فهي تثمر المعارف النافعة، والأخلاق العالية.

١٢- السلامة والنجاة: فالسنة سفينة النجاة، فمن تمسك بها سلم ونجا، ومن تركها غرق وهلك.

١٣- العقيدة الإسلامية عقيدة الألفة والاجتماع: فما اتحد المسلمون، وما اجتمعت كلمتهم في مختلف الأعصار والأمصار ـ إلا بتمسكهم بعقيدتهم، وأخذهم بها، وما تفرقوا واختلفوا إلا لبعدهم عنها.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ٣/ ١٥٢٤.

١٤- التميــز: فهي عقيدة متميزة، وأهلها متميزون، فطريقتهم مستقيمة، وأهدافهم محددة.

١٥- أنها تحمي معتنقيها من التخبط والفوضى والضياع: فالمنهج واحد، والمبدأ واضح ثابت لا يتغير، فيسلم معتنقها من اتباع الهوى، ويسلم من التخبط في توزيع الولاء والبراء، والمحبة والبغضاء، بل تعطيه معياراً دقيقاً لا يخطىء أبداً، فيسلم من التشتت والتشرد والضياع، فيعرف من يوالي، ويعرف من يعادي، ويعرف ما له وما عليه.

١٦- أنها تمنح معتنقيها الراحة النفسية والفكريـة: فلا قلق في النفس، ولا اضطراب في الفكر؛ لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه ـ عز وجل ـ فيرضى به رباً مدبراً، وحاكماً مشرعاً، فيطمئن قلبه بقدره، وينشرح صدره لحكمه، ويستنير فكره بمعرفته.

١٧- سلامة القصد والعمل: بحيث يَسْلَمُ معتنقها من الانحراف في عبادة الله ـ عز وجل ـ فلا يعبد غير الله، ولا يرجو سواه.

١٨- تؤثر في السلوك والأخلاق والمعاملة: فهي تأمر أهلها بكل خير، وتنهاهم عن كل شر، فتأمرهم بالعدل والاعتدال، وتنهاهم عن الظلم والانحراف.

١٩- تدفع معتنقيها إلى الحزم والجد في الأمور.

٢٠- تبعث في نفس المؤمن تعظيم الكتاب والسنـة: لأنه يعلم أن الكتاب والسنة حق وصواب، وهدى ورحمة؛ فينبعث بذلك إلى تعظيمهما، والأخذ بهما.

٢١- تَكَفُّل لمعتنقيها الحياة الكريمة: ففي ظل العقيدة الإسلامية يتحقق الأمن والحياة الكريمة؛ ذلك أنها تقوم على الإيمان بالله، ووجوب إفراده بالعبادة دون من سواه، وذلك ـ بلا شك ـ سبب الأمن والخير والسعادة في الدارين؛ فالأمن قرين الإيمان، وإذا فقد الإيمان فقد الأمن، قال ـ تعالى ـ: ﴿الذينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبسُوا إيمَانَهُم بظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢)﴾ [الأنعام: ٨٢].

فأهل التقوى والإيمان لهم الأمن التام، والاهتداء التام في العاجل والآجل، وأهل الشرك والمعصية هم أهل الخوف وأولى الناس به، فهم مهددون بالعقوبات والنقمات في سائر الأوقات.

٢٢- تجمع بين مطالب الروح، والقلب، والجسد.

٢٣- تعترف بالعقل وتحدد مجاله: فالعقيدة الإسلامية تحترم العقل السوي، وترفع من شأنه، ولا تحجر عليه، ولا تنكر نشاطه، والإسلام لا يرضى من المسلم أن يطفىء نور عقله، ويركن إلى التقليد الأعمى في مسائل الاعتقاد وغيرها.

٢٤- تعترف بالعواطف الإنسانية، وتوجهها الوجهة الصحيحة: فالعواطف أمر غريزي، ولا يتجرد منه أي إنسان سوي، والعقيدة الإسلامية ليست عقيدة هامدة جامدة، بل هي عقيدة حـيَّة، تعترف بالعواطف الإنسانية، وتقدرها حق قدرها، وفي الوقت نفسه لا تطلق العنان لها، بل تُقوِّمها، وتسمو بها، وتوجهها الوجهة الصحيحة، التي تجعل منها أداة خير وتعمير، بدلاً من أن تكون معولَ هدمٍ وتدمير.

٢٥- العقيدة الإسلامية كفيلة بحل جميع المشكلات: سواء مشكلات الفرقة والشتات، أو مشكلات السياسة والاقتصاد، أو مشكلات الجهل والمرض والفقر، أو غير ذلك.

فلقد جمع الله بها القلوب المشتتة، والأهواء المتفرقة، وأغنى بها المسلمين بعد العَيْلَة، وعلّمهم بها بعد الجهل، وبصّرهم بعد العمى، وأطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف.



خصائص أهل السنة والجماعة

كما أن لعقيدة أهل السنة والجماعة ميزات تمتاز بها عن غيرها من العقائد ـ فكذلك لأهل السنة خصائص وميزات يمتازون بها عن غيرهم من أهل الملل والنحل، ويجدر بكل من انتسب إليهم أن يأخذ بها، ويأطر نفسه عليها، حتى ينال ما نالوه من خير وفضل.

فمن تلك الخصائص التي تميز بها أهل السنة والجماعة ما يلي:

١- الاقتصار في التلقي على الكتاب والسنة: فهم ينهلون من هذا المنهل العذب عقائدَهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وسلوكَهم، وأخلاقهم، فكل ما وافق الكتاب والسنة قبلوه وأثبتوه، وكل ما خالفهما ردوه على قائله كائناً من كان.

٢- التسليم لنصوص الشرع، وفهمها على مقتضى منهج السلف: فهم يسلِّمون لنصوص الشرع، سواء فهموا الحكمة منها أم لا، ولا يعرضون النصوص على عقولهم، بل يعرضون عقولهم على النصوص، ويفهمونها كما فهمها السلف الصالح.

٣- الاتباع وترك الابتداع: فهم لا يقدمون بين يدي الله ورسوله، ولا يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يرضون لأحد كائناً من كان أن يرفع صوته فوق صوت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

بخلاف المبتدعة الضالين، الذين ابتدعوا في الدين، مستدركين على وحي رب العالمين، ألا ساء ما يعملون.

٤- الاهتمام بالكتاب والسنة: فهم يهتمون بالقرآن حفظاً وتلاوة، وتفسيراً، وبالحديث دراية ورواية.

بخلاف غيرهم من المبتدعة الذي يهتمون بكلام شيوخهم أكثر من اهتمامهم بالكتاب والسنة.

٥- احتجاجهم بالسنة الصحيحة وترك التفريق بين المتواتر والآحاد: سواء في الأحكام أو العقائد، فهم يرون حجية الحديث إذا صح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولو كان آحاداً.

٦- ليس لهم إمام معظم يأخذون كلامه كله، ويدعون ما خالفه إلا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أما غير الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنهم يعرضون كلامه على الكتاب والسنة، فما وافقهما قُبِل، وما لا فلا، فهم يعتقدون أن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

أما غيرهم من الفرق الأخرى، ومن متعصبة المذاهب ـ فإنهم يأخذون كلام أئمتهم كله حتى ولو خالف الدليل.

٧- هم أعلم الناس بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: فهم يعلمون هديه، وأعماله، وأقواله، وتقريراته؛ لذلك فهم أشد الناس حباً له، واتباعاً لسنته.

بخلاف غيرهم من أهل البدع الذي يعرفون عن أئمتهم ما لا يعرفونه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

٨- الدخول في الدين كله: فهم يدخلون في الدين كله، ويؤمنون بالكتاب كله؛ امتثالاً لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾ [البقرة: ٢٠٨].

بخلاف الذين فرقوا دينهم، وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

وبخلاف الذين نسوا حظاً مما ذكروا به، والذين جعلوا القرآن عضين؛ فآمنوا ببعض الكتاب، وكفروا ببعض.

٩- تعظيم السلف الصالح: فأهل السنة يعظمون السلف الصالح، ويقتدون بهم، ويهتدون بهديهم، ويرون أن طريقتهم هي الأسلم، والأعلم، والأحكم.

١٠- الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة، ورد المتشابه إلى المحكم: فهم يجمعون بين النصوص الشرعية في المسألة الواحدة، ويردون المتشابه إلى المحكم؛ حتى يصلوا إلى الحق في المسألة.

١١- الجمع بين العلم والعبادة: بخلاف غيرهم، فإما أن يشتغل بالعبادة عن العلم، أو بالعلم عن العبادة، أما أهل السنة والجماعة فيجمعون بين الأمرين.

١٢- الجمع بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب: فه لا ينكرون الأسباب، ولا تأثيرها إذا ثبتت شرعاً أو قدراً، ولا يَدَّعُون الأخذ

بالأسباب، وفي الوقت نفسه لا يلتفتون إليها.

ولا يرون أن هناك تنافياً بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب؛ لأن نصوص الشرع حافلة بالأمر بالتوكل على الله، والأخذ بالأسباب المشروعة أو المباحة في مختلف شؤون الحياة، فقد أمرت بالعمل، والسعي في طلب الرزق، والتزود للأسفار، واتخاذ العدد في مواجهة العدو.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠]. وقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥]. وقال: ـ تعالى ـ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان**»(١).

١٣- الجمع بين التوسع في الدنيا والزهد بها: فأهل السنة والجماعة لا ينكرون على من يتوسع في الدنيا، ويسعى في كسب الرزق، بل يرون أنه ينبغي للإنسان أن يكفي نفسه ومن يعول، ويستغني عن الناس، ويقطع الطمع مما في أيديهم، على ألا تكون الدنيا أكبر همه، ولا مبلغ علمه، وعلى ألا يكتسب المال من غير حله، كما لا

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

يعيبون على من آثر الكفاف، ورضي بالقليل من متاع الدنيا، لأنهم يرون أن الزهد إنما هو زهد القلب، وهو أن يترك الإنسان ما لا ينفع في الآخرة.

أما إذا توسع العبد في الدنيا، وجعلها في يده لا في قلبه، يرفد بها الإخوان، ويتصدق على الفقراء والمساكين، ويعين بها على نوائب الحق ـ فذلك من فضل الله الذي يؤتيه من يشاء.

كما هو حال الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبدالرحمن ابن عوف، وغيرهم من أثرياء الصحابة من المهاجرين والأنصار ـ رضي الله عنهم ـ.

وكحال ابن المبارك ـ رحمه الله ـ فلقد كان من أغنى أهل زمانه، وهو في الوقت نفسه من أزهدهم إن لم يكن أزهدهم.

١٤- الجمع بين الخوف والرجاء والحب: فأهل السنة والجماعة يجمعون بين هذه الأمور، ويرون أنه لا تنافي ولا تعارض بينها.

قال ـ سبحانه وتعالى ـ في وصف عباده الأنبياء والمرسلين: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال في معرض الثناء على سائر عباده المؤمنين: ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [السجدة: ١٦].

وهناك مقولة مشهورة عند السلف، وهي قولهم: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف فهو حروري[١]، ومن

(١) نسبة إلى حروراء مدينة في العراق وهي موطن الخوارج الأوائل.

عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء، ومن عبده بالخوف، والحب، والرجاء فهو مؤمن موحِّد».

١٥- الجمع بين الرحمة واللين والشدة والغلظة: بخلاف غيرهم ممن يأخذ جانباً من هدي السلف ويدع الجانب الآخر، فيأخذون بالشدة في جميع أحوالهم أو باللين في جميع أحوالهم.

أما أهل السنة فيجمعون بين هذا وهذا، وكل في موضعه، حسب ما تقتضيه المصلحة، ومقتضيات الأحوال.

١٦- الجمع بين العقل والعاطفة: فعقولهم راجحة، وعواطفهم صادقة، ومعاييرهم منضبطة، فلم يغلِّبوا جانب العقل على العاطفة، ولا جانب العاطفة على العقل، وإنما جمعوا بينهما على أكمل وجه وأتمه، فمع أن عواطفهم قوية مشبوبة ـ إلا أن تلك العواطف تضبط بالعقل، وذلك العقل يضبط بالشرع.

﴿ **نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ** ﴾ [النور: ٣٥]..

١٧- العـدل: فالعدل من أعظم المميزات لأهل السنة والجماعة، فهم أعدل الناس، وأولاهم بامتثال قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ** ﴾ [النساء: ١٣٥].

وقوله: ﴿ **وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ** ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

حتى إن الطوائف الأخرى إذا تنازعت احتكمت إلى أهل السنة.

١٨- الأمانة العلمية: فالأمانة زينة العلم، وروحه الذي يجعله

زاكي الثمر، لذيذ المطعم، وأهل السنة لهم القِدحُ المعلى في ذلك الشأن.

ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم ـ الأمانة في النقل، والبعد عن التزوير، وقلب الحقائق، وبتر النصوص، وتحريفها، فإذا نقلوا عن مخالف لهم نقلوا كلامه تامّاً، فلا يأخذون منه ما يوافق ما يذهبون إليه، ويدعون ما سواه؛ كي يدينوا المنقول عنه، وإنما ينقلون كلامه تامّاً، فإن كان حقاً أقرّوه، وإن كان باطلاً ردّوه، وإن كان فيه وفيه، قبلوا الحق وردّوا الباطل، كل ذلك بالدليل القاطع، والبرهان الساطع.

ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم أنهم لا يحمّلون الكلام ما لا يحتمل، وأنهم يذكرون ما لهم وما عليهم، وأنهم يرجعون للحق إذا تبيّن، ولا يفتون ولا يقضون إلا بما يعلمون.

كما أنهم أحرص الناس على نسبة الكلام إلى قائله، وأبعدهم من نسبته إلى غير قائله.

١٩- الوسطية: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

فالوسطية من أعظم ما يتميز به أهل السنة والجماعة.

فكما أن أمة الإسلام وسط بين الأمم التي تجنح إلى الغلو الضار، والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك ـ فكذلك أهل السنة والجماعة؛ فهم متوسطون بين فرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم.

وتتجلى وسطية أهل السنة والجماعة في شتى الأمور؛ سواء في باب العقيدة، أو الأحكام، أو السلوك، أو الأخلاق، أو غير ذلك.

٢٠- عدم الاختلاف في أصول الاعتقاد: فالسلف الصالح لا يختلفون ـ بحمد الله ـ في أصل من أصول الدين، وقواعد الاعتقاد؛ فقولهم في أسماء الله وصفاته وأفعاله واحد، وقولهم في الإيمان وتعريفه ومسائله واحد، وقولهم في القدر واحد، وهكذا في باقي الأصول.

٢١- ترك الخصومات في الدين، ومجانبة أهل الخصومات: لأن الخصومات مدعاةٌ للفرقة والفتنة، ومجلبـةٌ للتعصب واتباع الهوى، ومطيةٌ للانتصار للنفس، والتشفي من الآخرين، وذريعة للقول على الله بغير علم.

أخرج الآجري بسنده عن مسلم بن يسار أنه قال: «إياكم والمراءَ؛ فإنه ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته».

وأخرج أن عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل».

وقال جعفر بن محمد ـ رحمه الله ـ: «إياكم والخصومات؛ فإنه تشغل القلب وتورث النفاق».

٢٢- الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق: فهم حريصون كل الحرص على وحدة المسلمين، ولمِّ شعثهم، وجمع كلمتهم على الحق، وإزالة أسباب النزاع والفرقة بينهم؛ لعلمهم أن الاجتماع رحمة، وأن الفرقة عذاب؛ ولأن الله ـ عز وجل ـ أمر بالائتلاف، ونهى عن

الاختلاف كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران: ١٠٢, ١٠٣].

بخلاف الذين يسعون للفرقة بين المسلمين، ويبذرون بذور الشقاق في صفوفهم، فيفرقونهم عند أدنى نازلة، ويحزبونهم ويؤلبون بعضهم على بعض، ويُغرون بعضهم ببعض.

٢٣- سعة الأفق: فهم أوسع الناس أفقاً، وأبعدهم نظراً، وأرحبهم بالخلاف صدراً، وأكثرهم للمعاذير التماساً.

وهم لا يأنفون من سماع الحق، ولا تحرج صدورهم من قبوله، ولا يستنكفون من الرجوع إليه، والأخذ به.

ثم إنهم لا يُلزمون الناس باجتهاداتهم، ولا يضللون كل من خالفهم، ولا تضيق أعطانهم في الأمور الاجتهادية، التي تختلف فيها أفهام الناس.

ومن مظاهر سعة الأفق عندهم بعدهم عن التعصب المقيت، والتقليد الأعمى، والحزبية الضيقة.

٢٤- حسن الخلق: فأهل السنة أحسن الناس خلقاً، وأكثرهم حلماً وسماحة وتواضعاً، وأحرصهم دعوة إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال.

٢٥- هم أهل الدعوة إلى الله: فهم يدعون إلى دين الإسلام، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ويسلكون في ذلك

شتى الطرق المشروعة والمباحة؛ حتى يعرف الناس ربهم، ويعبدوه حق عبادته.

فلا أحد أحرص منهم على هداية الخلق، ولا أحد أرحم منهم بالناس.

٢٦- هم الغرباء: الذين يُصْلِحُونَ ما أفسد الناس، ويَصلُحون إذا فسد الناس.

٢٧- هم الفرقة الناجية: التي تنجو من البدع والضلالات في هذه الدنيا، وتنجو من عذاب الله يوم القيامة.

٢٨- وهم الطائفة المنصورة: لأن الله معهم، وهو مؤيدهم وناصرهم.

٢٩- لا يوالون ولا يعادون إلا على أساس الدين: فلا ينتصرون لأنفسهم، ولا يغضبون لها، ولا يوالون لِعُبِّيَّة جاهلية، أو عصبية مذهبية، أو راية حزبية، وإنما يوالون على الدين، فولاؤُهم لله، وبراؤهم لله، ومواقفهم ثابتة، لا تتبدل ولا تتغير.

٣٠- سلامتهم من تكفير بعضهم لبعض: فأهل السنة سالمون من ذلك، فهم يردون على المخالف منهم، ويوضحون الحق للناس، فهم يُخطِّئون، ولا يكفرون، ولا يبدعون، ولا يفسقون إلا من استحق ذلك.

بخلاف غيرهم من الطوائف الأخرى كالخوارج الذي يكثر فيهم الاختلاف والتضليل والتكفير؛ ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها.

٣١- سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: فقلوبهم عامرة بحبهم، وألسنتهم تلهج بالثناء عليهم، فأهل السنة يرون أن الصحابة خير القرون؛ لأن الله ـ عز وجل ـ زكاهم وكذلك رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

٣٢- سلامتهم من الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض: فأهل السنة والجماعة أكثر الناس رضاً ويقيناً، وطمأنينة، وإيماناً، وأبعدهم عن الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض.

حتى إنه ليوجد عند عوام أهل السنة من بَرْدِ اليقين، وحسن المعتقد، والبعد عن الحيرة ـ ما لا يوجد عند علماء الطوائف الأخرى، وحُذَّاقهم من أهل الكلام وغيرهم، ممن اضطربوا في تقرير عقائدهم فحاروا وحيروا، وتعبوا وأتعبوا.

ومما يدل على حيرتهم ما جاء على ألسنة حُذَّاق أهل الكلام الذي بلغوا الغاية فيه فلم يرجعوا بفائدة، ولم يعودوا بعائدة، فهذا الرازي أحد أكابر علم الكلام ينوح على نفسه ويبكي عليها قائلاً:

نهايةُ إقدام العقول عِقالُ ... وغاية سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وغايةُ دنيانا أذىً ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فزالوا والجبال جبال

ومنهم الشهرستاني الذي قال:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وقلَّبت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كفَّ حائرٍ ... على ذَقَنٍ أو قارعاً سنَّ نادم

ومن الذين خاضوا في علم الكلام وندموا على ذلك: الجويني، والغزالي، والخسروشاهي، وغيرهم.

هذا هو شأن من ضل من أهل الفرق الإسلامية.

أما الكفار الذين تنكبوا الصراط المستقيم من الملاحدة وغيرهم ـ فلا تسل عن بؤسهم وشقائهم فهم يعيشون أدنى دركات الشقاء والنكد، فلقد سلبوا الأمن، وشاعت فيهم الأمراض النفسية والعصبية، وكثر فيهم الرعب، وانتشر فيهم الانتحار والرغبة في التخلص من الحياة.

فها هو الفيلسوف الألماني المشهور «فريدريك نيتشه» بعد أن ألغى من فكره عقيدة الإيمان بالله، ها هو يعرب عن دخيلة نفسه، وما يعانيه من عذاب وشقاء فيقول: «إنني أعلم جيد العلم لماذا كان الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يضحك؛ لأنه هو الذي يعاني أشد العناء، فاضطره ذلك أن يخترع الضحك».

وهذا الفيلسوف الفرنسي الملحد الوجودي اليهودي «جان بول سارتر» عندما كفر بالله، واليوم الآخر أصبح ينظر إلى الحياة من منظوره الوجودي، فلا يرى الوجود كله إلا من دوائر القلق، والمتاعب، والغثيان، والآلام.

وكتب في ذلك جملة قصص ومسرحيات ضمنها آراءه الفلسفية الوجودية.

وحين حضره الموت سأله من كان عنده: تُرى إلى أين قادك مذهبك؟ فأجاب في أسىً عميقٍ ملؤه الندم: «إلى هزيمة كاملة».

أين هؤلاء من أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - إذ يقول: «أصبحت ومالي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر».

وأين هم من شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - عندما اقتيد إلى السجن فقال كلمته المشهورة «ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي لا تفارقني؛ أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة».

٣٣- التثبت في الأخبار، وعدم التسرع في إطلاق الأحكام: بخلاف الذين يسارعون في إطلاق الأحكام، ويتهافتون على إلصاق التهم بالأبرياء، فَيُفَسِّقُون، ويبدعون، ويكفرون بالتهمة والظنة، من غير ما برهان أو بينة.

٣٤- حصول البشرى عند الممات: وذلك لإيمانهم بالله، واستقامتهم على أمره، قال - تعالى -: ﴿**إِنَّ الذينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصلت: ٣٠].

٣٥- مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات: فمن أسباب مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات - بل هو أساسها وأصلها - صحةُ العقيدة، وقوة الإيمان.

وأهل السنة والجماعة أصح الناس عقيدةً، وأقواهم إيماناً؛ ولذلك فأعمالهم تضاعف مضاعفة كبيرة، ودرجاتهم ترفع وتعلو عُلواً لا يدانيه

أحد، ولا يشاركهم فيه إلا من كان على مثل ما هم عليه من العقيدة والإيمان.

ولهذا كان السلف يقولون: «أهل السنة والجماعة إن قعدت بهم أعمالهم ـ قامت بهم عقائدهم، وأهل البدع إن كثرت أعمالهم قعدت بهم عقائدهم».

هذه مآثر أهل السنة والجماعة، وهذه بعض خصائصهم التي تميزوا بها على غيرهم، وتلك هي الخصال التي طبقها سلفنا الصالح ـ رحمهم الله ورضي عنهم ـ فنالوا الخيرات، وحصلوا على البركات.

وليس معنى ذلك أن أهل السنة معصومون؟ لا، بل إن منهجهم هو المعصوم، وجماعتهم هي المعصومة.

أما آحادهم فقد يقع منه الظلم والبغي، والعدوان، وارتكاب المخالفات.

ولكن ذلك قليل بالنسبة إلى غيرهم، ولا يُقَرُّ من فعل ذلك منهم، بل يبتعد عن السنة بقدر مخالفته.

ثم إن ما عند أهل السنة من مخالفات وأخطاء فعند غيرهم أكثر مما عندهم، وما عند غيرهم من فضل وعلم وكمال فعند أهل السنة أكمله وأتمه.

فما أجدرنا ـ معاشر المسلمين ـ أن نأخذ بمنهج أهل السنة، وأن نوطن أنفسنا على ذلك، وما أحرانا ـ نحن أهل السنة ـ أن نقوم بالسنة حق القيام، وأن نقتدي بسلفنا الصالح في كل أمورنا؛ لنرضي ربنا ـ جل

وعلا - ولنعطي صورة مشرقة عن الإسلام الصحيح النقي؛ ليقبل الناس عليه، ويحرصوا على الدخول فيه، ولئلا نصبح فتنة لغيرنا من الكفار والمبتدعة، فإذا رأوا ما عليه بعض أهل السنة من بعد عن المنهج - قالوا: إذا كان خاصة المؤمنين بهذه المثابة فلا لوم علينا ولا تثريب، وبذلك تندرس معالم الحق، وتنطمس أنوار الهدى.

وأخيراً: نحمد الله أن جعلنا من أهل السنة، ونسأله أن يتم علينا النعمة والمنة، وأن يرزقنا لزوم السنة، والعمل بالسنة، وأن يتوفانا على السنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد واله وصحبه أجمعين.



الرسالة الثانية

الإيمان بالله



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً ـ.

أما بعد:

فإن علم العقيدة أشرف العلوم، وأجلها قدراً، وأهمها على الإطلاق.

وأشرف وأجل وأهم ما في هذا العلم مبحث الإيمان بالله ـ عز وجل ـ.

فالإيمان بالله أصل الأصول، وهو أول ركنٍ من أركان الإيمان الستة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**﴾ [البقرة: ١٧٧].

وكما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما سأله جبريل ـ عليه السلام ـ عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[1].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان رقم (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان رقم (٨).

والإيمان بالله ـ عز وجل ـ رأس كل فلاح، وأسُّ كل نجاح، فما أنزلت الكتب، ولا أرسلت الرسل إلا لأجل تقريره وتثبيته في النفوس.

وفيما يلي من صفحات سيكون الحديث عن الإيمان بالله وذلك من خلال المباحث التالية:

- معنى الإيمان بالله.
- ماذا يتضمن الإيمان بالله؟
- الأدلة على وحدانية الله.
- ثمرات الإيمان بالله.
- ما ضد الإيمان بالله؟
- معنى الإلحاد.
- أسباب الإلحاد.
- كيف دخل الإلحاد بلاد المسلمين؟
- الآثار المترتبة على الإلحاد.

فما كان في ذلك من صواب فذلك من الله وحده، وما كان فيه من زلل فمن نفسي والشيطان.

وأخيراً أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينفع بهذه السطور كاتبها، وناشرها، وقرّاءها؛ إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

معنى الإيمان بالله

للإيمان بالله وتوحيده عدة تعريفات، تتفق في المعنى وربما اختلفت ألفاظها، فمن تلك التعريفات مايلي:

١- هو إفراد الله بما يستحق.

٢- إفراد الله بحقوقه.

٣- «التصديق الجازم من صميم القلب بوجود ذاته ـ تعالى ـ الذي لم يسبق بضد، ولم يعقب به، هو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، حيٌّ قيوم، أحد صمد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣, ٤] وتوحيده بألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته»[1].

٤- «الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق وحده، المدبر للكون كله، وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وأن كل معبود سواه فهو باطل، وعبادته باطلة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج: ٦٢].

وأنه ـ سبحانه ـ متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال، منزه عن كل نقص وعيب.

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة للشيخ حافظ الحكمي. تحقيق: مصطفى أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي بجدة، ص٥٠.

وهذا هو التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات»[١].

ماذا يتضمن الإيمان بالله ؟

من خلال ما مضى يتبين أن الإيمان بالله يتضمن أموراً أربعة:

١- الإيمان بوجود الله.

٢- الإيمان بربوبيته.

٣- الإيمان بأسمائه وصفاته.

٤- الإيمان بألوهيته.

الأدلة على وحدانية الله ـ سبحانه وتعالى ـ

الأدلة على وحدانية الله كثيرة جداً ويكفي منها شهادته ـ عز وجل ـ لنفسه حيث قال: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) ﴾ [آل عمران: ١٨].

وصدق من قال:

وفي كل شيء له آيةٌ تدل على أنه الواحدُ

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للشيخ صالح الفوزان، ص١٦.

فواعجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحدُ
ولله في كل تحريكةٍ وتسكينةٍ أبداً شاهدُ

ومن الأدلة على وحدانية الله، وعلى تفرده بالخلق والرزق، وأنه وحده المستحق للعبادة ما يلي:

١- الفطرة.

٢- الشرع.

٣- العقل.

٤- الحس.

٥- الاستدلال بأسماء الله وصفاته.

وهذه الأدلة بمجموعها تدل على وجود الله، وتدل على أنواع التوحيد الثلاثة؛ ذلك أن أنواع التوحيد الثلاثة متلازمة، ومن أشرك في واحد منها فهو مشرك في البقية.

مثال ذلك من دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فدعاؤه عبادة صَرَفَهَا لغير الله، وهذا شرك في الألوهية.

وهذا الدعاء لغير الله متضمن لاعتقاد الداعي أن المدعو متصرف مع الله، وقادر على قضاء ذلك، وهذا شرك في الربوبية.

ثم إنه لم يدعه إلا لاعتقاده أنه يسمعه، وهذا شرك في الأسماء والصفات؛ لاعتقاده أن للمدعو سمعاً محيطاً بجميع المسموعات لا يحجبه قرب ولا بعد.

ومن هنا نجد أن الشرك في الألوهية مستلزم الشرك في الربوبية والأسماء والصفات[١].

وفيما يلي تفصيل للأدلة السابقة.

(١) انظر أعلام السنة المنشورة، ص٧٧، السؤال رقم ٧٣.

١- دلالة الفطرة

الفطرة في اللغة هي الخلقة، أما في الشرع فهي الإسلام على القول الراجح كما رجح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم[١] ـ رحمهما الله تعالى ـ.

«وكل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه»[٢].

قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**».

وفي رواية: «**إلا على هذه الملة**» وفي رواية «**إلا على الملة**»[٣].

وفي حديث عياض بن حمار ـ رضي الله عنه ـ يقول ـ تعالى ـ في الحديث القدسي: «**وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**»[٤].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ «وذكروا عن عكرمة، ومجاهد، والحسن،

---

(١) انظر شفاء العليل لابن القيم، ص٥٧٢-٥٧٥، وانظر درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ٨/ ٣٧١.

(٢) نبذة في العقيدة الإسلامية، للشيخ محمد بن عثيمين، ص١١.

(٣) رواه البخاري ٢/ ٩٧، ومسلم ٤/ ٢٠٤٧ برقم (٢٦٥٨).

(٤) مسلم ٤/ ٢١٩٧ برقم (٢٨٦٥).

وإبراهيم، والضحاك، وقتادة في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] قالوا: (فطرة الله) دين الإسلام (لا تبديل لخلق الله) قالوا: لدين الله»[1].

ثم إن الإنسان مفطور على اللجوء إلى ربه ـ تبارك وتعالى ـ عند الشدائد، فإذا ما وقع الإنسان ـ أي إنسان ـ حتى الكافر الملحد ـ في شدة، أو أحدق به خطر ـ فإن الخيالات والأهوام تتطاير من ذهنه، ويبقى ما فطر عليه ليصيح بأعلى صوته، ومن قرارة نفسه، وعميق قلبه، منادياً ربه؛ ليفرج كربته وهمه، ويلجأ إليه وحده دون سواه[2].

وصدق الله ـ تعالى ـ إذ يقول: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وليس المراد بأنه يولد على الفطرة أنه يولد عالماً بأمور الإسلام؛ فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨].

وليس المراد ـ أيضاً ـ أنه يولد ساذجاً لا يعرف شركاً ولا توحيداً؛ لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «إلا ويولد على الملة» وفي رواية: «على هذه الملة».

---

(١) شفاء العليل، ص٥٧٢-٥٧٣، وانظر درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٣٧٦.

(٢) مستفاد من مذكرة للشيخ عبدالله الجاسر.

بل المراد أن كل مولود يولد على محبته لفاطره، وإقراره له بربوبيته، وادعائه له بالعبودية، فلو خُلِّي وعدمَ المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية، والأشربة، فيشتهي اللبن الذي يناسبه ويغذيه[1].

ولذلك قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**» ولم يقل يسلمانه؛ لأنه باقٍ على الأصل، فاعتناق غير الإسلام يعد خروجاً عن الأصل والقاعدةِ بأسباب خارجة.

٢- دلالة الشرع

أما دلالة الشرع فواضحة معلومة؛ فما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب يدل دلالة قاطعة على وحدانية الله، فالكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح العباد في دنياهم وأخراهم؛ كالصلاة، والزكاة، والحج، وغيرها، وما جاءت به من الأخبار الكونية، والمغيبات التي شهد الواقع بصدقها ـ كل ذلك يدل على أنها من ربٍّ حكيمٍ عليمٍ مستحقٍ للعبادة وحده لا شريك له[2].

(١) انظر شفاء العليل لابن القيم، ص٥٧٨-٥٧٩.

(٢) انظر نبذة في العقيدة الإسلامية، ص١١-١٢.

٣- دلالة العقـل

أما دلالة العقل على وحدانية الله فلأن المخلوقاتِ جميعَها لابد لها من مُوجِد وخالق؛ إذ لا يمكن أن توجِد نفسَها بنفسِها، ولا يمكن أن توجَدَ صدفة؛ فهذه المخلوقات لا يمكن أن تُوجِد نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم، فكيف يكون خالقاً؟

كذلك لا يمكن أن توجد صدفة؛ لأن كل حادث لابد له من مُحدِثٍ، ولأن وجودها على هذا النظام المتسق البديع المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب والمسببات وبين الكائنات بعضها مع بعض ـ يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودُها صدفةً[1].

أضف إلى ذلك ما تجده من افتقار المخلوق الشديد؛ فالافتقار وصف ذاتي للمخلوق ملازم له؛ مما يدل على أنه لابد من وجـود خالق، كامل، غني عما سواه، وهو رب العالمين.

وقد ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذا الدليل العقلي والبرهان القاطع في سورة الطور، حيث قـال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

يعني أنهم لم يُخلقوا من غير خالقٍ، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله ـ تبارك وتعالى ـ[2].

---

(١) (٢) انظر الرياض الناضرة لابن سعدي ص١٩٤، ونبذة في العقيدة الإسلامية، ص١١-١٥.

ولهذا لما سمع جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ سورة الطور فبلغ قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ﴾ الآية وكان يومئذٍ مشركاً ـ قال: «كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي».

رواه البخاري مُفَرَّقاً[1].

ولهذا نجد أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يحث كثيراً في كتابه على التعقل والتبصر؛ ولا أدل على ذلك من كثرة الآيات التي تُخْتَمُ بمثل قوله: ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون﴾؛ لأن الإنسان إذا تفكر تذكر، وعرف الحق، وإذا تذكر خاف واتقى وانقاد.

ولهذا نجد أن العقلاء الجادين الباحثين عن الحق ـ يصلون إليه، ويوفقون له، وليس أدل على ذلك من حال العقلاء في الجاهلية أمثال قُسّ بن ساعدة الإيادي، وزيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد وعم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فنحن نجد في ثنايا كلامهما الإقرار بوحدانية الله ـ عز وجل ـ مع أنهما يعيشان في مجتمع يعج بالجهل والشرك.

يقول قسٌّ في خطبته المشهورة التي ألقاها في سوق عكاظ: «أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آتٍ، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تُزهر، وبحار

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، ٦/٤٩-٥٠.

تزْخَر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراة، إن في السماء لخبراً وإن في الأرض لعبراً، ما بال الناس يذهبون فلا يرجعون؟ أرضوا في المقام فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟

يقسم قُسٌّ بالله قسماً لا إثم فيه أن لله ديناً هو أرضى له وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكراً، ثم أنشأ يقول:

في الذاهبين الأوليـ ـن من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً للقوم ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي إلـ ـيَّ ولا من الباقين غَابر
أيقنت أني لا محا له حيث صار القوم صائر[1]

ويقول زيد بن عمرو في شعره المشهور:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخراً ثقالا
دحاها فلما استوت شدَّها جميعاً وأرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزنُ تحمل عذباً زلالا
إذا هي سيقت إلى بلدةٍ أطاعت فصبت عليها سجالاً[2]

ويقول:

أرباً واحداً أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمورُ
هجرت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلدُ الصبورُ

---

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ ١/٣٠٨-٣٠٩.

(٢) وتنسب هذه الأبيات لأمية ابن أبي الصلت.

بل إن كثيراً من كبار المفكرين الغربيين اهتدوا إلى الحق بسبب إجالتِهم أفكارَهم وبحثهم عن الحق.

ومن نظر في كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) ـ وقد كتبه ثلاثون من علماء الطبيعة والفلك ممن انتهت إليهم الرياسة في هذه الأمور ـ ومثله كتاب (كريسي موريسون) رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك (الإنسان لا يقوم وحده) وترجم إلى العربية تحت عنوان (العلم يدعو إلى الإيمان) ـ يدرك أن العالِمَ الحقيقيَّ لا يكون إلا مؤمناً، وأن العاميَّ لا يكون إلا مؤمناً، وأن الإلحاد والكفر لا يكون إلا من أنصاف العلماء وأرباع العلماء؛ ممن تعلم قليلاً من العلم، وخسر بذلك الفطرة المؤمنة، ولم يصل إلى العلم الذي يدعو إلى الإيمان[1].

وبهذا يتبين لنا أن العقل يدل على وحدانية الله ـ عز وجل ـ.

أما إذا أنكر العقل ذلك فإن الخلل في العقل نفسه، وصدق من قال:

إذا ادعى عقلك إنكاره فأنكر العقل ودعواه

(١) مستفاد من مذكرة للشيخ د. ناصر القفاري، وانظر كتاب الله يتجلى في عصر العلم، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض، أشرف على تحريره: جون كلوفرمونسيما، ترجمة د. الدمرداش عبدالمجيد سرحان، راجعه وعلق عليه. د. محمد جمال الدين الفندي.
وانظر كتاب العلم يدعو للإيمان، تأليف: كريسي موريسون، ترجمة محمد صالح الفلكي، والكتابان من منشورات دار القلم، بيروت.

ومن هنا يتبين لنا بطلان قول من قال: إن هذا الكون نشأ بالصدفة، أو أن الطبيعة هي الخالق.

إن هذه الدعاوى ليست إلا مكابرةً وعناداً لما هو متقرر بالمعقول والمنقول، فمن قال: إن هذا الكون نشأ عن طريق الصدفة يقال له: كيف نشأ هـذا الكون الفسيـح العظيم المتسق المتناسق عن طريـق الصدفة؟!

وخذ هذا المثال الذي نقله وحيد الدين خان عن العالم الأمريكي (كريسي موريسون) يبين فيه استحالة القول بوجود الكون مصادفة قال: «لو تناولت عشرة دراهم وكتبت عليها الأعداد من واحد إلى عشرة، ثم رميتها في جيبك وخلطتها جيداً، ثم حاولت أن تخرج من الواحد إلى العشرة بالترتيب العددي، بحيث تلقي كل درهم في جيبك بعد تناوله مرة أخرى، فبإمكانك أن تتناول الدرهم المكتوب عليه واحد في المحاولة الأولى هي واحد في المائة وإمكان أن تخرج الدراهـم (١-٢-٣-٤-) بالترتيب هو واحد في عشرة آلاف، حتى أن الإمكان في أن تنجح في تناول الدراهم من (١-١٠) بالترتيب واحدٌ في بلايين من المحاولات»[1].

وعلى ذلك فكم يستغرق بناء هذا الكون لو نشأ بالمصادفة والاتفاق؟ إن حساب ذلك بالطريقة نفسها يجعـل هذا الاحتمال خيالاً يصعب حسابه فضلاً عن تصوره.

---

(١) انظر العقيدة في الله، للشيخ عمر الأشقر، ص٧٤-٧٥.

إن ما في هذا الكون يحكي أنه إيجاد موجد حكيم عليم خبير، لكن الإنسان ظلوم جهول ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس: ١٧ - ١٩][1].

أما القول بأن الطبيعة هي الخالق فتلك فرية عظيمة لا دليل عليها، وتهافتها واضح بيِّن لا يحتاج إلى أي رد بل إن تصور ذلك كافٍ في الرد على أصحابه[2].

ومن تلك الدعاوي نظرية (دارون) التي حاول أصحابها أن يعللوا بها وجود الأحياء، وتزعم هذه النظرية أن أصل الإنسان حيوان صغير نشأ من الماء، ثم أخذت البيئة تفرض عليه من التغييرات في تكوينه، مما أدى إلى نشوء صفات جديدة في هذا الكائن، وأخذت هذه الصفات المكتسبة تورَّث في الأبناء حتى تحولت مجموع هذه الصفات الصغيرة الناشئة من البيئة عبر ملايين السنين إلى نشوء صفات كثيرة راقية جعلت ذلك المخلوق البدائي مخلوقاً أرقى، واستمر ذلك النشوء للصفات بفعل البيئة والارتقاء في المخلوقات حتى وصل إلى هذه المخلوقات التي انتهت بالإنسان.

هذا هو ملخص تلك النظرية، وعوارها وزيفها واضح بيِّن[3].

---

(١) انظر العقيدة في الله ص٧٤ ، ٧٥.

(٢) انظر تفصيل ذلك في المرجع السابق، ص٧٤-٩٨، وانظر إلى كتاب: العلم يتبرأ من نظرية دارون، لزياد أبو غنيمة.

(٣) انظر العقيدة في الله ص٧٩-٩٢ ففيه تفصيل الرد على تلك الدعوى، وانظر العلم يتبرأ من نظرية دارون.

وقد ثبت بطلانها حتى عند أهلها، ومما يقال في ذلك، أنه على فرض صحتها فمن الذي أنشأ ذلك الحيوان الصغير؟ ومن الذي جعله يتطور حتى وصل إلى ما وصل إليه؟!

٤- دلالة الحس

فالحس يدل بوضوح على وجود الله ووحدانيته - سبحانه وتعالى - والأدلة الحسية على ذلك كثيرة جداً، ومنها:

أ - إجابة الدعوات:

ويعني بها إجابة دعوات الملهوفين والمكروبين وغيرهم، ممن يدعون الله - سبحانه وتعالى - فيستجاب لهم، ويحصل لهم مقصودهم.

والأمثلة على ذلك لا تحصى ولا تحصر، سواء كان ذلك في حق الأنبياء - عليهم السلام - أم في حق غيرهم.

ومن ذلك ما قاله الله - سبحانه وتعالى - عن نوح - عليه السلام -: **﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى المَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾** [القمر: ١٠ - ١٢].

وما قَصَّهُ الله - سبحانه - عن يونس - عليه السلام -: **﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** [الأنبياء: ٨٧] فاستجاب دعاءه، ونجاه من بطن الحوت.

وقال عن أيوب - عليه السلام -: **﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي**

مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٤١ - ٤٣].

وفي صحيح البخاري عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «**إن أعرابياً دخل يوم الجمعة والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخطب فقال: يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال، فادع لنا، فرفع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يديه، فدعا، فثار السحاب كأمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره ـ حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته.**

وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء، وغرق المال؛ فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: اللهم حوالينا ولا علينا، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت»[1].

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى هذا اليوم لمن أتى بشرائط الإجابة، وكثيراً ما نسمع أن الناس ذهبوا للاستسقاء وقبل أن يخرجوا من المسجد إذا هم يمطرون.

فإجابة الدعاء دليل قاطع على وحدانية الله ـ عز وجل ـ.

ب ـ صدق الرسل ـ عليهم السلام ـ:

وهذا دليل حسي واضح، فالرسل ـ عليهم السلام ـ هم أكمل البشر، قد بلَّغوا عن الله رسالاته، وقد اصطفاهم الله، واختارهم من بين الخلق، وأيَّدهم بالآيات البينات، ونصرهم، وجعل الغلبة لهم، والدولة على أعدائهم.

---

(١) انظر البخاري (١٠٣٣).

فالإنسان إزاء الأنبياء لا يملك إلا أن يقطع بصدقهم؛ إذ إن دعوى النبوة أعظم الدعاوى، ولا يدعيها إلا أصدق الناس أو أكذبهم، فالأنبياء هم أصدق الناس على الإطلاق؛ فظهور المعجزات على أيديهم، وتأييد الله لهم، وخذلانه لأعدائهم، وما جبلوا عليه من كريم الخلال، وحميد الخصال، كل ذلك يدل على صدقهم، وبالتالي نعلم أنهم مبعوثون من عند الله، وأنه ـ سبحانه ـ حق، وعبادته حق.

جـ ـ دلالة الأنفس:

لقد صور الله الإنسان على أحسن صورة، وخَلَقَهُ في أحسن تقويم؛ كما قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن: ٣].

وكما قال ـ عز وجل ـ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

ولو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجائب صنع الله، ونظر ظاهره وما فيه من كمال خلقه، وأنه متميز عن سائر الحيوانات ـ لأدرك أن وراء ذلك رباً خالقاً حكيماً في خلقه، ولعلم أن هذا الخالق هو المنفرد بتدبير الإنسان وتصريفه(١).

يقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ في تقرير هذا المعنى عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٧]: «وعلى كلٍّ فالنفس آيةٌ كبيرة من آيات الله التي يحق الإقسام بها؛ فإنها في غاية اللطف، والخفة، سريعة التنقل، والحركة، والتغير، والتأثر، والانفعالات

---

(١) انظر الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، للشيخ عبدالرزاق العباد، ص٧٠-٧٢.

النفسية من الهمة، والإرادة، والقصد، والحب.

وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثالٍ لا فائدة فيه، وتسويتُها على ما هي عليه آيةٌ من آيات الله العظيمة.

والمقصود أن نفس الإنسان من أعظم الأدلة على وجود الله وحده، ومن ثم تفرده بالعبادة»[1].

د ـ هداية المخلوقات:

وهذا مشهد من مشاهد الحس الدالة على وحدانية الله ـ عز وجل ـ فلقد هدى الله الحيوان: ناطقه وبهيمه، وطيره ودوابه، وفصيحه وأعجمه إلى ما فيه صلاحُ معاشه وحاله.

ويدخل تحت قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

تلك الآية التي رد بها موسى ـ عليه السلام ـ على فرعون ـ يدخل تحتها من العجائب والغرائب ما لا يحصيه إلا الله ـ عز وجل ـ.

فَمَن الذي هدى الإنسان ساعة ولادته إلى التقام ثدي أمه؟ ومن الذي أودع فيه معرفة عملية الرضاع؟ تلك العملية الشاقة التي تتطلب انقباضات متوالية من عضلات الوجه، واللسان، والعنق، وحركات متواصلة للفك الأسفل، والتنفس مع الأنف، كل ذلك يتم بهداية تامة وبدون سبق علم أو تجربة، فمن الذي ألهمه ذلك؟ إنه ﴿رَبُّنَا الَّذِي

---

(١) انظر المرجع السابق.

أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾.

ثم إن هدايته بعد أن يكبر إلى السعي في مصالحه من الضرب في الأرض، والسير فيها، كل ذلك من الهداية التامة العامة للمخلوقات.

أما هداية الطير، والوحش، والدواب ـ فحدث ولا حرج، فلقد هداها الله إلى الأفعال العجيبة التي يعجز عنها الإنسان.

وقد ذكر العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه (شفاء العليل) أموراً عجيبة من هذا القبيل، فقد تحدث عن هداية النحل بما يأخذ بالألباب، ويزيد إيماناً برب الأرباب[1].

حيث تحدث عن اتخاذها اليعسوبَ أميراً، وعن طريقة ولادتها، ورعيها، ودقة تنظيمها، وتوزيعها المهام على فرق شتى، فمنها فرقة تلزم الملك ولا تفارقه، ومنها فرقة تهيِّيء الشمع وتصنعه، وفرقة تكنس الخلايا وتنظفها من الأوساخ والجيف والزبل.

وإذا رأت النحل بينها نحلةً مهينةً بطالةً قطَّعَتْها، وقتلتها؛ حتى لا تفسد عليهن بقيةَ العمال، وتُعْديهِنَّ ببطالتها ومهانتها.

ثم تحدث ـ رحمه الله ـ عن طريقة بنائها البيوت، فقال: ثم يأخذن في ابتناء البيوت على خطوط متساوية، كأنها سككٌ ومحالٌّ، وتبني بيوتها مسدسةً متساويةَ الأضلاع، كأنها قرأت كتاب (إقليدس) حتى عرفت أوفق الأشكال لبيوتها؛ لأن المطلوب من بناء الدُّور هو الوثاقة والسعة، والشكل المسدس دون سائر الأشكال إذا انضمت بعض أشكاله

(١) انظر شفاء العليل، ص١٤٤-١٦٤.

إلى بعض صار شكلاً مستديراً كاستدارة الرحى، ولا يبقى فيه فروج ولا خلل، ويشد بعضه بعضاً حتى يصير طبقاً واحداً محكماً، لا يدخل بين بيوته رؤوس الإبر، فتبارك الذي ألهمها أن تبني بيوتها هذا البناءَ المحكمَ».

ثم تحدث عن طريقة خروجها للمرعى، وادخارها للكسب ثم قال: «وفي النحل كرامٌ لها سعيٌ وهمةٌ، واجتهادٌ، وفيها لئامٌ كسالى قليلةُ النفع مؤثرةٌ للبطالة؛ فالكرام دائماً تطردها وتنفيها عن الخلية».

وفي ختام حديثه عنها قال: «ولما كانت النحل من أنفع الحيوانات وأبركها، قد خُصت من وحي الرب ـ تعالى ـ وهدايته بما لم يَشْرَكْها فيه غيرُها، وكان الخارج من بطونها مادة الشفاء من الأسقام والنور الذي يضيء في الظلام بمنزلة الهداة من الأنام ـ كان أكثر الحيوان أعداءها، وكان أعداؤها من أقل الحيوانات منفعة وبركة، وهذه سنة الله في خلقه وهو العزيز الحكيم».

ثم تحدث ـ أيضاً ـ عن هداية النمل[1] قائلاً: «وهدايتها من أعجب شيءٍ؛ فإن النملةَ الصغيرةَ تخرج من بيتها وتطلب قُوْتَها، وإن بعدت عليها الطريق، فإذا ظفرت به حملته، وساقته في طرق معوجة بعيدةٍ ذاتِ صعودٍ وهبوطٍ في غاية التوعر، حتى تصلَ إلى بيوتها فتخزن فيها أقواتها وقت الإمكان، فإذا خزنتها عمدت إلى ما ينبت منها ففلقته فلقتين؛ لئلا ينبت، فإن كان ينبت مع فَلْقِهِ باثنتين فَلَقَتْه بأربع، فإذا

(١) انظر شفاء العليل، ص١٤٧-١٥١.

أصابه بلل، وخافت عليه العفن والفساد انتظرت به يوماً ذا شمس، فخرجت به فنشرته على أبواب بيوتها، ثم أعادته إليها.

ولا تتغذى منه نملة مما جمعه غيرها.

ويكفي في هداية النمل ما قاله الله ـ سبحانه ـ في القرآن عن النملة التي سمع سليمان كلامها وخطابها لأصحابها بقولها: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**﴾ [النمل: ١٨].

فاستفتحت خطابها بالنداء الذي يسمعه مَنْ خاطبته، ثم بالاسم المبهم، ثم أتبعته بما يثبته من اسم الجنس؛ إرادة للعموم، ثم أمرتهم أن يدخلوا مساكنهم فيتحصنوا من العسكر، ثم أخبرت عن سبب الدخول؛ خشية أن تصيبهم معرةُ الجيش، فيحطمهم سليمان وجنوده، ثم اعتذرت عن نبي الله وجنوده بأنهم لا يشعرون بذلك.

والنمل من أحرص الحيوان، ويضرب بحرصه المثل، ولها صدق الشم، وبعد الهمة، وشدة الحرص، والجرأة على محاولة نقل ما هو أضعاف أضعاف وزنها.

وليس للنمل قائد ورئيس يدبرها كما يكون للنحل، إلا أن لها رائداً يطلب الرزق، فإذا أوقف عليه أخبر أصحابه، فيخرجن مجتمعاتٍ، وكل نملة تجتهد في صلاح العامة منها غير مختلسة من الحب شيئاً لنفسها دون صواحبها[1].

وهذا الهدهد من أهدى الحيوان، وأبصره بمواضع الماء تحت

(١) انظر شفاء العليل لابن القيم، ص١٤٧-١٤٩.

الأرض، ولا يراه غيره.

ومن هدايته ما قصه الله عنه في كتابه؛ مما قاله الهدهد لسليمان ـ عليه السلام ـ وقد فقده، وتوعده، فلما جاءه بادره بالعذر قبل أن ينذره سليمان بالعقوبة، وخاطبه خطاباً هيَّجه به على الإصغاء إليه والقبول منه فقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ وفي ضمن هذا أني أتيتك بأمر قد عرفْتُهُ بحيث أُحطتُ به، وهو خبر عظيم له شأن؛ فلذلك قال: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

والنبأ هو الخبر الذي شأن، والنفوس متطلعة إلى معرفته، ثم وصفه بأنه نبأ يقين لاشك فيه ولا ريب، فهذه مقدمة بين يدي إخباره لنبي الله بذلك النبأ استَفْرَغَتْ قَلْبَ المُخبَر لتلقي الخبر، وأوْجَبَتْ له التشوقَ إلى سماعه ومعرفته، وهذا نوع من براعة الاستهلال، وخطاب التهييج.

ثم أخبر بباقي القصة عن بلقيس وقومها، وبين بطلان ما هم عليه من عبادة الشمس.

وهذا الحمام من أعجب الحيوان هدايةً، قال الشافعي: أعقل الطير.

وبُرُدُ الحمامِ هي التي تحمل الرسائل والكتب، وربما زادت قيمة الطير منها على قيمة المملوك والعبد؛ فإن الغرض الذي يحصل به لا يحصل بمملوك ولا بحيوان غيره.

وهداية الحمام على قدر التعليم والتوطين، وهو موصوف باليمن

والإلف للناس، ويحب الناس ويحبونه، ويألف المكان، ويثبت على العهد والوفاء لصاحبه، وإن أساء إليه، ويعود إليه مسافات بعيدة، وربما صُدَّ فترك وطنه عشرَ حججٍ وهو ثابت على الوفاء حتى إذا وجد فرصة واستطاعةً عاد إليه.

أما طريقة سِفاده وجمعه عِشَّه، واعتنائه ببيضه وصغاره ـ فهي من أعجب العجب، وقد ذكر ابن القيم في كتابه (شفاء العليل) أوجه شبه كثيرة بين الإنسان والحمام.

ومن عجيب هداية الديك الشاب أنه إذا أُلقِيَ له حبٌّ لم يأكلْه، حتى إذا هرم وشاخ أكله من غير تفريق، كما قال المدائني: إن إياس بن معاوية مر بديك ينقر حبّاً ولا يفرقه فقال ينبغي أن يكون هرماً؛ فإن الديك الشاب يفرق الحب؛ ليجتمع الدجاج فتصيب منه، والهرم قد فنيت رغبته فليس له همة إلا نفسه.

ومن عجيب أمر الثعلب أن ذئباً أكل أولاده وكان للذئب أولاد، وهناك زبية، فعمد الثعلب وألقى نفسه فيها، وحفر فيها سرداباً يخرج منه، ثم عمد إلى أولاد الذئب، فقتلهم وجلس ناحية ينتظر الذئب، فلما أقبل وعرف أنها فِعْلَتُه هرب قُدَّامه وهو يتبعه فألقى نفسه في الزبية، ثم خرج من السرداب، فألقى الذئب نفسه وراءه، فلم يجده ولم يطق الخروج، فقتله أهل الناحية.

ومن عجيب أمره أنه رأى رجلاً ومعه دجاجتان، فاختفى له، وخطف إحداهما، وفَرَّ ثم أعمل فكره في أخذ الثانية، فتراءى لصاحبها من

بعيد، وفي فمه ما يشبه الطائر، وأطمعه في استعادتها بأن تركه وفر، فظن الرجل أنها الدجاجة، فأسرع نحوها، فخالفه الثعلب إلى أختها فأخذها وذهب.

ومن هداية الحمار ـ وهو من أبلد الحيوان ـ أن الرجل يسير به، ويأتي به إلى منزله في البعد في ليلة مظلمة، فيعرف المنزل، فإذا خُلِّي جاء إليه.

ثم إنه يُفرِّق بين الصوت الذي يُسْتَوْقَفُ به، وبين الصوت الذي يُحث به على السير.

ومن عجيب أمر الفأرة أنها إذا شربت من الزيت الذي في أعلى الجرة فَنَقَصَ، وعَزَّ عليها الوصولُ إليه ـ ذهبت وحملت في أفواهها ماءً وَصَبَّتْهُ في الجرة؛ حتى يرتفع الزيت فتشربه.

وكثير من العقلاء يتعلم من الحيوانات البهم أموراً تنفعه في معاشه وأخلاقه، وصناعته، وحربه، وحزمه، وصبره.

وهداية الحيوان فوق هداية أكثر الناس، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤].

قال أبو جعفر الباقر: «والله ما اقتصر على تشبيههم بالأنعام حتى جعلهم أضل سبيلاً منها».

قيل لرجل: مَنْ علمك البكور في حوائجك أول النهار لا تخل به؟.

قال: مَنْ علم الطير تغدو خماصاً كل بكرة في طلب أقواتها على قربها وبعدها لا تسأم ذلك، ولا تخاف ما يعرض لها في الجو والأرض.

وقيل لآخر: مَنْ عَلَّمك السكونَ، والتحفظ، والتماوت حتى تظفر بإربك، فإذا ظفرت به وثبت وثوب الأسد على فريسته؟.

فقال: الذي علم الهرة أن ترصد جحر الفأرة فلا تتحرك، ولا تتلوى، ولا تختلج، حتى كأنها ميتة، حتى إذا برزت الفأرة وَثَبَتْ عليها كالأسد.

وقيل لآخر: مَنْ عَلَّمك حسن الإيثار والبذل والسماحة؟.

قال: مَنْ علم الديك يصادف الحبة في الأرض وهو يحتاج إليها ولا يأكلها، بل يستدعي الدجاج، ويطلبهن طلباً حثيثاً حتى تجيء الواحدةُ منهن، فتلقطها وهو مسرور بذلك طيب النفس به، وإذا وضع له الحب الكثير فَرَّقه ها هنا وها هنا وإن لم يكن له دجاج؛ لأن طبعه قد ألف البذل والجود؛ فهو يرى أنه من اللؤم أن يستبد وحده بالطعام.

ومَنْ علَّم الأسد إذا مشى وخاف أن يُقْتَفَى أثره ويُطلب؟ عَفَّى مِشْيَته بذنبه؟!.

ومن ألهم كرام الأسود وأشرافها أن لا تأكل إلا من فريستها، وإذا مر بفريسة غيره لم يدن منها ولو جهده الجوع؟!.

ومن علم الأنثى من الفيلة إذا دنا وَقْتُ ولادتها أن تأتي إلى الماء، فتلدَ فيه؛ لأنها دون الحيوانات لا تلد إلا قائمة؛ لأن أوصالها على خلاف أوصال الحيوان، وهي عالية، فتخاف أن تسقطه على الأرض

فينصدع، أو ينشق، فتأتي ماء وسطاً تضعه فيه يكون كالفراش اللين والوطاء الناعم؟!.

ومَنْ علم **الذباب** إذا سقط في مائع أن يتقي بالجناح الذي فيه الداء دون الآخر؟!.

ومَنْ علم الذئب إذا نام أن يجعل النوم نُوَباً بين عينيه، فينام بإحداهما حتى إذا نعست الأخرى نام بها، وفتح النائمة حتى قيل فيه:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

وهذا باب واسع جداً، ويكفي فيه قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وَمَا من دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ٣٨].

قال مجاهد: «**أمم أمثالكم**» أصناف مصنفة تُعْرف بأسمائها. وقال الزجاج: «**أمم أمثالكم**» في أنها تبعث، وقال ابن قتيبة: «**أمم أمثالكم**» في طلب الغذاء وابتغاء الرزق وتَوَقِّي المهالك، وقال سفيان بن عيينة: ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من البهائم؛ فمنهم من يهتصر اهتصار الأسد، ومنهم يعدو كعدو الذئب، ومنهم من ينبح نباح الكلب، ومنهم من يتطوس كفعل الطاووس، ومنهم من يشبه الخنازير التي لو ألقي إليها الطعام الطيب لعافته، فإذا قام الرجل من رجيعه ولغت فيه؛ فلذلك تجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمةً لم يحفظ منها واحدة وإن أخطأ رجلٌ تروّاه وحفظه.

وهذا كله من أدل الدلائل على الخالق لها ـ سبحانه وتعالى ـ

وعلى إتقان صنعه، وعجيب تدبيره، ولطيف حكمته؛ فإن فيما أودعها من غرائب المعارف، وغوامض الحيل، وحسن التدبير، والتَّأتي لما تريده ـ ما يستنطق الأفواه بالتسبيح، ويملأ القلوب من معرفته، ومعرفة حكمته، وقدرته، وما يعلم به كل عاقل أنه لم يخلق عبثاً، ولم يترك سدىً، وأن له حكمةً باهرةً، وآيةً ظاهرة، وبرهاناً قاطعاً، يدل على أنه رب كلِّ شيءٍ ومليكُه، وأنه المنفرد بكل كمالٍ دون خلقهِ، وأنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم[1].

هـ ـ دلالة الآفاق:

ومن آياته الدالة على وحدانيته دلالة الآفاق التي يراها كل أحدٍ؛ العالم والجاهل، المؤمن والكافر، فلو تأمل الإنسان بعين البصيرة والتدبر والتفكر ـ لأدرك عظمة مَنْ أنشأها، ولَدَعاه ذلك إلى عبادته وحده لا شريك له.

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ عند قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]: «وقد فعل ـ تعالى ـ فإنه أرى عباده من الآيات ما به تبين أنه الحق، ولكن الله هو الموفق للإيمان من شاء، الخاذل لمن يشاء»[2].

---

(١) انظر شفاء العليل، ص١٤٧-١٦٤.

(٢) الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده ص٧٢-٧٣.

وقال ـ رحمه الله ـ في موطن آخر ـ أيضاً ـ: «كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع الكائنات ـ علم أنها خلقت للحق بالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب براهين، ودلالات على جميع ما أخبر به عن نفسه ووحدانيته، وما أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر، وأنها مدبرات، مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها، فتعرف أن العالَم العلويَّ والسفلي كلَّهم إليه مفتقرون، وإليه صامدون، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا هو ولا رب سواه»(١).

وقال رحمه في موطن آخر: «فهذا خبره ـ تعالى ـ عن أمور مُسْتَقْبَلَةٍ أنه يُري عباده من الآيات والبراهين في الآفاق وفي الأنفس ما يدلهم على أن القرآن حق، والرسول حق، وما جاء به هو الحق»(٢).

وفي كل عصر من العصور يُطلع الله عباده على أمور عظيمة في هذا الكون الفسيح.

وفي العصور المتأخرة ظهر العديد من الاكتشافات والمخترعات والحقائق العلمية، ولا يزال الباحثون يكتشفون في كل يوم سراً من أسرار هذا الكون العظيم، مما جعلهم يقفون حائرين واجمين معترفين بالتقصير والعجز، وأن هناك عوالمَ أخرى مجهولةً، وأخرى لم تكتشف بعد.

---

(١)(٢) الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده، ص٧٢-٧٣.

وخلاصة القول في هذا أن كل ما في الآفاق يدل دلالة قاطعة على وجود مدبر حكيم، رب عليم، مستحق للعبادة، ولكن:

إذا لم يكن للمرء عينٌ صحيحةٌ فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

و ـ عبودية الكائنات[1]:

فالله ـ سبحانه ـ قد خلق جميع الكائنات؛ إنسها، وجنها، وملائكها، وحيوانها، وجمادها، ونباتها، وغيرها من الكائنات ـ لعبادته ـ سبحانه ـ وفطرها على توحيده، والاعتراف بألوهيته، والإقرار بفقرها وحاجتها وخضوعها وصمودِها له ـ جل وعلا ـ.

فكل هذه الكائنات تقوم بعبادة الله ـ عز وجل ـ ولا يُخِلُّ بذلك إلا الإنسان المعاند الزائغ عن شرع الله ـ سبحانه وتعالى ـ المخالف لنظام هذا الكون المحكم البديع؛ الذي ما قام إلا على عبودية الله.

هذا وتختلف العبوديات من مخلوق إلى مخلوق.

فمن تلك العبوديات: عبودية الإنس، فهي أشرفها وأفضلها.

وأشرف ما فيها عبوديةُ الأنبياء لربهم، وقيامهم بالدعوة والجهاد وغير ذلك، ثم عبودية أتباعهم وأتباع أتباعهم.

ومن ذلك: عبودية الملائكة، والجن وهذا ليس بمستغرب.

أما الغريب حقّاً فهو عبودية الجمادات والحيوانات، التي يعتقد

---

(١) انظر عبودية الكائنات لرب العالمين، للشيخ فريد التوني، دار الضياء، ص٢٣٤، و٢٤٥.

كثير من الناس أنها لا تعقل ولا تدرك، وليس لها أيُّ عبودية لله.

إن هذا الكون الواسع بما فيه من الكائنات كلّه يخضع لخالقه وبارئه، ويؤدي عبودية له ـ سبحانه وتعالى ـ فلقد ثبت لهذه الكائنات في الكتاب والسنة طاعاتٌ كثيرةٌ كالسجود، والتسبيح، والصلاة، والاستغفار، والإسلام، والإشفاق، وغيرها.

فعن سجود هذه الكائنات يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ**﴾ [الحج: ١٨].

وليس بالضرورة أن يكون هذا السجود مثل سجود الآدميين من المسلمين؛ فسجود كلِّ أحدٍ بحسبه.

وأما عن تسبيح الكائنات فذلك كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾ [الإسراء: ٤٤].

فالكائنات كلها تسبح خالقها تسبيحاً لا نفقهه نحن البشر، وعدم معرفتنا به ليس دليلاً على نفيه؛ فلقد خص الله بعض خلقه بالاطلاع على تسبيح بعض الكائنات، وأفهمه تسبيحها كداود ـ عليه السلام ـ.

أما صلاتُها فقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ**﴾ [النور: ٤١].

فكلها يصلي، ويسبح لله، وليس بالضرورة أن نفهم ذلك.

أما عن استغفارها ففي حديث أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال:

سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «**وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء**»[١].

أما عن إسلامها لله ـ تعالى ـ فقد قال ـ عز وجل ـ: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ [آل عمران: ٨٣].

إلى غير ذلك من العبوديات المتنوعة التي لا يتسع المقام لذكرها[٢].

وهناك كتاب صدر مؤخراً بعنوان (**عبودية الكائنات لرب العالمين**)[٣] حيث تكلم مؤلفه على عبودية الكائنات بالتفصيل، ومن ضمن ما تلكم عليه: سجود الدواب، وإشفاقها من يوم القيامة، وراحتها من موت الفاجر، وعن كلام الدواب، كالبقرة، والجمل، والحيتانِ، والديك، والذئب، والفرس، والنمل، والهدهد.

كما تحدث عن عبودية الشجر، وسجودها، وسماعها لأذان المؤذن، وتلبيتها في الحج أو العمرة، وعن ولاء الشجر وبرائه، وعن موقف الشجرة من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسلامها عليه، وانقيادها له، وحنينها إليه، وشهادتها له بالتوحيد، ومواقفها مع المسلمين، كما تحدث عن عبودية الجبال، وسجودها لله، وتسبيحها له، وعن تلبية

---

(١) ابن ماجه، ١/ ٨١ برقم (٢٢٣)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٢/ ١٠٧٩ برقم (٦٢٩٧).

(٢) انظر جامع الرسائل لابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم، ١/ ١-٤٥.

(٣) الكتاب لفريد التوني، وهو رسالة علمية.

الحجر، وسماعه للأذان، وعن خشية الجبال، وخوفها، وعرض الأمانة عليها، وسرورها، وفرحها بمن يذكر الله عليها، وعن مواقف الجبال مع بعض الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

كما تحدث عن عبودية السموات والأرض وتسبيحها لله، وإنكارها قول النصارى: إن المسيح ابن الله، وبكائها على فراق المؤمنين الصالحين.

وتحدث أيضاً عن عبودية الملائكة والإنس والجن، كل ذلك مقرون بالأدلة من الكتاب والسنة.

ومن هنا يتبين لنا أن المخلوقاتِ مفتقرةٌ إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ «وأن فقرَها وحاجَتها إليه وصفٌ ذاتيٌ لهذه الموجودات المخلوقة، كما أن الغنى وصف ذاتي للرب الخالق»[1].

فصمود الكائنات كلها وفقرها إلى الله يدل دلالة واضحة على وحدانيته ـ سبحانه وتعالى ـ.

ز ـ اختلاف الطعوم والألوان والروائح في النبات:

وهذا دليل حسي على وحدانية الله؛ فالماء ينزل من السماء عديم اللون والطعم والرائحة، ينزل على الأرض الجرداء، ثم يخرج ـ بإذن الله ـ من جرَّاء ذلك نباتاتٌ مختلفة في اللون، والطعم، والرائحة، فبعضها حلو، وبعضها حامض، وبعضها مُرٌّ، وبعضها أخضرُ، وبعضها أصفرُ، وبعضها أسود.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢/ ٩.

بل إن النوع الواحد من بعض الثمار متنوع تنوعاً عجيباً؛ ومن ذلك على سبيل المثال (العنب) فمنه جنات معروشات وغير معروشات، ومنه الحلو، ومنه الحامض، ومنه الحامض الحلو، ومنه الأخضر، ومنه الأحمر، ومنه الأسود، ومنه الطويل، ومنه المدور إلى غير ذلك.

وقل مثل ذلك في النخل؛ فمنها ما تكون حلاوته بسراً أكثرَ من حلاوته رطباً والعكس بالعكس، ومنه الأسود، ومنه الأصفر، ومنه الطويل، ومنه المدور، كل ذلك وهو يسقى بماء واحد.

فمن الذي فضَّل بعضها على بعض في الأكل؟ ومن الذي أودعها هذه المزايا من الألوان والأطعمة؟.

إنه الله ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ٣ – ٥].

ح ـ اختلاف الألسن:

فنحن نرى اختلاف الألسن واللغات من شعب إلى شعب، ومن إنسان إلى إنسان، فمن الذي علم الإنسان البيان؟ ومن الذي يعلم تلك اللغات جميعاً، ويحصي ما يقولون فلا تختلط عليه؟.

إنه الله الواحد الأحد.

فاختلاف الألسن آية عظيمة تدل على وحدانيته ـ سبحانه وتعالى ـ[1].

(١) انظر تفاصيل ما مضى في الجزء الأول من مفتاح دار السعادة لابن القيم.

٥ - دلالة أسمائه وصفاته (١)

وهذه هي طريقة الخواص يستدلون بالله على أفعاله، فإن قيل: كيف يُستَدل بأسمائه وصفاته على استحقاقه للوحدانية، فإن ذلك لا يعهد في الاصطلاح؟

فالجواب: إن الله قد أودع الفطرة التي لم تتنجس بالجحود والتعطيل، ولا بالتشبيه والتمثيل أنه ـ سبحانه ـ الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسلُه، وما خفي عن الخلق من كماله أعظمُ مما عرفوه منه.

ومَنْ كماله المقدس شهادتُه على كل شيء، واطِّلاعه عليه؛ بحيث لا يغيب عنه ذرة في السموات ولا في الأرض باطناً وظاهراً.

ومن هذا شأنُه كيف يليق بالعباد أن يشركوا به، وأن يعبدوا غيره، ويجعلوا معه إلهاً آخر؟!.

وكيف يليق بكماله أن يقر من يكذب عليه أعظم الكذب، ويخبر عنه بخلاف ما الأمر عليه، ثم ينصره على ذلك، ويؤيده، ويعلي شأنه، ويجيب دعوته، ويهلك عدوه، ويظهر على يديه من الآيات والبراهين ما يعجز عن مثله قوى البشر، وهو مع ذلك كاذب عليه مفترٍ؟!.

فأنت ترى من خلال ما مضى أن الاستدلال جرى باسم الله (الشهيد) لتقرير الوحدانية وصدق الرسل.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص٩٥-٩٦.

أما تقرير الوحدانية فإن الإيمان باسم الشهيد يقتضي المراقبة الدائمة لله ـ عز وجل ـ فكيف يليق بالعبد أن يعصي الله وهو يعلم أن الله مطلع عليه في كل أحواله؟.

وهذه المراقبة هي أعلى مراتب الدين؛ لأنها مرتبة الإحسان.

أما صدق الرسل من خلال الإيمان بهذا الاسم (الشهيد)؟ فوجهه أنَّ مَنْ كمال الله ـ سبحانه ـ أنه لا يعزب عنه شيءٌ، فكيف يليق بمن هذا شأنه أن يقر من يكذب عليه؟ بل ويؤيده وينصره ويهلك عدوه، بل ويعلي ذكره ودعوته؟!.

هذا لا يليق، فلو كان الرسل كاذبين لأخذهم الله كما أخذ الدجالين في الماضي والحاضر كمسيلمة والقادياني وغيرهما.

ومن هنا نعلم صدق الرسل من خلال الإيمان باسم (الشهيد).

ولهذا قال بعض أهل العلم إن إنكار رسالة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جحد للرب بالكلية.

وهذا باب من أبواب الاستدلال على وحدانية الله.

والقرآن مملوء من هذه الطريق، ومن الأمثلة على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

ثمرات الإيمان بالله

للإيمان بالله ثمرات جليلة، وفوائدة جمة، وفضائل كثيرة، منها:

١- الأمن التام والاهتداء التام: فبحسب الإيمان يحصل الأمن والاهتداء في الدنيا والبرزخ والآخرة قال ـ عز وجل ـ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

٢- الإيمان بالله طاعة لله ـ عز وجل ـ: فالله أمرنا بالإيمان به، وطاعتُه واجبةٌ، وهي أصل كل خير، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾ [البقرة: ١٣٦].

٣- الاستخلاف في الأرض والتمكين والعزة: قال ـ عز وجل ـ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

٤- دخول الجنان والنجاة من النيران: قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [محمد: ١٢].

٥- الحياة الطيبة: فالحياة الطيبة الحافلة بكل ما هو طيب ـ إنما هي ثمرة من ثمرات الإيمان بالله ـ عز وجل ـ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في شرح هذه الآية: «وهذا وعد من الله ـ تعالى ـ لمن عمل صالحاً وهو العمل المتابع لكتاب الله ـ تعالى ـ

وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وأن هذا المأمور به مشروع من عند الله ـ بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الآخرة. والحياة الطيبة تشتمل على وجوه الراحة من أي جهة كانت»[1].

٦- حلول الخيرات ونزول البركات: قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٧- الهداية لكل خير: قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ١١].

وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ﴾ [يونس: ٩].

٨- زيادة الإيمان والثبات عليه: فالمؤمنون يتقلبون من نعمة إلى نعمة، وأعظم نعمة يجدونها من الإيمان بالله هي أن يثبتهم الله على الحق، ويزيد إيمانهم، فالثبات على الإيمان سبب لزيادته قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٧].

٩- الفوز بولاية الله ـ عز وجل ـ: وأكرم بها من ولاية، قال ـ تعالى ـ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (١١) ﴾ [محمد: ١١].

١٠- السلامة من الخسارة: قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ - ٣].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٥٦٦.

١١- الإيمان بالله سبب لدفاع الله عن أهله: قال ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

١٢- تكفير السيئات: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢].

١٣- الرفعة والعلو: قال ـ تعالى ـ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

١٤- إخلاص العمل: فلا يمكن للعبد أن يقوم بالإخلاص لله، ولعباد الله، ونصيحتهم على وجه الكمال إلا بالإيمان.

١٥- قوة التوكل: فالإيمان بالله يوجب للعبد قوة التوكل على الله، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

١٦- الشجاعة: فالإيمان بالله يبعث على الشجاعة والإقدام؛ لأنه يملأ قلب المؤمن بالخوف من الله، والخشية له، وتعظيمه، وإجلاله. وإذا كان كذلك ذهب خوف الخلق من قلبه كليةً؛ فالجزاء من جنس العمل؛ فمن خاف الله آمنه من كل شيء، وجعل مخاوفه أمناً والعكس بالعكس.

١٧- حسن الخلق: فالإيمان يدعو إلى حسن الخلق مع جميع طبقات الناس، وإذا ضعف الإيمان أو نقص أو انحرف أثَّر ذلك في أخلاق العبد انحرافاً بحسب بُعْده عن الإيمان.

١٨- الإعانة على تحمل المشاق: فالإيمان أكبر عون على تحمل المشاق، والقيام بالطاعات، وترك الفواحش والمنكرات.

١٩- الذكر الحسن: فالإيمان يوجب لصاحبه أن يكون معتبراً عند الخلق أميناً.

٢٠- عزة النفس: فالإيمان يوجب للعبد العفة، وعزة النفس، والترفع عن إراقة ماء الوجه؛ تذللاً للمخلوقين.

٢١- أن الإيمان هو السبب الوحيد للقيام بذروة سنام الإسلام وهو الجهاد البدني والمالي والقولي في سبيل الله.

هذا شيء من ثمرات الإيمان، وبالجملة فخير الدنيا والآخرة كله فرع عن الإيمان، ومترتب عليه، والهلاك والنقصان إنما يكون بفقد، الإيمان، أو نقصه[١].

---

(١) انظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لابن سعدي، ١٣٠- ١٣٤.

ما ضد الإيمان ؟

يضاد الإيمان بالله ـ سبحانه وتعالى ـ الكفر بالله، أو بأي نوع من أنواع التوحيد، أو أن يأتي الإنسان بأي ناقض من نواقض الإسلام.

وفي هذا الموضع سيكون الحديث عن ظاهرة خطيرة تنافي الإيمان بالله، وتعارضه معارضة كلية، ألا وهي ظاهرة الإلحاد، تلك الظاهرة القديمة الجديدة، فما معنى الإلحاد؟ وما أسبابه؟ وكيف دخل بلاد المسلمين؟ وما آثاره؟.

«معنى الإلحاد»[1]:

الإلحاد في لغة العرب: هو الميل.

وفي الشرع: هو الميل عما يجب اعتقاده أو عمله.

المقصود بالإلحاد هنا الكفر بالله، والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد، والتكذيب بالبعث، والجنة، والنار، وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط، وتكذيب الرسل، وإنكار وجود الرب ـ تبارك وتعالى ـ.

«انتشاره»:

الإلحاد اليوم أصبح ظاهرة عالمية، فالعالم الغربي في أوربا وأمريكا ـ وإن كان وارثاً في الظاهرة للعقيدة النصرانية التي تؤمن بالبعث والجنة والنار ـ إلا أنه ـ في الأغلب ـ ترك هذه العقيدة الآن

---

(١) انظر الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، ص٨-٩.

وأصبح إيمان الناس هناك بالحياة الدنيا فحسب، وأصبحت الكنيسة مجرد تراثٍ تافهٍ جداً؛ وقد أصبح الإلحاد هو الدين الرسمي المنصوص عليه في كل دساتير البلدان الأوروبية والأمريكية، ويعبر عن ذلك بالعلمانية تارة، وباللادينية أخرى.

أما في الشرق فقد قامت أكبر دولة على الإلحاد، وهي الدولة الروسية، التي تحمل العقيدة الشيوعية، التي تحمل في بنودها رفض الغيب، والنظر إلى الحياة كلها وفي جميع الجوانب من منظور مادي بحت.

«أسبابه»[1]:

لقد انتشر الإلحاد ومد رواقه في كثير من بلدان العالم، ومنذ مائتي عام لم تكن مشكلة الإلحاد بهذه الحدة والانتشار، ولكن في القرنين الأخيرين ظهرت عوامل عديدةٌ جعلت من الإلحاد والكفر ديناً عامّاً منتشراً.

وتلك العوامل منها ما يعود إلى المجتمع الذي عاشت فيه منها ما يعود إلى شخصيات مؤسسيها المنحرفة.

---

(١) انظر المرجع السابق، ص١٠-١٨، وانظر إلى كتاب: بعض أسباب الإلحاد وأثر الإيمان بالله تعالى، للدكتور عبدالحليم أحمدي، وانظر إلى: نقد أصول الشيوعية، للشيخ صالح بن سعد اللحيدان، ص٤٠، والشيوعية خلاصة ضروب الكفر والموبقات، لأحمد عبدالغفور عطار، ص٣١-٣٢، وحكم الاشتراكية في الإسلام، للشيخ عبدالعزيز البدري، ص٥٨، وانظر الشيوعية للكاتب.

وفيما يلي ذكرٌ لشيء من تلك الأسباب بإجمال؛ إذ المقام ليس مقامَ بَسْطِها، فمن ذلك:

١- أنها كانت ردة فعل للطغيان الكنسي، الذي حارب العلم، وحارب العقل، وأعان الحكام الظلمة، ومَكَّنَ للخرافة، وفرض على الناس الضرائب والعشور، وما إلى ذلك مما قامت به الكنيسة الأوروبية.

٢- مظالم العالم الرأسمالي، فكان أن قامت الحركة الإلحادية الشيوعية كردة فعل ـ أيضاً ـ للرأسمالية.

٣- كثرة المشكلات في المجتمع الأوروبي، وفقدان التوازن فيه اجتماعياً واقتصادياً خصوصاً في القرنين السابعَ عشرَ والثامنَ عشرَ.

٤- غياب المنهج الصحيح؛ وهو دين الإسلام عن الساحة التي نشأ فيها الإلحاد، وتقصير المسلمين في أداء رسالتهم في قوامة المجتمع البشري، وانتشاله من الهاوية.

٥- كثرة الاتجاهات، والنظريات، والمباديء التي وجدت في المجتمع الأوروبي.

٦- الخواء الروحي لدى أوروبا؛ إذ الكنيسة لا تقدم منهجاً يزكي النفس، ويجلب السعادة والطمأنينة للأفراد والمجتمعات؛ مما جعل النفوس تتعلق بخيط العنكبوت، وتتشبث بعود الثمام؛ لتنجو مما هي فيه من الحيرة، والاضطراب، والقلق.

٧- الاستعمار وما خلَّفه من دمار؛ فله أثره الواضح في انحطاط الشعوب

المستعمرة، وذلك عن طريق الكتب، وقفل باب الحرية، الأمر الذي أفسح المجال للإلحاد.

٨- المكر اليهودي على العالم كله، وتآمره عليه لإفساده؛ تميهداً للسيطرة عليه، حيث استغلوا هذه المذاهب ومكنوا لها.

٩- الانقلاب الصناعي، وما يقوم به الشيوعيون من بحثٍ علميٍّ جادٍّ مستندٍ على أدلةٍ مغريةٍ تقول: بأن الدين خرافة.

١٠- ملذات الحياة، ومباهج الحضارة، ونسيان الخالق؛ فلقد فتح العلمُ الماديُّ أبواباً عظيمةً من أبواب الرفاهية والترف، فالمراكب الفارهة الفخمة؛ من سيارات، وقطارات، وبواخرَ وطائراتٍ، كذلك الملابس، والمطاعم، ووسائل التسلية، كل ذلك جعل الغفلة تستحكم على النفوس ولا تشعر بالعاقبة، مما فتح المجال لترويج أي مبدأ.

١١- انحراف مؤسسي الشيوعية، وشذوذهم؛ فهـذا ماركس اليهودي ـ على سبيل المثال ـ كان حبراً يهودياً، وكان مُخففاً في شؤون حياته الخاصة، وكان ذا طبيعة ميالة للهدم والفساد.

أضف إلى ذلك ما كان عليه من فسادٍ خلقي وسلوكي، كذلك موت ابنتيه منتحرتين، كل هذه العوامل تحركت في نفس هذا المجرم، فأخرجت أكلَها النتنَ القبيحَ.

وقل مثل ذلك أو أشد في شأن زعماء الشيوعية كلينين، وستالين،

وخرتشوف، وغيرهم.

وبالجملة فأقل ما يقال عن الإلحاد أنه عقوبةٌ إلهيةٌ للبشرية بسبب تماديها في الغواية والضلال.

«كيف دخل الإلحاد بلاد المسلمين»؟[1] :

لقد دخل الإلحاد في كثير من بلاد المسلمين وما كان له أن يدخل، إلا أن هناك أسباباً عديدة مكنت لدخوله في بلاد المسلمين منها:

١- انحراف كثير من المسلمين عن دينهم، ونسيانهم حظّاً ما ذُكِّروا به، وإلا فإن الصبر والتقوى كفيلان برد كل باطل ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

٢- هزيمة العالم الإسلامي أمام الهجمة الأوروبية، فما كاد الأوروبيون يمتلكون القوة المادية، ويستخدمون الآلة، ويبنون المصانع ـ حتى اتجهوا إلى دول العالم الثالث؛ بحثاً عن الأسواق لبيع منتجاتهم الصناعي، وجلباً للمواد الخام اللازمة للصناعة.

ولما كانت هذه الدول تطمع في الحصول على ما تريد بأبخس الأثمان، أو بلا ثمن أصلاً ـ فإنها استخدمت قوتها العسكرية.

ولما كان العالم الإسلامي في غاية التخلف عسكرياً، وسياسياً وصناعياً ـ لم يصمد أمام تلك الهجمة، وكان للهزيمة العسكرية أثرُها

---

(١) انظر السرطان الأحمر، د. عبدالله عزام، من ص٩٩-١٠٦، والإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، والشيوعية للكاتب.

في زعزعة العقيدة، ووجود الشعور بالنقص، وتقليد الغالب، والتشبه بأخلاقه؛ ظناً منهم ـ لفرط جهلهم ـ أن أوروبا لم تتطور إلا عندما اعتنقت الإلحاد، ورفضت الدين.

٣- الاستعمار الغربي لكثير من بلاد المسلمين؛ فلقد عانى المسلمون من الاستعمار وويلاته، حيث امتص الغرب دماء المسلمين، وخيراتهم، وأوطانهم.

٤- تركيز الغرب على إفساد التعليم، والإعلام، والمرأة، وتشويه صورة علماء المسلمين، مع الحرص على نشر الفوضى الجنسية، والإباحية والعري، حيث غرق كثير من الشباب في هذا المستنقع الآسن، والإلحادُ لا يُفَرَّخ إلا في مثل هذا الجو.

٥- انحسار عقيدة الولاء والبراء عند كثير من المسلمين.

٦- انتشار الجهل بدين الإسلام.

٧- انتشار المذاهب الهدامة، والفرق الضالة، والطرق الصوفية المخذلة؛ التي تقوم على الدجل، والخرافة، وعبادة القبور والمبالغة في قصص الكرامات، كل ذلك استغله الملاحدة، ونفذوا من خلاله إلى الطعن في الدين.

٨- الابتعاث وما فيه من مفاسد؛ حيث يذهب إلى بلاد الكفر مَنْ هو خالي الوفاض في الغالب، فلا علم لديه، ولا ورع يزمُّه، ولا تقوى تردعه، فيعيش في تلك البلاد ويتأثر بما فيها من أفكار وأخلاق، وربما رجع بشهادة الدكتوراه بعد أن يفقد شهادة أن لا إله إلا الله.

٩- التقصير في جانب الدعوة إلى الله.

١٠- سقوط الخلافة الإسلامية.

١١- ترك فريضة الجهاد، والركون إلى ملذات الدنيا، والإخلاد إلى الراحة.

«الآثار المترتبة على الإلحاد»[1]:

للإلحاد والكفر آثار سيئة، وثمرات منتنة على الأفراد والجماعات.

فالأمم الكافرة تعيش حياة صعبة معقدة، ولا يجدون حلاً لمشكلاتهم، فهم يعاقبون في هذه الدنيا أشد أنواع العقوبات بالإضافة إلى ما سيلقونه يوم القيامة من النكال والعذاب والخلود في النار ـ إن ماتوا على كفرهم ـ.

وفيما يلي إجمال للآثار المترتبة على الإلحاد:

١- القلق النفسي، والاضطراب، والحرمان من طمأنينة القلب، وسكون النفس.

قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ** ﴾ [طه: ١٢٤].

كيف لا يصيب الملاحدة الهم والغم والقلق وفي داخل كل إنسان

---

(١) انظر: الكيد الأحمر للشيخ عبدالرحمن حبنكة الميداني، ص٥٥٣ وما بعدها، والإلحاد أسباب هذه الظاهرة وأسباب علاجها للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، ص٢٠-٣٣.

أسئلة محيرة؟ مَنْ خَلَق الحياة؟ وما نهايتها؟ وما بدايتها؟ وما سر هذه الروح التي لو خرجت لأصبح الإنسان جماداً؟.

من يجيب عن تلك التساؤلات؟ آلشيوعية؟! أنى لها؟!.

ثم إن هذه الأسئلة قد تهدأ في بعض الأحيان بسبب مشاغل الحياة إلا أنها ما تلبث أن تعود، وما نراه اليوم من كثرة الانتحارات، وإدمان المخدرات دليل على ذلك.

٢- الأنانية والفردية؛ نظراً لاشتغال كل فرد بنفسه؛ فلا رحمة ولا شفقة ولا عطف ولا حنان؛ أين ذلك كله من الرحمة في الإسلام؟ كما قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1].

٣- حب الجريمة؛ وهذا لا يحتاج إلى دليل فواقع الحياة في الغرب، ومعدلات السرقة والخطف ـ شاهد على ذلك.

٤- هدم النظام الأسري؛ وذلك أن الأسرة الكافرة تعيش في تفكك وتشرذم وضياع.

٥- فساد المجتمع؛ إذ أن فساده من فساد الأسرة.

٦- الرغبة في الانتحار؛ تخلصاً من الحياة:

والغريب في الأمر أن أكثرية المنتحرين ليسوا من الفقراء حتى يقال بسبب فقرهم، بل من الأغنياء المترفين، ومن الأطباء، بل ومن الأطباء

---

(١) رواه البخاري رقم (١٣)، ومسلم رقم (٤٥).

النفسانيين الذي يظن بهم أنهم يجلبون السعادة للناس!.

والغريب أن الانتحار في بعض بلدان الغرب له مؤيدون، وهناك كتب تعين الذين يريدون الانتحار، وتبين لهم الطرق المناسبة![1].

٧- إرادة الانتقام، والظمأ النفسي للتشفي من كل موجود.

٨- شيوع الكراهية والبغضاء.

٩- انعدام الثقة بين الناس؛ فكل شخص يخاف من أقرب الناس إليه، ولا أدل على ذلك مما حصل في ألمانيا الشرقية عندما انهارت فيها الشيوعية، حيث ذهب الناس إلى أقسام الشرطة؛ لينظروا ما كتب عنهم من تقريرات من خلال العمليات التجسسية، فوجد كثير منهم أن الذي كتب عنه التقرير أمُّه أو أختُه أو زوجتُه أو صديقُه!.

١٠- شيوع الأوهام والمخاوف.

١١- الإجرام السياسي: وهو من أعظم آثار الإلحاد؛ ذلك أن الأخلاق المادية الإلحادية التي جعلت قلب الإنسان يمتليء بالقسوة ـ دفعته إلى تطبيق ذلك عملياً، لذلك رأينا الدول الكبرى كيف تفعل بالدول المُسْتَعْمَرَة من الإهانة، والإذلال، والقتل، والتشريد.

ولا أدل على ذلك مما فعله ستالين إبَّان فترة حكمه؛ حيث قتل في تلك المدة أكثر من ثلاثين مليوناً.

هذا شيء من آثار الإلحاد المدمرة.

---

(١) انظر إلى كتاب: التوبة وظيفة العمر للكاتب، ففيه تفصيل لذلك.

ومن خلال ذلك يتبين لنا مدى ما تصل إليه البشرية عندما تبتعد عن وحي السماء، ويتبين لنا ـ أيضاً ـ مدى حاجتها إلى المنهج الصحيح الذي يقودها إلى سعادة الدارين.

ولا يتم ذلك إلا بالجد، والاجتهاد في الدعوة إلى الله، وبيان محاسن الإسلام، والتصدي لشبهات الملاحدة، مع العناية بتربية الناس على العقيدة الصحيحة، والأخلاق القويمة المستمدة من مشكاة الوحي، فيهدي الله بذلك من شاء هدايته ممن سبقت له الحسنى.



الرسالة الثالثة

لا إله إلا الله



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً ـ.

أما بعد:

فإن كلمة التوحيد ـ لا إله إلا الله ـ هي أساس الدين، وحصنـه الحصين، وطريقه القويم، وصراطه المستقيم.

ولهذه الكلمة المكانةُ العظمى في دين الإسلام؛ فهي أول ركن من أركان الإسلام، وأعلى شعبة من شعب الإيمان، وهي أول واجب على المكلف، وآخر واجب عليه، وقبول الأعمال متوقف على النطق بها، والعمل بمقتضاها.

وفيما يلي من صفحات سيكون الحديث عن هذه الكلمة وذلك من خلال الوقفات التالية:

- معنى لا إله إلا الله.
- أركانها.
- فضائلها.
- هل يكفي مجرد النطق بها؟
- شروطها.

فما كان في ذلك من حق فهو محض فضل الله ـ عز وجل ـ وما كان فيه من باطل فمن الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

معنى لا إله إلا الله

أما معناها الحق الذي لا ينبغي العدول عنه فهو:

لا معبود حق إلا الله.

ولا يجوز لنا أن نقول: إن معناها لا خالق إلا الله، أو لا قادر على الاختراع إلا الله، أو لا موجود إلا الله، وذلك لأمور منها:

١- أن كلمة «إله» عند العرب فِعالٌ بمعنى مفعول، كغِراس بمعنى مغروس، وفِراش بمعنى مفروش، وكتاب بمعنى مكتوب؛ فإله: فِعال بمعنى مفعول: أي مألوه، والتأله في لغة العرب معناه التنسك والتعبد، فمعنى مألوه: معبود ومنه قول رؤبة بن العجاج:

لله در الغانيات المده ... سبحن وساترجعن من تألهي(١)

وقد سمَّت العرب الشمس لما عبدوها إلهةً، وقالت مية بنت أم عتبة ابن الحرث:

تروَّحنا من اللعباء عصراً ... فأعجلنا الإلهة أن تؤوبا(٢)

٢- أن كفار قريش والمشركين في الجاهلية لا ينكرون أنه لا خالق إلا الله، أو لا قادر على الاختراع إلا الله، قال ـ تعالى ـ في شأنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

وأشعارهم مليئة بالإقرار بهذا الأمر، أعني توحيد الربوبية، ومن

---

(١) انظر لسان العرب ١٣/ ٤٦٩.

(٢) لسان العرب ١٣/ ٤٦٩.

ذلك قول زهير ابن أبي سلمى:

فلا تكتُمُن الله ما في نفوسكم ... ليُخفى ومهما يُكْتَمِ الله يعلمِ

يُؤخر فيُوضَعْ في كتاب فيُدَّخَر ... ليوم الحساب أو يعجل فينقم[1]

ومنه قول حاتم الطائي:

أما والذي لا يعلم السر غيره ... ويحيي العظام البيض وهي رميم[2]

٣- أن كفار قريش لما قال لهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ «**قولوا: لا إله إلا الله**» قالوا كما أخبر الله ـ تعالى ـ عنهم: ﴿**أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾ [ص: ٥].

فما الذي فهمه كفار قريش عندما أمرهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقولوا لا إله إلا الله؟ هل فهموا من لا إله إلا الله أن معناها لا خالق أو لا قادر على الاختراع إلا الله؟.

الجواب لا؛ لأنهم لا ينكرون ذلك، إنما أنكروا أن تكون العبادة كلها لله وحده لا شريك له، إذاً فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود حق إلا الله، وتُقَدَّر كلمة «حق» لأن المعبودات كثيرة، ولكن المعبود الحق هو الله وحده لا شريك له.

قال ـ تعالى ـ: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ**﴾ [الحج: ٦٢].

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٢٥.

(٢) شرح ديوان حاتم الطائي، ص٤٧.

أركان: لا إله إلا الله

للشهادة ركنان:

١- نفي في قوله (لا إله). ٢- إثبات في قوله (إلا الله).

فـ: (لا إله) نفت الألوهية عن كل ما سوى الله، و: (إلا الله) أثبتت الألوهية لله وحده لا شريك له.

وهذا الأسلوب يعرف بأسلوب القصر، وهو أسلوب عربي معروف، وجملة القصر في قوة جملتين، إحداهما مثبتة، والأخرى منفية.

وهذا الأسلوب من أقوى الأساليب التي يؤتى بها لتمكين الكلام وتقريره في الذهن؛ لدفع ما فيه من إنكار أو شك.

وطريقُ القصر في كلمة التوحيد: النفي والاستثناء.

ولا إله إلا الله في قوة قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩].

فطريق القصر في الآيتين تقديم ما حقه التأخير؛ ففي آية الفاتحة قدم المفعول به (إياك) على الفعل (نعبد).

وفي آية الملك قدم الجار والمجرور (وعليه) على الفعل (توكلنا).

هل يكفي مجرد النطق بـ: لا إله إلا الله [(١)]

كما مر بنا أن معنى الشهادة هو لا معبود حق إلا الله، فلا يعبد إلا الله، ولا يجوز أن يُصرف أيُّ نوع من أنواع العبادة لغير الله؛ فمن قال هذه الكلمة عالماً بمعناها، عاملاً بمقتضاها؛ من نفي الشرك، وإثبات الوحدانية، مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته والعمل به؟ فهو المسلم حقاً، ومن عمل بها من غير اعتقاد فهو المنافق، ومن عمل بخلافها من الشرك فهو المشرك الكافر وإن قالها بلسانه.

فضائل: لا إله إلا الله [(٢)]

لقد اجتمع لكلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) فضائل جمة، وثمرات عديدة، ولكثرة فضائلها كثرت أسماؤها، وما ذلك إلا لعظم ما تحمله تلك الكلمة في طياتها من عمق في المعنى والمدلول، فشأنها عظيم، ونفعها عميم، وفضائلها يقصر دونها الحصر والعد.

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٧٤-٨٠.

(٢) انظر: كلمة الإخلاص لابن رجب الحنبلي حققه بشير محمد عيون، وانظر إلى كتاب التوحيد للإمام المُجدد محمد بن عبدالوهاب خصوصاً باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، وباب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، وانظر إلى شرح هذين البابين في تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله وفتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن والقول السديد لابن سعدي وغيرها من الشروح، وانظر إلى كتاب معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي في الحديث عن فضائل كلمة الشهادة الجزء الأول.

غير أن هذه الفضائل لا تنفع قائلها بمجرد النطق بها فقط، ولا تتحقق إلا لمن قالها مؤمناً بها، عاملاً بمقتضاها.

وفيما يلي ذكر لبعض ما هو مثبوت في كتب أهل العلم في فضل تلك الكلمة، وبيان أهميتها.

١- **أنها أعظم نعمة أنعم الله بها** ـ عز وجل ـ على عباده؛ حيث هداهم إليها؛ ولهذا ذكرها في سورة النحل، التي هي سورة النِّعم، فقدمها على كل نعمة فقال: ﴿**يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ**﴾ [النحل: ٢].

٢- **وهي العروة الوثقى**: ﴿**... فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قاله سعيد بن جبير والضحاك.

٣- **وهي العهد الذي ذكره الله** ـ عز وجل ـ إذ يقول: ﴿**لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا**﴾ [مريم: ٨٧].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «العهد شهادة أن لا إله إلا الله، ويبرأ إلى الله من الحول والقوة إلا بالله، ولا يرجو إلا الله ـ عز وجل ـ»(١).

٤- **وهي الحسنى** التي ذكرها الله في قوله: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ**﴾ [الليل: ٥ - ٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٥.

قاله أبو عبدالرحمن السلمي، والضحاك عن ابن عباس - رضي الله عنهما -[(١)].

٥- **وهي كلمة الحق** كما في قوله - تعالى -: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

٦- **وهي كلمة التقوى** التي ذكرها الله في قوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

٧- **وهي القول الثابت**، قال - تعالى -: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٨- **وهي الكلمة الطيبة** المضروبة مثلاً في قوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

فأصلها ثابت في قلب المؤمن، وفرعها - في العمل الصالح - صاعدٌ إلى الله - عز وجل -.

فالكلمة الطيبة هي كلمة الإخلاص والشجرة الطيبة هي النخلة.

وقد شبه الله - سبحانه وتعالى - كلمة الإخلاص بالنخلة لأمور منها:

أ- أن النخلة لابد لها من ثلاثة أشياء: عرقٍ راسخ، وأصلٍ قائم، وفرعٍ عالٍ.

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥١٩.

كذلك الإيمان لابـد له من ثلاثة أشياء: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح.

ب ـ أن النخلة لا تنبت في كل أرض، كذلك كلمة التوحيد لا تستقر في كل قلب، بل في قلب المؤمن فقط.

جـ ـ أن النخلة عرقها ثابت بالأرض، وفرعها مرتفع، كذلك كلمة التوحيد أصلُها ثابت في قلب المؤمن، فإذا تكلم بها وعمل بمقتضاها عرجت فلا تحجب حتى تنتهي إلى الله ـ عز وجل ـ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

د ـ أن النخلة يؤكل ثمرها ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاءً، إما تمراً، أو بسراً، أو رطباً.

كذلك عمل المؤمن يصعد أول النهار، وآخره، وبركة إيمانه لا تنقطع أبداً، بل تصل إليه في كل وقت[1].

٩- وهي سبيل الفوز بالجنة، والنجاة من النار ﴿... فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وكما في الحديث المتفق عليه «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم،**

(١) انظر تفسير البغوي معالم التنزيل ٤/ ٢٤٧، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية ومحمد النمر وسليمان الحرش.

وروح منه، والجنة حق، والنار حق ـ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[١].

١٠ - أنها سبب مانع للخلود في النار لمن استحق دخولها؛ كما في حديث الشفاعة **«أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»**[٢].

فأهل لا إله إلا الله وإن دخلوها بتقصيرهم في حقوقها فإنهم لابد أن يخرجوا منها كما في الصحيحين: **«يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بُرَّةٍ من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذَرَّة من خير»**[٣].

١١ - أن من قالها يبتغي بذلك وجه الله ـ فإن الله يحرمه على النار، كما في حديث عتبان المتفق عليه **«فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»**[٤].

١٢ - ولأجلها خلقت الجن والإنس: قال الله ـ عز وجل ـ: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾** [الذاريات: ٥٦].

---

(١) البخاري ٤/ ١٣٩، ومسلم ١/ ٥٧.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٦٠) ومسلم (١٨٣)، والنسائي ٨/ ١١٣، والترمذي (٢٥٩٨)، وابن ماجه (٦٠).

(٣) البخاري (٤٤) ومسلم (١٩٣).

(٤) البخاري ١/ ١١٠ ومسلم ١/ ٦١.

١٣- **وهي سبيل السعادة في الدارين**: قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

١٤- **وهي أول واجب على المكلف**: قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»**[(١)].

١٥- **وهي آخر واجب على المكلف**: فمن كانت آخر كلامه من الدنيا ـ دخل الجنة كما جاء في حديث معاذ ـ رضي الله عنه ـ **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**[(٢)].

١٦- **وهي التي لأجلها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب** ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

١٧- **وهي مفتاح دعوة الرسل**: فالرسل ـ عليهم السلام ـ دعوا إليها جميعاً، فكلهم يقول لقومه ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣].

١٨- **وهي أفضل الحسنات**: قال أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ قلت يا رسول الله: علمني عملاً يقربني من الجنة ويباعدني من النار قال: **«إذا عملت سيئة فاعمل حسنة فإنها عشر أمثالها»**.

قال: قلت يا رسول الله: أمِنَ الحسنات لا إله إلا الله؟.

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٥) ومسلم (٢٠).

(٢) رواه أبو داود (٣١١٦) والحاكم في المستدرك ١/ ٣٥١ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٩).

قال: «**هي أفضل الحسنات**»(١).

١٩- وهي الحسنة: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]؛ إذ هي أفضل الحسنات كما مر.

٢٠- وهي أفضل ما ذكر الله به ـ عز وجل ـ: كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له**»(٢).

٢١- وهي أثقل شيء في الميزان: كما في المسند عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نوحاً ـ عليه السلام ـ قال لابنه عند موته: «**آمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع، والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله**»(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ١٦٩، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٧٣) وصحيح الجامع (٦٩٠).

(٢) رواه مالك في الموطأ ١/ ٤٢٢ وقال الألباني: وهذا إسناد مرسل صحيح، وقد وصله ابن عدي والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة مرفوعاً. انظر الصحيحة (١٥٠٣).

(٣) رواه أحمد ٢/ ١٧٠ وسنده صحيح، قاله الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٣٤.

٢٢- **وهي تطيش بسجلات الذنوب،** وترجح بصحائفها، وتثقل الميزان، كما في حديث صاحب البطاقة: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«إن الله سيخلِّصُ رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فَيحْشُرُ عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجلٍّ مثل مدِّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا ربِّ، فيقول: أَفَلَكَ عذر؟ فيقول: لا يا ربِّ.**

فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنةً؛ فإنه لا ظلم اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك.

فيقول: يا ربِّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟

فقال: إنك لا تُظْلم.

قال: فتوضع السجلات في كفةٍ، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»[١].

٢٣- **وهي أعلى شعب الإيمان:** وذلك لما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله»**[٢].

---

(١) الحديث رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وحسنه ابن ماجه (٤٣٠٠) وابن حبان (٢٥٢٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٧٧٦).

(٢) البخاري ١/ ٨ ومسلم (٣٥).

٢٤- وهي أفضل الأعمال والأذكار، وأكثرها تضعيفاً، وتعدل عتق الرقاب، وتكون حرزاً من الشيطان: كما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة ـ كانت له عَدْل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**»[1].

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرار كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل**»[2].

٢٥- أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية: كما جاء في صحيح مسلم: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ ـ أو فيسبغ ـ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبدالله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**»[3].

(١) البخاري ٧/ ١٦٧ ومسلم (٢٦٩١).
(٢) البخاري ٧/ ١٦٧ ومسلم (٢٦٩٣).
(٣) مسلم (٢٣٤).

٢٦- وهي التي يكون السؤال عنها يوم القيامة: قال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

٢٧- وهي المثل الأعلى: الذي ذكره الله ـ عز وجل ـ في قوله: ﴿...وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧].

فالمثل الأعلى هو الوصف الكامل، وأعظم وصف لله هو أنه لا إله إلا هو؛ كما جاء ذلك في آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢٨- وفي شأنها تكون السعادة والشقاوة.

٢٩- وبها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال.

٣٠- ولأجلها يفرّق بين القريب والقريب ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٣١- ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار.

٣٢- وهي أصل الدين، وأساسه، ورأس أمره، وساق شجرته، وعمود فسطاطه، وبقية الأركان والفرائض متفرعة عنها، متشعبة منها، مكملات لها، مقيدة بالتزام معناها، والعمل بمقتضاها.

٣٣- وهي الأمان من وحشة القبور، وهول المحشر.

٣٤- أن قبول الأعمال متوقف عليها وعلى تحقيقها.

٣٥- وهي أعظم سبب للتحرر من رق المخلوقين: فلا يتعلق العبد بهم، ولا يخافهم ولا يرجوهم، ولا يعمل لأجله.

وهذا هو العز الحقيقي، والشرف العالي، الذي به يتم فلاحه، ويتحقق نجاحه.

٣٦- وهي أصل كل خير ديني أو دنيوي: ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

٣٧- وهي سبب لصفاء النفس، والبعد عن الأثرة: قال ـ تعالى ـ في وصف أهلها: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩].

٣٨- وهي أعظم سبب لتحرير العقل من الخرافات والأوهام والأباطيل.

٣٩- وهي كلمة السواء: قال ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾ [آل عمران: ٦٤].

٤٠- وهي سبب للشجاعة والإقدام: فكلما ازداد الإنسان علماً بها، وعملاً بمقتضاها ـ ازداد بذلك شجاعة وإقداماً في الحق.

ولا أدل على ذلك من حال الأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ وكذلك حال أتباعهم من الصديقين، والشهداء، والصالحين، والمجاهدين في كل زمان ومكان.

٤١- أنها أعظم سبب لعلو الهمة: فأعلى الهمم الوصولُ إلى رضا الله ودخول الجنة.

وصاحبها القائم بها أعظَمُ همِّه هو ذلك الأمر.

٤٢- وهي أعظم مصدر للعزة والكرامة: قال ـ تعالى ـ: ﴿ ...وَلِلَّه

العزَّةُ وَلِرَسُولِه وَلِلْمُؤْمنينَ وَلَكنَّ المُنَافقينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨].

٤٣- وهي الصدق: كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَالَّذي جَاءَ بالصّدْق وَصَدَّقَ به** ﴾ [الزمر: ٣٣].

٤٤- وهي التي لأجلها جردت سيوف الجهاد: قال ـ تعالى ـ: ﴿ **وَقَاتلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فتْنَةٌ وَيَكُونَ الدّينُ كُلُّهُ للَّه** ﴾ [الأنفال: ٣٩].

٤٥- وهي مشتملة على نوعي الدعاء: دعاء العبادة ودعاء المسألة.

٤٦- تفريج الكربات: فمن فضائلها أنها السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، ودفع عقوبتهما، ولذا لما كان يونس ـ عليه السلام ـ في بطن الحوت، ﴿ ... **فَنَادَىٰ في الظُّلُمَات أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنّي كُنتُ منَ الظَّالمينَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ـ استجاب الله له وفرج كربته.

٤٧- أنها أعظم سبب لحسن الخلق: ولين الجانب، وكرم النفس، والارتفاع عن الدنايا، ومحقرات الأمور.

٤٨- أنها هي كلمة التوحيد: والتوحيد هو السبب الأعظم لنيل رضا الله وثوابه قال ـ تعالى ـ: ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحيمُ** ﴾ [البقرة: ١٦٣].

٤٩- أن أسعد الناس بشفاعة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**»[1].

---

(١) رواه البخاري (٩٩).

٥٠- أن من كَمُلَ التوحيد في قلبه، وعرف معنى الشهادة، وعمل بمقتضاها ـ سهل عليه فعل الخيرات، وترك المنكرات، وهانت عليه المصيبات؛ فالمخلص لله تخف عليه الطاعات؛ لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي؛ لما يخشى من سخطه وأليم عقابه، ويتسلى عند المصائب؛ لعلمه أنها من عند الله، وكل ما يصيبه من الله فهو خير له في دينه ودنياه، علم حكمة ذلك أم لم يعلم.

٥١- أنها إذا اكتملت المعرفة بها، والعمل بمقتضاها حبب الله لصاحبها الإيمان، وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

٥٢- أن التوحيد إذا كمل وتم في القلب، وتحقق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام ـ صار القليل من عمله كثيراً، وتضاعفت أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب.

٥٣- أن الله تكفل لأهلها بالفتح والنصر في الدنيا، والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى، وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال.

٥٤- أن الله يدفع عن أهلها شرور الدنيا والآخرة: قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

٥٥- وهي حبل الله المتين: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٥٦- الحياة الطيبة: فالحياة الطيبة إنما هي لأهل الإيمان والتوحيد الخالص.

قال ـ عز وجل ـ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: ٥٥].

٥٧- حصول البشرى عند الممات: فمن فضائلها أن من استقام عليها تحصل له البشرى عند الممات.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠].

٥٨- وهي شعار المؤمنين الموحدين: فهم أهل لا إله إلا الله.

٥٩- وهي الرابطة بين المؤمنين: فبمجرد الإيمان بها ينتسب الإنسان إلى أشرف نسب؛ فيصبح إبراهيم ـ عليه السلام ـ أباك، وأزواجُ النبي أمهاتِك، وباقي المؤمنين إخوةً لك.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ ...مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

٦٠- وهي سبب استغفار الملائكة: فالملائكة تستغفر للمؤمنين ـ أهل لا إله إلا الله ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [غافر: ٧].

٦١- وهي سبب استغفار المؤمنين: قال ـ تعالى ـ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

فكل مؤمن يستغفر للمؤمنين ينالك أيها الموحد نصيب من بركة ذلك الاستغفار.

٦٢- وهي كلمة الإخلاص: لأن عمل القلب هو الأصل.

٦٣- وهي كلمة الإحسان: قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ (٦٠)﴾ [الرحمن: ٦٠] قال ـ تعالى ـ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

يعني قالوا لا إله إلا الله[1].

٦٤- وهي دعوة الحق: قال ـ تعالى ـ: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤].

قال ابن عباس: «هي لا إله إلا الله» ا.هـ[2].

وتقديم الخبر يفيد الحصر أي لا يقال لا إله إلا الله إلا في حقه ـ تعالى ـ.

٦٥- وهي كلمة العدل: التي قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].

قال ابن عباس: «العدل شهادة أن لا إله إلا الله»[3].

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٨٠.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٨٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٥٦٥.

٦٦- **وهي الطيب من القول:** قال - تعالى -: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤].

أي هدوا إلى كل طيب، فلا أطيب ولا أطهر من هذه الكلمة.

٦٧- **وهي الكلمة الباقية:** فالتوحيد لا يزول بكل معصية، ولكن كل معصية تزول بسبب التوحيد وتفنى، قال تعالى عن إبراهيم - عليه السلام -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨].

فذكرها - عز وجل - بعد ذكر معنى الشهادة فقوله: ﴿بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ بمعنى لا إله، ﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ بمعنى إلا الله.

٦٨- **وهي كلمة الله العليا:** قال - تعالى -: ﴿...وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠].

فكلمة الله عليا على الدوام؛ ولهذا لم يعطفها على ما قبلها.

٦٩- **وهي النجاة:** كما في قول مؤمن آل فرعون ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر: ٤١].

والنجاة هي لا إله إلا الله، ولا تكون النجاة إلا بها.

٧٠- **وهي كلمة الاستقامة:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: ٣٠].

٧١- **وهي سبب الاجتماع والألفة:** فكلمة التوحيد هي أساس توحيد الكلمة، ولا يكون الاجتماع إلا عليها، فلقد امتن الله على المؤمنين بها، فجمع بها شملهم بعد الشتات، ولَمَّ شعثهم بعد التفرق.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٧٢- **وهي القول السديد:** كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

٧٣- **وهي البـرُّ:** قال ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٧٤- **وهي الدين:** كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] فَحُصِرَ الخضوع لله، ودل على أنه لا إله سواه، ولا معبود إلا إياه.

٧٥- **وهي الصراط المستقيم:** قال ـ تعالى ـ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

وقال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢)﴾ [الشورى: ٥٢].

٧٦- **وهي سبب النصر على الأعداء:** قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)﴾ [الأنفال: ٤٥]، ولا إله إلا الله أعظم ذكر.

٧٧- **وهي سبب التمكين في الأرض:** قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥].

٧٨- **وهي سبب للرفعة والعلو:** فلقد عز بها بلال الحبشي وسلمان الفارسي ـ رضي الله عنهما ـ، وذل بسبب تركها أشراف قريش.

لقد رفع الإسلام سلمان فارس كما وضع الكفر الشريفَ أبا لهب

٧٩- وهي سبب لعصمة الدماء والأموال: قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام»(١).

٨٠- وهي كلمة الشهادة: قال ـ تعالى ـ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

٨١- وهي المعروف الأكبـر: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فالتوحيد هو المعروف الأكبر، كما أن الشرك هو المنكر الأكبر.

٨٢- وهي أول شيء يدعى إليه: كما في حديث معاذ ـ رضي الله عنه ـ عندما بعثه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى اليمن فقال: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»(٢).

٨٣- وهي ملة أبينا إبراهيم ـ عليه السلام ـ: قال ـ تعالى ـ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨].

٨٤- وهي الزكاة: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ٦، ٧].

(١) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٠).
(٢) البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).

قال ابن القيم - رحمه الله - في إغاثة اللهفان: «قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم هي التوحيد؛ شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان الذي به يزكو القلب؛ فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب، وذلك طهارته وإثبات إلهيته - سبحانه - وهو أصل كل زكاء ونماء»[١].

٨٥- وبسببها تبيض وجوه وتسود وجوه: فتبيض وجوه أهلها أهل الطاعة والإيمان، وتسود وجوه أعدائها من أهل الكفر والعصيان، قال - تعالى -: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

هذا فيض من غيض من فضائلها وثمراتها العظيمة.



(١) إغاثة اللهفان ص٥٦ تحقيق مجدي فتحي السيد.

شروط لا إله إلا الله [١]

ذكر العلماء لكلمة الإخلاص شروطاً سبعة، لا تصح إلا إذا اجتمعت، واستكملها العبد، والتزمها بدون مناقضة لشيء منها.

وليس المرادُ من ذلك عدَّ ألفاظِها وحِفْظَهَا؛ فكم من عامي اجتمعت فيه، والتزمها ولو قيل له عَدِّدْها لم يحسن ذلك.

وكم من حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم، وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها.

وهذه الشروط مأخوذة بالتتبع والاستقراء، وقد نظمها الشيخ حافظ الحكمي ـ رحمه الله ـ بقوله:

العلمُ واليقينُ والقبولُ ... والانقياد فَادْرِ ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة ... وفَّقك الله لما أحبه [٢]

---

(١) انظر: شروح كتاب التوحيد تيسير العزيز الحميد وفتح المجيد وحاشية ابن قاسم في شرح باب تفسير شهادة أن لا إله إلا الله وانظر معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي ص٢٧٣-٢٨٤، والشهادتان للشيخ عبدالله بن جبرين ص٧٧-٨٥، والأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبدالرحمن الدوسري ص٢٤-٢٦، ولا إله إلا الله محمد رسول الله تفسير وتوضيح للدكتور الشريف حمدان بن راجح الهجادي ص٣٦-٤٠ ومختصر معارج القبول لهشام آل عقدة ص ٩٩-١٠٢، وغيرها من الكتب التي تكلمت على ذلك خصوصاً كتب أئمة الدعوة.

(٢) منظومة سلم الوصول إلى علم الأصول ص٢٣.

ونظمها بعضهم بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها

وأضاف بعضهم شرطاً ثامناً ونظمه بقوله:

وزيد ثامنُها الكفران منك بما سوى الإله من الأوثان قد أُلِها

وهذا الشرط مأخوذ من قوله - صلى الله عليه وسلم -: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه**»[١].

هذه هي الشروط السبعة مع زيادة الشرط الثامن على وجه الإجمال، وإليك تفصيلها:

١- **العلم**: والمراد به العلم بمعناها نفياً وإثباتاً، وما تستلزمه من عمل، فإذا علم العبد أن الله - عز وجل - هو المعبود وحده، وأن عبادة غيره باطلة، وعمل بمقتضى ذلك العلم - فهو عالم بمعناها.

وضد العلم الجهل؛ بحيث لا يعلم وجوب إفراد الله بالعبادة، كأن يرى جواز عبادة غير الله مع الله.

قال - تعالى -: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقال: ﴿...إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦)﴾ [الزخرف: ٨٦].

أي من شهد بلا إله إلا الله وهم يعلمون بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم.

---

(١) رواه مسلم (٢٣).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾ [آل عمران: ١٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٩)﴾ [الزمر: ٩].

وقال: ﴿...إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (٤٣)﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وفي الصحيح عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[١].

٢- اليقين: وهو أن ينطق بالشهادة عن يقين يطمئن إليه قلبه، دون تسرب شيء من الشكوك التي يبذرها شياطين الجن والإنس، بل يقولها موقناً بمدلولها يقيناً جازماً.

فلابد لمن أتى بها أن يوقن بقلبه، ويعتقد صحة ما يقوله من أحقية إلهية الله ـ تعالى ـ وبطلان إلهية من عداه، وأنه لا يجوز أن يُصرف لغيره شيءٌ من أنواع التأله والتعبد.

فإن شك في شهادته، أو توقف في بطلان عبادة غير الله؛ كأن يقول: أجزم بألوهية الله، ولكنني متردد ببطلان إلهية غيره ـ بطلت

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٢١٨.

شهادتُه ولم تنفعه.

قال ـ تعالى ـ مثنياً على المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

وقد مدح الله المؤمنين ـ أيضاً ـ بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥].

وذم المنافقين بقوله: ﴿...وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥].

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**»[1].

وعنه ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه ـ فبشِّرْهُ بالجنة**»[2].

٣- القبـول: والقبول يعني أن يقبل كل ما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، فيصدق بالأخبار، ويطيع الأوامر، ويؤمن بكل ما جاء عن الله وعن رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ويقبل ذلك كله، ولا يرد منه شيئاً، ولا يجني على النصوص بالتأويل الفاسد، والتحريف الذي

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٢٢٤.
(٢) مسلم ١/ ٢٣٧.

نهى الله عنه، بل يصدق الخبر، ويمتثل الأمر، ويقبل كل ما جاءت به هذه الكلمة ،اقتضته بكل رضا، وطمأنينة، وانشراح صدر.

قال ـ تعالى ـ واصفاً المؤمنين بامتثالهم، وقبولهم، وعدم ردهم: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وضد القبول: الرد، فإن هناك من يعلم معنى الشهادة ويوقن بمدلولها، ولكنه يردها كبراً وحسداً.

وهذه حال علماء اليهود والنصارى كما قال ـ تعالى ـ عنهم: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ ...حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وكذلك كان المشركون يعرفون معنى لا إله إلا الله، وصدق رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكنهم يستكبرون عن قبول الحق كما قال ـ تعالى ـ عنهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥].

وقال ـ تعالى ـ عنهم: ﴿ ... فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وكذلك كان شأن فرعون مع موسى ـ عليه السلام ـ.

ويدخل في الرد وعدم القبول من يعترض على بعض الأحكام الشرعية، أو الحدود التي حدها الله ـ عز وجل ـ كالذين يعترضون على حد السرقة، أو الزنا، أو على تعدد الزوجات، أو المواريث، وما إلى ذلك، فهذا كله داخل في الرد وعدم القبول؛ لأن الله يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً** ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ويقول: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ويدخل في الرد ـ أيضاً ـ من يعطل أسماء الله وصفاته، أو يمثلها بصفات المخلوقين.

٤- **الانقياد:** وذلك بأن ينقاد لما دلت عليه كلمة الإخلاص.

ولعل الفرق بين الانقياد والقبول أن القبول إظهار صحة معنى ذلك بالقول.

أما الانقياد فهو الاتباع بالأفعال، ويلزم منهما جميعاً الاتباع.

فالانقياد هو الاستسلام، والإذعان، وعدم التعقب لشيء من أحكام الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ** ﴾ [الزمر: ٥٤].

وقال: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾ [النساء: ١٢٥].

وقال: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

وقال ـ تعالى ـ مثنياً على إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١)﴾ [البقرة: ١٣١].

ومن الانقياد ـ أيضاً ـ أن ينقاد العبد لما جاء به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رضاً، وعملاً دون تعقب أو زيادة أو نقصان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ [النساء: ٦٥].

وإذا علم أحد معنى لا إله إلا الله، وأيقن بها، وقبلها، ولكنه لم ينقد لها، ولم يعمل بمقتضاها ـ فإن ذلك لا ينفعه، كما هي حال أبي طالب، فهو يعلم أن دين محمد حق، بل إنه ينطق بذلك ويعترف، حيث يقول مدافعاً عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أُوَسَّدَ في التراب دفينا
فاصدع بأمرك لا عليك غضاضة ... وافرح وقرَّ بذاك منك عيونا
ولقد علمت بأن دينَ محمدٍ ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامةُ أو حِذارُ مسبةٍ ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

فما الذي نقص أبا طالب؟ الذي نقصه هو الإذعان والاستسلام.

وكذلك الحال بالنسبة لبعض المستشرقين؛ فهم يعجبون بالإسلام، ويوقنون بصحته ويعترفون بذلك، وتجد بعض المسلمين يهشون لذلك الإطراء، ويطربون لهؤلاء القوم، ويصفونهم بالموضوعية والتجرد.

ولكن إعجابَهم ويقينَهم واعترافَهم لا يكفي، بل لابد من الانقياد.

ومن عدم الانقياد ترك التحاكم لشريعة الله ـ عز وجل ـ واستبدالها بالقوانين الوضعية، الفرنسية، والإنجليزية، والسويسرية وغيرها.

٥- الصدق: وهو الصدق مع الله، وذلك بأن يكون العبد صادقاً في إيمانه، صادقاً في عقيدته.

ومتى كان ذلك فإنه سيكون مصدقاً لما جاء في كتاب ربه، وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

فالصدق أساس الأقوال، ومن الصدق أن يصدق في دعوته، وأن يبذل الجهد في طاعة ربه، وحفظ حدوده، قال ـ تعالى ـ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال في وصف الصحابة: ﴿...**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقال: ﴿**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ**﴾ [الزمر: ٣٣].

وقد ورد اشتراط الصدق في الحديث الصحيح حيث قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**من قال لا إله إلا الله صادقاً من قلبه دخل الجنة**»[1].

وضد الصدق الكذب، فإن كان العبد كاذباً في إيمانه فإنه لا يعد مؤمناً، بل هو منافق؛ وإن نطق بالشهادة بلسانه، وحاله هذه أشد من حال الكافر الذي يظهر كفره.

فإن قال الشهادة بلسانه وأنكر مدلولها بقلبه فإن هذه الشهادة لا

(١) رواه أحمد في المسند ٤/ ١٦.

تنجيه، بل يدخل في عداد المنافقين، الذين ذكر الله عنهم أنهم قالوا ﴿. . .نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]. فرد الله عليهم تلك الدعوى بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

وقال ـ تعالى ـ أيضاً في شأن هؤلاء: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

والأدلة في ذلك كثيرة جداً وهي مبسوطة في أوائل سورة البقرة، وفي سورة التوبة أيضاً وغيرها.

فإذا قامت أعمال الإنسان واعتقاداته على عقيدة سليمة كان الإيمان قوياً سليماً، وبالتالي يكون العمل مقبولاً بإذن الله، والعكس بالعكس.

ثم إن الناس يتفاوتون في الصدق تفاوتاً عظيماً.

ومما ينافي الصدق في الشهادة تكذيب ما جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو تكذيب بعض ما جاء به؛ لأن الله ـ سبحانه ـ أمرنا بطاعة الرسول وتصديقه، وقرن ذلك بطاعته قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقد يلتبس على بعض الناس الأمر في موضوع اليقين والصدق، لذا يقال: إن اليقين أعم من التصديق، وعلى ذلك يكون كلُّ موقن مصدقاً، وليس كل مصدق موقناً؛ أي بينهما عموم وخصوص كما يقول أهل الأصول؛ أي أن الموقن قد مر بمرحلة التصديق.

٦- **الإخــــلاص:** وهو تصفية الإنسان عمله بصالح النية من جميـع شوائب الشرك .

وذلك بأن تصدر منه جميع الأقوال والأفعال خالصة لوجه الله ، وابتغاء مرضاته ، ليس فيها شائبة رياء ، أو سمعة ، أو قصد نفع ، أو غرض شخصي ، أو شهوة ظاهرة أو خفية ، أو أن يندفع للعمل لمحبة شخص ، أو مذهب ، أو مبدأ ، أو حزب يستسلم له بغير هدى من الله .

والإخلاص كذلك مهم في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ فلا يجعل دعوته حرفة لكسب الأموال ، أو وسيلة للتقرب إلى غير الله ، أو الوصول للجاه والسلطان .

بل لابد أن يكون مبتغيـاً بدعوته وجـه الله والدار الآخرة ، ولا يلتفت بقلبه إلى أحد من الخلق يريد منه جزاءً أو شكوراً .

والقرآن والسنة حافلان بذكر الإخلاص ، والحث عليه ، والتحذير من ضده ، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **أَلا لِلَّه الدِّينُ الخَالِصُ** ﴾ [الزمر : ٣] ، وقولـه : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [البينـة : ٥] ، وقوله : ﴿ **قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي** ﴾ [الزمر : ١٤] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : « **أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه** »[١] .

---

(١) رواه البخاري (٩٩) .

وفي الصحيحين من حديث عتبان «**فإن الله حرَّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[١].

ويدخل في ذلك الإخلاصُ في اتباع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك بالاقتصار على سنته وتحكيمه، وترك البدع، والمخالفات، ونبذ ما يخالف شرعه من التحاكم إلى ما وضعه البشر من عادات، وقوانين؛ فإن رضيها أو حكم بها لم يكن من المخلصين.

وضد الإخلاص الشرك، والرياء، وابتغاء غير وجه الله.

فإن فقد العبد أصل الإخلاص فإن الشهادة لا تنفعه أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**﴾ [الفرقان: ٢٣].

فلا ينفعه حينئذ أي عمل يعمله؛ لأنه فقد الأصل، قال ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)**﴾ [النساء: ٤٨].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: قال الله ـ تبارك وتعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[٢].

وإن فقد الإخلاص في عمل من الأعمال ذهب أجر ذلك العمل.

وبالجملة فالإخلاص هو تصفية العمل من كل شوب؛ بحيث لا

---

(١) رواه البخاري ١/ ١١٠ ومسلم ١/ ٦١.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٩٨٥).

يمازجه ما يشوبه من شوائب الشرك أو إرادة النفس: إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم أو محبتهم، أو خدمتهم، إلى غير ذلك من الشوائب التي عَقْدُ متفرقها إرادةُ ما سوى الله بالعمل.

فمدار الإخلاص على أن يكون الباعث على العمل أولاً امتثال أمر الله.

ولا حرج بعد هذا على من يطمح إلى شيء آخر، كالفوز بنعيم الآخرة، أو النجاة من أليم عذابها.

بل لا يذهب بالإخلاص بعد ابتغاء وجه الله أن يخطر في بال العبد أن للعمل الصالح آثاراً في هذه الحياة، كطمأنينة النفس، وأمنها من الخاوف، وصيانتها من مواقف الهوان، إلى غير هذا من الخيرات التي تعقب العمل الصالح، ويزداد به إقبال النفوس على الطاعات قوة على قوة.

٧- المحبة: أي المحبة لهذه الكلمة العظيمة، ولما دلت عليه واقتضته، فيحب الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويقدم محبتهما على كل محبة، ويقوم بشروط المحبة ولوازمها، فيحب الله محبة مقرونة بالإجلال والتعظيم والخوف والرجاء، فيحب ما يحبه الله من الأمكنة؛ كمكة المكرمة، والمدينة المنورة، والمساجد ـ عموماً ـ، والأزمنة؛ كرمضان، وعشر ذي الحجة، وغيرها، وما يحبه من الأشخاص

كالأنبياء، والرسل، والملائكة، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وما يحبه من الأفعال كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والأقوال كالذكر وقراءة القرآن.

ومن المحبة ـ أيضاً ـ تقديم محبوبات الله على محبوبات النفس وشهواتها ورغباتها، وذلك لأن النار حفت بالشهوات، والجنة حفت بالمكاره.

ومن لوازم تلك المحبة أن يكره ما يكرهه الله ورسوله؛ فيكره الكفار، ويبغضهم، ويعاديهم، ويكره الكفر، والفسوق، والعصيان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)﴾ [التوبة: ٢٤].

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله رسوله أحب إليه مما سواهما**» الحديث[(١)].

(١) البخاري (١٦).

وعلامة هذه المحبة الانقياد لشرع الله واتباع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وضد المحبة الكراهية لهذه الكلمة، ولما دلت عليه وما اقتضه، أو محبة غير الله مع الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)﴾ [البقرة: ١٦٥].

فهؤلاء الذين بَيَّن الله ـ جل وعلا ـ شأنهم في هذه الآية يحبون الله، ولكنهم يحبون معه غيره مثل محبته على أحد التفسيرين، ومع ذلك سماهم الله ظالمين، والظلم هنا بمعنى الشرك بدليل قوله ـ تعالى ـ في الآية التي تليها: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

فإذا كان هذا هو شأن من أحب الله، وأحب معه غيره مثل حبه ـ فكيف بمن أحب غير الله أكثر من حبه لله؟ وكيف بمن أحب غير الله ولم يحب الله ـ سبحانه وتعالى ـ؟.

بل كيف بمن أحب غير الله، وكره الله، وحارب الله ـ سبحانه وتعالى ـ؟!.

ومما ينافي المحبة ـ أيضاً ـ بغض الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

أو بغض ما جاء به الرسول، أو بغض بعض ما جاء به ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ومما ينافيها موالاة أعداء الله من اليهود، والنصارى، وسائر الكفار والمشركين.

ومما ينافيها ـ أيضاً ـ معاداة أولياء الله المؤمنين.

ومما ينافي كمالها المعاصي والذنوب.

نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يرزقنا حبه وحب من يحبه والعمل الذي يقربنا إلى حبه إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.





الرسالة الرابعة

توحيد الربوبية



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً ـ.

أما بعد:

فإن توحيد الربوبية مبحث مهم من مباحث العقيدة؛ ذلك أنه متعلق بأصل الأصول، وأوجـب الواجبات وهـو الإيمان بالله ـ عز وجل ـ فمما يتضمنه الإيمان بالله الإيمان بربوبيته، وتفرده بالخلق، والرزق، والتدبير.

ومما يدل على أهميته ما يثمره من الثمرات العظيمة؛ فالعلم به، والإيمان بمقتضاه يثمر إجلال الرب، وتعظيمه، ورجاءه، ومحبتـه والخوف منه إلى غير ذلك؛ فلا ينبغي التقليل من شأنـه، ولا تـرك الحديث عنه، كما لا ينبغي ـ في الوقت نفسه ـ أن يجعل الغاية في التوحيد، كما هو شأن أهل الكلام، بل إن الغاية في التوحيد هو توحيد الألوهية ـ كما سيأتي بيانه ـ.

ولعل فيما يلي من صفحات أيضاحاً لهذا المبحث، وذلك من خلال الوقفات التالية:

- تعريف توحيد الربوبية.
- معنى كلمة الرب.
- أسماء هذا النوع من التوحيد.
- أدلته.
- إنكار الربوبية.
- أنواع ربوبية الله على خلقه.
- توحيد الربوبية ليس هو الغايةَ في التوحيد.
- آثار توحيد الربوبية وفوائده.
- ما ضد توحيد الربوبية؟
- الفِرَق التي أشركت بالربوبية.

وأخيراً أسأل الله ـ تبارك وتعالى ـ أن ينفعنا بما نقول ونسمع، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، وأن يغفر لنا زللنا وخطأنا، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

تعريف توحيد الربوبية

هو الإقرار الجازم بأن الله وحده ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه، وأنه الخالق للعالم، المحيي المميت، الرزاق ذو القوة المتين، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، لا رادَّ لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له، ولا مماثل، ولا سمي، ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته[1].

وهناك تعريف آخر مختصر وهو: توحيد الله بأفعاله.

أسماء هذا النوع من التوحيد

لهذا النوع من التوحيد أسماء أخرى منها:

١- توحيد الربوبية كما سبق.

٢- التوحيد العلمي.

٣- التوحيد الخبري.

٤- توحيد المعرفة والإثبات.

٥- التوحيد الاعتقادي.

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله، ص٣٣-٣٤، وأعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي، تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي، ص٥٥، وانظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان، ص١٦.

معنى كلمة الرب

كلمة الرب في اللغة تطلق على عدة معانٍ.

قال ابن منظور: «الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبِّر، والمربي، والقيِّم، والمنعم».

وقال: ولا يطلق غير مضاف إلا على الله ـ عز وجل ـ وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: ربُّ كذا.

قال: وقد جاء في الشعر مطلقاً على غير الله ـ تعالى ـ وليس بالكثير، ولم يذكر في غير الشعر»(١).

وقال: «ورب كل شيء: مالكه ومستحقه، وقيل: صاحبه.

ويقال: فلان رب هذا الشيء أي مِلْكُه له.

وكل من ملك شيئاً فهو ربه، يقال: هو ربُّ الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت، وهن ربات الحجال»(٢).

أما الرب من حيث إنه اسم من أسماء الله فمعناه: من له الخلق والأمر والملك، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ المُلْكُ﴾ [فاطر: ١٣].

قال ابن منظور: «الرب: هو الله ـ عز وجل ـ هو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك»(٣).

---

(١) لسان العرب ١/ ٣٣٩-٤٠٠.

(٢ ، ٣) لسان العرب ١/ ٣٣٩.

أدلة توحيد الربوبية

أدلة توحيد الربوبية كثيرة متنوعة، تدل على تفرد الله بالربوبية على خلقه أجمعين، فقد جعل الله لخلقه أموراً لو تأملوها حق التأمل وتفكروا بها ـ لَدَلَّتْهُمْ إلى أن هناك خالقاً مدبراً لهذا الكون.

والقرآن مليء بذكر الأدلة على ربوبية الله، فمن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة: ٢]، وقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقوله: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [يس: ٨٢, ٨٣]، وقوله: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الروم: ٤٠].

ومن الدلالات على ربوبية الله على خلقه مايلي:

١- دلالة الفطرة: ذلك أن الله ـ سبحانه ـ فطر خلقه على الإقرار بربوبيته، وأنه الخالق، الرازق المدبر، المحيي المميت؛ فالإيمان بالربوبية أمر جبلي مركوز في فطرة كل إنسان، ولا يستطيع أحد دفعه ولا رفعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «ولما كان الإقرار بالصانع فطرياً كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**كل مولود يولد على الفطرة**»[1] الحديث ـ فإن الفطرة تتضمن الإقرار بالله، والإنابة إليه، وهو معنى لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي يعرف ويعبد»[2].

ولهذا فإن المشركين في الجاهلية كانوا مقرين بتوحيد الربوبية مع شركهم بالألوهية.

ومما يدل على ذلك ما هو مبثوث في ثنايا أشعارهم، ومن ذلك قول عنترة:

يا عبل أين من المنية مهربي ... إن كان ربي في السماء قضاها[3]

وقول زهير ابن أبي سلمى:

فلا تكتُمُنَّ الله ما في نفوسكم ... ليخفى ومهما يُكْتَمِ الله يعلمِ

يُؤَخر فَيُوضَعْ في كتاب فَيُدَّخرْ ... ليوم الحساب أو يُعَجَّلْ فينقمِ[4]

ولقد بين الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذلك في القرآن كما في قوله: **﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٦١)﴾** [العنكبوت: ٦١].

٢- دلالة الأنفس: فالنفس آيةٌ كبيرةٌ من آيات الله الدالة على ربوبيته،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ٦.

(٣) ديوان عنترة ص٧٤.

(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى ص٢٥.

ولو أمعن الإنسان النظر في نفسه وما فيها من العجائب لعلم أن وراء ذلك رباً حكيماً خالقاً قديراً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التغابن: ٣]، وقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾﴾ [الشمس: ٧].

٣- دلالة الآفاق: كما قال سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣].

فلو تأمل الإنسان الآفاق وما أودع الله فيها من الغرائب والعجائب ـ لأدرك أن هناك خالقاً لهذه الأكوان، وأنه عليم حكيم[1].

إنكار الربوبية

لم ينكرْ توحيدَ الربوبية أحدٌ من البشر، إلا طائفة من الشذاذ، المكابرين، المعاندين، المنكرين لما هو متقرر في فطرهم؛ فإنكارهم إنما كان بألسنتهم مع اعترافهم بذلك في قرارة أنفسهم.

ومن أشهر من عرف بذلك فرعون؛ الذي قال لقومه ـ كما أخبر الله عنه ـ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

---

(١) انظر الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة: ٧١-٧٢ للشيخ عبدالرزاق العباد، والإيمان بالله للكاتب ص١٤-٥٩ ط١.

وكلامه هذا مجرد دعوى لم يَقُمْ عليها بينةٌ، ولا دليلٌ، بل كان هو نفسُه غير مؤمن بما يقول.

قال ـ سبحانه وتعالى ـ على لسان موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢)﴾ [الإسراء: ١٠٢].

وأخبر ـ عز وجل ـ وهو العليم بذات الصدور ـ أن كلام فرعون ودعواه لم يكن عن عقيدة ويقين، وإنما هو مكابرة وعناد، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

وممن أنكر ذلك ـ أيضاً ـ الشيوعيون، فلقد أنكروا ربوبية الله، بل أنكروا وجوده ـ سبحانه وتعالى ـ بناءً على عقيدتهم الخبيثة الفاجرة التي تقوم على الكفر بالغيب، والإيمان بالمادة وحدها.

وهم في الحقيقة لم يزيدوا على أن سموا الله بغير اسمه، بحيث ألَّهوا الطبيعة، ونعتوها بنعوت الكمال التي لا تليق بأحد إلا الله ـ عز وجل ـ، فقالوا: الطبيعة حكيمة، الطبيعة تخلق، إلى غير ذلك.

وكلامهم هذا باطل متهافت، بل إن أصحاب هذا المبدأ انشقوا على أنفسهم، ولعن بعضُهم بعضاً، وكَفَّرَ بعضُهم ببعض.

أنواع ربوبية الله على خلقه

ربوبية الله على خلقه على نوعين:

١- **الربوبية العامة**: وهي لجميع الناس؛ بَرِّهم وفاجرِهم مؤمنِهم وكافرِهم؛ وهي خلقه للمخلوقين، ورزقُهم، وهدايتهم، لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

٢- **الربوبية الخاصة**: وهي تربيته لأوليائه المؤمنين، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب؛ فإن مطالبهم كلَّها داخلةٌ تحت ربوبيته الخاصة[١].

توحيد الربوبية ليس هو الغاية في التوحيد

توحيد الربوبية حق، وأمره عظيم، ولا يصح إيمان العبد إذا لم يؤمن به، ولكن هذا النوع من أنواع التوحيد ليس هو الغايةَ التي جاءت بها الرسل، وأنزلت من أجلها الكتب، وليس الغايةَ التي من جاء بها فقد جاء بالتوحيد وكماله؛ ذلك أن الله أمر بعبادته التي هي كمال النفوس وصلاحها وغايتها، ولم يقتصد على مجرد الإقرار به كما هو

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ ابن سعدي ١/ ٢٨٨.

غاية الطريقة الكلامية[١].

أضف إلى ذلك أن المشركين كانوا مقرين به كما مر، ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام؛ لأن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي وحده، بل لا بد من توحيد الألوهية.

ثم إن توحيد الربوبية مركوز في الفطر كلها، فلو كان هو الغاية لما كان هناك حاجة من إرسال الرسل وإنزال الكتب.

آثار توحيد الربوبية وثمراته

للإيمان بالربوبية آثار عظيمة، وثمرات كثيرة، فإذا أيقن المؤمن أن له ربّاً خالقاً هو الله ـ تبارك وتعالى ـ وأن هذا الرب هو رب كلِّ شيءٍ ومليكُه وهو مصرف الأمور، وأنه هو القاهر فوق عباده، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض ـ أَنِسَت رُوحُه بالله، واطمأنت نفسه بذكره، ولم تزلزله الأعاصير والفتن، وتوجه إلى ربه بالدعاء، والالتجاء، والاستعاذة، وكان دائماً خائفاً من تقصيره، وذنبه؛ لأنه يعلم قدرة ربه عليه، ووقوعه تحت قهره وسلطانه، فتحصل له بذلك التقوى، والتقوى رأس الأمر، بل هي غاية الوجود الإنساني[٢].

ولهذا قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي**

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٢/ ١٢.

(١) انظر منهج جديد لدراسة التوحيد للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ص٨٢.

الله ربّاً وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ رسولاً»[1].

ومن ثمراته أن الإنسان إذا علم أن الله هو الرزاق، وآمن بذلك، وأيقن أن الله بيده خزائن السموات والأرض، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع ـ قطع الطمع من المخلوقين، واستغنى عما بأيديهم، وانبعث إلى إفراد الله بالدعاء والإرادة والقصد.

ثم إذا علم أن الله هو المحيي المميت، النافع الضار، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن أمره كلَّه بيد الله ـ انبعث إلى الإقدام والشجاعة غير هياب، وتحرر من رق المخلوقين، ولم يعد في قلبه خوف من سوى الله ـ عز وجل ـ.

وهكذا نجد أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية.

والكلام في مقتضيات الربوبية وما تثمره من ثمرات يفوق الحصر والعد، وما مضى إنما هو إشارات عابرة يقاس عليها غيرُها.

ما ضد توحيد الربوبية

يضاد توحيد الربوبية الإلحاد، وإنكار وجود الرب ـ عز وجل ـ.

ويضاده ـ أيضاً ـ اعتقاد متصرف مع الله ـ عز وجل ـ في أي شيء؛ من تدبير الكون، من إيجاد، أو إعدام، أو إحياء، أو إماتة، أو جلب خير، أو دفع شر، أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له

---

(١) رواه مسلم (٣٤)، وأحمد (١/٢٠٨).

في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته، كعلم الغيب، أو كالعظمة، والكبرياء، ونحو ذلك[(١)].

وكما يضاده ـ أيضاً ـ اعتقاد مشرع مع الله ـ عز وجل ـ لأنه هو الرب وحده، وربوبيته شاملة لأمره الكوني والشرعي.

الفرق التي أشركت بالربوبية [(٢)]

هناك أقوامٌ أشركوا بالربوبية، وفِرَقٌ أشركت به، ومن هؤلاء:

١- المجوس: «الأصلية» قالوا بالأصلين: النور والظلمة، وقالوا: إن النور أزليٌّ، والظلمة محدثة.

٢- الثنوية: «**أصحاب الاثنين الأزليّن**»: يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس الذين قالوا بحدوث الظلام، لكن قالوا باختلافهما في الجوهر، والطبع، والفعل، والخبر، والمكان، والأجناس، والأبدان، والأرواح، ولم يقولوا بتماثلهما في الصفات والأفعال، كما ترى، وإن قالوا بتساويهما في القدم.

٣- المانوية: «**أصحاب ماني بن فاتك**»: قالوا: إن العَالَمَ مصنوع من أصلين قديمين، ولكن قالوا باختلافهما في النفس، والصورة، والفعل، والتدبير.

(١) انظر أعلام السنة المنشورة ص٥٦.

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، ص٢٤-٢٦.

٤- **النصارى: «القائلون بالتثليث»**: فالنصارى لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضها عن بعض، بل هم متفقون على أنه صانع واحد يقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، ويقولون: واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم.

أما الأقانيم فإنهم عجزوا عن تفسيرها.

وقولهم هذا متناقض أيما تناقض وتصوره كافٍ في رده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «ولهذا قال طائفة من العقلاء: إن عامة مقالات الناس يمكن تصورُها إلا مقالة النصارى، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا، بل تكلموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين ولهذا قال بعضهم: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا عن أحدَ عشرَ قولاً.

وقال آخر: لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال الرجل قولاً، وامرأته قولاً آخر، وابنه قولاً ثالثاً»[1].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في معرض رده عليهم: «أما خبر ما عندكم أنتم فلا نعلم أمةً أشدَّ اختلافاً في معبودها منكم؛ فلو سألت الرجل، وامرأته، وابنته، وأمه، وأباه، عن دينهم لأجابك كلٌّ منهم بغير جواب الآخر»[2].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٢/ ١٥٥.
(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم، ص٣٢١.

بل قيل فيهم: «لو توجهت إلى أي نصراني على وجه الأرض، وطلبت منه أن يصور لك حقيقة دينه، وما يعتقده في طبيعة المسيح تصويراً دقيقاً ـ لما استطاع ذلك»[(١)].

هذا وقد بيَّن الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) ما عندهم من التناقض، وكذلك الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (محاضرات في النصرانية).

٥- القدرية: هم في الحقيقة مشركون في الربوبية، وهذا لازم لمذهبهم؛ لأنهم يرون أن الإنسان خالقٌ لفعله، فهم أثبتوا لكل أحد من الناس خَلْقَ فعله.

والخلق إنما هو مما اختص الله به، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].

وأفعال العباد لا يخرجها شيء من عموم خلقه ـ عز وجل ـ[(٢)].

٦- الفلاسفة الدهرية: في قولهم في حركة الأفلاك بأنها تسعة، وأن التاسع منها وهو الأطلس يحرك الأفلاك كلها، فجعلوه مبدأ الحوادث، وزعموا أن الله يحدث ما يقدره في الأرض.

٧- عبدة الأصنام من مشركي العرب وغيرهم: ممن كانوا يعتقدون أن الأصنام تضر وتنفع، فيتقربون إليها، وينذرون لها، ويتبركون بها.

---

(١) ما يجب أن يعرفه المسلم عن حقائق النصرانية والتبشير لإبراهيم الجبهان، ص١٣.

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٨/ ٢٥٨ والإيمان بالقضاء والقدر للكاتب ص١٧٣-١٧٤.

٨- غلاة الصوفية: لغلوهم في الأولياء، وزعمِهم أنهم يضرون، وينفعون، ويتصرفون في الأكوان، ويعلمون الغيب، ولقولهم بوحدة الوجود، وربوبيةِ كلِّ شيءٍ[(١)].

٩- الروافض: لقولهم بأن الدنيا والآخرة للإمام، يتصرف بها كيف يشاء، وأن تراب الحسين شفاءٌ من كل داء، وأمانٌ من كل خوف، ولقولهم: إن أئمتهم يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا بإذنهم.

وهذا باطل، وبطلانه لا يحتاج إلى دليل، بل إن فساده يغني عن إفساده[(٢)].

١٠- النصيرية: لقولهم بألوهية علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وبأنه المتصرف بالكون، لوصفهم إياه بأوصاف لا يجوز أن يوصف بها أحد إلا الله ـ عز وجل ـ مع اختلاف أقوالهم في هذا؛ فبعضهم يقول: إنه يسكن في الشمس ويُسَمَّون بـ: الشمسية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في القمر، ويُسَمَّون بـ: القمرية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في السحاب، ولذا إذا رأوا السحاب قالوا: السلام عليك يا أمير النحل[(٣)].

---

(١) انظر هذه هي الصوفية لعبدالرحمن الوكيل، ص٣٥-٣٨ و ١٣٣.

(٢) انظر الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب، تحقيق: محمد مال الله، ص٦٩، وانظر مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر القفاري، ج١/ ٢٩٠، والشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير، ص٦٦.

(٣) انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد بن أحمد الخطيب، ص٣٤١، ودراسات في الفرق لصابر طعيمة، ص٤٢، والنصيرية، د. سهير=

١١- الدروز: لقولهم بألوهية الحاكم بأمر الله العبيد، وغلوهم فيه، ووصفِه بأوصافٍ لا تليق إلا بالله وحده، كقولهم عنه: «إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور»[١].

١٢- من يعتقدون تأثير النجوم والكواكب والأسماء: وذلك كحال الذين يتتبعون الأبراج ويقولون ـ رجماً بالغيب ـ إذا ولد فلان في البرج الفلاني أو الشهر الفلاني أو اليوم الفلاني، أو كان اسمه يبدأ بحرف كذا أو كذا ـ فسيصيبه كذا وكذا، ويضعون عليها دعاياتٍ تقول: مِنْ شهر ميلادك تعرف حظك، أو من اسمك تعرف حظك.

كل ذلك شرك في الربوبية؛ لأنه ادعاءٌ لعلم الغيبِ، والغيبُ لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له.

١٣- القانونيون: الذين يَصدون ويصدفون عن شرع الله، والذين يحكمون الناس بالقوانين الوضعية، التي هي من نحاتة أفكارهم، وزبالة أذهانهم.

فهؤلاء محاربون لله، منازعون له في ربوبيته وحكمه وشرعه[٢].

= الفيل، ص٩٣-١٠٣، والباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية لسليمان الأذني، دار الصحوة.

(١) انظر عقيدة الدروز، عرض ونقض د. محمد بن أحمد الخطيب، ص١١٧، وانظر الحركات الباطنية، ص٢٣٣-٢٣٨.

(٢) انظر رسالة تحكيم القوانين لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ.

الرسالة الخامسة

توحيد الألوهية



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً ـ.

أما بعد:

فغير خافٍ على من عنده أدنى إلمام بعلم العقيدة ـ ما لتوحيـد الألوهية من الأهمية؛ فهو توحيد العبادةِ، والعبادةُ هي الغاية المرضية والمحبوبة لله ـ عز وجل ـ وهي الغاية العظمى والمقصود الأسمى؛ فلأجلها خلقت الجنة والنار، وقام سوق الجهاد بين المؤمنين والكفار، ولأجلها أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل.

ثم إن توحيد الألوهية دعوة جميع الأنبياء والمرسلـيـن، ومـن اقتفى أثرهم من العلماء، والدعاة والمصلحين.

وفيما يلي من صفحات سيكون الحديث عن توحيد الألوهيـة، وذلك من خلال المباحث التالية:

- تعريف توحيد الألوهية.
- أسماؤه الأخرى.
- أهمية توحيد الألوهية.

- أدلتـــــه. - أركانـــــه.
- تعريف العبادة لغةً، واصطلاحاً.
- الفرق بين العبادة وتوحيد العبادة.
- متى تقبل العبادة؟.
- أهمية الإخلاص والمتابعة.
- أركان العبادة.
- أيُّهما يغلب، الرجاء أو الخوف؟.
- الخوف الواجب والخوف المستحب.
- أنواع العبادة.
- عبودية الخلق لله ـ عز وجل ـ.
- فضائل توحيد الألوهية.
- أسباب نمو التوحيد في القلب.
- طرق الدعوة إلى توحيد الألوهية في القرآن الكريم.
- علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية في القرآن الكريم.
- ما ضد توحيد الألوهية؟.
- الفرق التي أشركت في توحيد الألوهية.

هذا ما تيسر جمعه وتقييده في هذا الباب، فأسأل الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن ينفع بهذه الصفحات، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

تعريف توحيد الألوهية

عرف العلماء توحيد الألوهية بتعريفات متقاربة، إلا أن بعضها قد يكون أطول من بعض، فمن تلك التعريفات مايلي:

١- هو إفراد الله بأفعال العباد.

٢- هو إفراد الله بالعبادة.

٣- هو إفراد الله ـ تعالى ـ بجميع أنواع العبادة؛ الظاهرة، والباطنة، قولاً، وعملاً، ونفي العبادة عن كل من سوى الله ـ تعالى ـ كائناً من كان[١].

٤- وعرفه الشيخ عبدالرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ بتعريف جامع ذكر فيه حد هذا التعريف، وتفسيره، وأركانه، فقال: «فأما حدُّه، وتفسيره، وأركانه ـ فهو أن يعلم، ويعترف على وجه العلم، واليقين أن الله هو المألوه وحده المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة بأحد من المخلوقات، ولا يستحقها إلا الله ـ تعالى ـ.

فإذا عرف ذلك واعترف به حقَّاً أفرده بالعبادة كلها؛ الظاهرة، والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة: كالصلاة، والزكاة، والصوم،

---

(١) انظر أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة للشيخ حافظ الحكمي، ص٥١.

والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والقيام بحقوق الله، وحقوق خلقه.

ويقوم بأصول الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره، وشره لله.

لا يقصد به غرضاً من الأغراض غير رضا ربّه، وطلب ثوابه، متابعاً في ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

فعقيدته ما دل عليه الكتاب والسنة، وأعماله وأفعاله ما شرعه الله ورسوله، وأخلاقه، وآدابه الاقتداءُ بنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هديه، وسمته، وكل أحواله[1].

قال الشيخ حافظ الحكمي ـ رحمه الله ـ عن هذا النوع في منظومته سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد:

هذا وثاني نوعي التوحيد إفرادُ ربِّ العرش عن نديد
أن تعبد الله إلهاً واحداً معترفاً بحقه لا جاحدا[2]

(١) انظر: الحق الواضح المبين لابن سعدي ١١٢-١١٣ والفتاوى السعدية لابن سعدي ص١٠-١١، والشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في العقيدة د. عبدالرزاق العباد ١٥١-١٥٢.

(٢) سلم الوصول إلى علم الأصول، للشيخ حافظ الحكمي ص٢٩.

أسماؤه الأخرى[1]

توحيد الألوهية يسمى بعدة أسماء منها:

١- توحيد الألوهية ـ كما مر ـ وسمي بذلك، باعتبار إضافته إلى الله، أو باعتبار الموحِّد، ولأنه مبني على إخلاص التأله، وهو أشد المحبة لله وحده، وذلك يستلزم إخلاص العبادة.

٢- توحيد العبادة؛ باعتبار إضافته إلى الموحِّد وهو العبد، ولتضمنه إخلاص العبادة لله وحده.

٣- توحيد الإرادة؛ لتضمنه الإخلاص، وتوحيد الإرادة والمراد، فهو مبني على إرادة وجه الله بالأعمال.

٤- توحيد القصد؛ لأنه مبنيٌّ على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده.

٥- التوحيد الطلبي؛ لتضمنه الطلب، والدعاء من العبد لله.

٦- التوحيد الفعلي؛ لتضمنه لأفعال القلوب والجوارح.

٧- توحيد العمل؛ لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده.

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله ص٣٨.

أهميتــــه

توحيد الألوهية أهم أنواع التوحيد، فمن أجل تحقيقه أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وسلت سيوف الجهاد، وفرق بين المؤمنين والكافرين.

يقول الشيخ حافظ الحكمي عن أهميته في منظومته.

وهو الذي به الإله أرْسلا رسْلَه يدعون إليه أولا
وأنزل الكتابَ والتبيانا من أجله وفرّق الفرقانا
وكلف الله الرسولَ المجتبي قتالَ من عنه تولى وأبى
حتى يكونَ الدينُ خالصاً له سرّاً وجهراً دقَّه وجلَّه
وهكذا أمته قد كلفوا بذا وفي نص الكتاب وصفوا[١]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مبيناً أهمية توحيد العبادة: «وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له، والمرضية له، التي خلق الخلق لها كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال

(١) سلم الوصول ص٢٩-٣٠.

ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ⁽١٩⁾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

وذم المستكبرين عنها بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال ـ تعالى ـ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦] وقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]»[١].

وقال رحمه الله في موطن آخر: «واعلم أن فقر العبد إلى الله أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً ـ ليس له نظير فيقاس عليه، لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب، وبينهما فروق كثيرة.

فإن حقيقةَ العبدِ قلبُه وروحُه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو، فلا يطمئن بالدنيا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته، ولابد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بلقائه، ولو حصل للعبد لذاتٌ أو سرورٌ بغير الله فلا يدوم ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت وفي بعض الأحوال، وتارة أخرى يكون ذلك الذي يتنعم به والتذ ـ غير منعمٍ ولا ملتذٍ له، بل قد يؤذيه اتصالُه به، ووجوده عنده، ويضره ذلك.

وأما إلهه فلابد له منه في كل حال، وكل وقت، وأينما كان فهو

---

(١) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٣٩-٤٠ طبعة المكتب الإسلامي.

معه، ولهذا قال إمامنا إبراهيم الخليل ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ﴿لا أُحبُّ الآفِلين﴾ [الأنعام: ٧٦].

وكان أعظم آية في القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]»[1].

وقال ـ رحمه الله ـ: «فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه، ويطمئن به، ويتنعم بالتوجه إليه إلا الله ـ سبحانه ـ ومن عبد غير الله ـ وإن أحبه، وحصل به مودة في الحياة الدنيا، ونوع من اللذة ـ فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة التذاذ أكل الطعام المسموم»[2].

وقال ـ رحمه الله ـ: «واعلم أن كل من أحب شيئاً لغير الله فلا بد أن يضره محبوبه، ويكون ذلك سبباً لعذابه»[3].

وقال: «فمن أحب شيئاً لغير الله فالضرر حاصل له إن وجد أو فقد، فإن فقد عُذِّب بالفراق وتألم، وإن وجد فإنه يحصل له من الألم أكثرُ مما يحصل له من اللذة، وهذا أمر معلوم بالاعتبار بالاستقراء.

وكل من أحب شيئاً دون الله لغير الله فإن مضرَّته أكثرُ من نفعه؛ فصارت المخلوقات وبالاً عليه، إلا ما كان لله وفي الله؛ فإنه كمال وجمال للعبد.

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٢٤-٢٥.
(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٢٤.
(٣) مجموع الفتاوى ١/ ٢٨.

وهذا معنى ما يروى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه**»(١)(٢).

وقال الشيخ ابن سعدي ـ رحمه الله ـ مبيناً أهمية هذا النوع: «وهذا الأصل أعظم الأصول على الإطلاق، وأكملها، وأفضلها، وأوجبها، وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجنَّ والإنسَ لأجله، وخلق المخلوقات، وشرع الشرائعَ لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، وجميع الآيات القرآنية إما أمر بحق من حقوقه، أو نهي عن ضده، أو إقامة حجة عليه، أو بيان جزاء أهله في الدنيا والآخرة، أو بيان الفرق بينهم وبين المشركين»(٣).

ومما يدل على أهميته أن قبول الأعمال متوقف عليه، وأنه يتضمن جميع أنواع التوحيد فكلها تدخل فيه؛ فمن اعتقده فهو معتقد لغيره من الربوبية والأسماء والصفات، ومن اكتفى بغيره دونه لم يدخل في دين الإسلام.

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٢٩.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، وقال الترمذي حسن غريب، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٤١٤).

(٣) انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن لابن سعدي، ص ١٩٢.

أدلة توحيد الألوهية

لقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة، وتنوعت دلالتها في وجوب إفراد الله بالعبادة؛ فتارة تأتي نصوص الكتاب آمرةً بتوحيد الله أمراً مباشراً، وتارة تأتي مبينةً الغاية من خلق الجن والإنس، وتارة تأتي موضحةً الهدف من إسال الرسل وإنزال الكتب، وتارة تأتي محذرةً من مخالفته، وتارة تأتي لبيان ثواب من عمل به في الدنيا والآخرة، وتارة لبيان عقوبة من تركه، وتخلى عنه، أو ناوأه، وحارب أهله.

فمن تلك الأدلة من الكتاب والسنة على وجود إفراد الله بالعبادة قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ من قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش: ٣]، وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا به شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا به شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقولـه: ﴿وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ من رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ومن السنة ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن معاذ ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت رديف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حمار فقال لي: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟**.

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: **حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً.**

قلت: أفلا أبشر الناس؟.

قال: **لا تبشرهم فيتكلوا**»[1].



(١) البخاري ٨/ ١٦٤، ومسلم ١/ ٥٨، والترمذي ٥/ ٢٦.

أركان توحيد الألوهية [1]

توحيد الألوهية يقوم على أركان ثلاثة هي:

١- **توحيد الإخلاص**: ويسمى توحيد المراد، فلا يكون للعبد مرادٌ غير مراد واحد وهو الله - سبحانه وتعالى - فلا يزاحمه مرادٌ آخر.

٢- **توحيد الصدق**: ويسمى توحيد إرادة العبد، وذلك بأن يبذل جهده وطاقته في عبادة ربه.

٣- **توحيد الطريق**: وهو المتابعة للرسول - صلى الله عليه وسلم -.

قال ابن القيم - رحمه الله -:

فلواحدٍ كن واحداً في واحدٍ ... أعني سبيل الحق والإيمان

فقوله: (فلواحدٍ): أي لله، وهذا هو توحيد المراد.

وقوله: (كن واحداً): في عزمك، وصدقك، وإرادتك، وهذا هو توحيد الإرادة.

وقوله (في واحد): هو متابعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي هو طريق الحق والإيمان، فهذا هو توحيد الطريق [2].

---

(١) انظر: الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، ص١٥٢، والأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للشيخ عبدالعزيز السلمان ص٤٢-٤٣.

(٢) انظر: شرح القصيدة النونية لابن القيم، شرح الشيخ محمد خليل هراس، ٢/ ١٣٤.

والأدلة على هذه الأركان الثلاثة كثيرة، فمن أدلة الإخلاص قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ودليل الصدق قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادقينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ودليل المتابعة قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فمن اجتمعت له هذه الثلاثة نال كل كمال وسعادة وفلاح، ولا ينقص كمال العبد إلا بنقص واحد من هذه الأشياء.



تعريف العبادة لغةً، واصطلاحاً

تعريف العبادة لغةً: هي التذلل والخضوع فيقال بعير معبد أي مذلل، وطريق معبد أي مذلل، ذللته الأقدام.

ومنه قول طرفة بن العبد في معلقته المشهورة يصف ناقته:

تباري عتاقاً ناجيات وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد[1]

فقوله: فوق مور معبد: أي فوق طريق مذلل من كثرة السير عليه، فالمور هو الطريق.

تعريف العبادة في الاصطلاح: عرفت العبادة في الاصطلاح بعدة تعريفات، ومنها ما يلي:

١- عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بأنها: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[2].

٢- وعرفها ابن القيم بأنها: «كمال المحبة مع كمال الذل».

وقال في النونية:

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان[3]

٣- وعرفها الشيخ ابن سعدي ـ رحمه الله ـ بعدة تعريفات منها قوله:

---

(١) شرح المعلقات العشر للزوزني، ص٩٧.

(٢) العبودية، ص٣٨.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٣٢.

«العبادة روحُها وحقيقتُها تحقيقُ الحبِّ والخضوع لله؛ فالحب التام والخضوع الكامل لله هو حقيقة العبادة، فمتى خلت العبادة من هذين الأمرين أو من أحدهما ـ فليست عبادة؛ فإن حقيقتها الذل والانكسار لله، ولا يكون ذلك إلا مع محبته المحبة التامة التي تتبعها المحاب كلها»[١].

٤- وعرفها بتعريف ثانٍ فقال: «العبادة والعبودية لله اسم جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من العقائد، وأعمال القلوب، وأعمال الجوارح، فكل ما يقرب إلى الله من الأفعال، والتروك فهو عبادة، ولهذا كان تارك المعصية لله متعبداً متقرباً إلى ربه بذلك»[٢].

ومما ينبغي التنبيه عليه أن العبادة تطلق إطلاقين:[٣]

١- الفعل الذي هو التَّعَبُّد.

٢- المفعول وهو المُتَعَبَّدُ به أو القربة.

مثال ذلك الصلاة ففعلها عبادة وهو التعبد، وهي نفسها عبادة وهي المتعبد به.

فعلى الإطلاق الثاني تُعَرَّف العبادة بتعريف شيخ الإسلام، وعلى الإطلاق الأول تُعَرَّف بالتعريف الثاني والثالث.

---

(١) الحق الواضح المبين، ص ٥٩-٦٠.

(٢) الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، ص١٦٢.

(٣) انظر القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عثيمين، ١/ ١٠.

أما التعريف الرابع الذي هو تعريف ابن سعدي فإنه يشمل الإطلاقين الفعل والمفعول.

ومن التعريفات لها أيضاً «الأعمال الصالحة الإرادية التي تُؤَدَّى لله - تعالى - ويفرد بها»[1].

وهذا يشمل الإطلاقين أيضاً.

الفرق بين العبادة وتوحيد العبادة

الفرق بينهما ظاهر؛ فالعبادة هي ذات القربة أو فعلها.

أما توحيدها فصرفها لله وحده لا شريك له.

متى تقبل العبادة؟

لا تقبل العبادة إلا إذا توفر فيها شرطان:

١- الإخلاص لله.

٢- المتابعة للرسول - صلى الله عليه وسلم -.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «وجماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال - تعالى -: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

---

(١) عبودية الكائنات لرب العالمين: فريد التوني، ص٢٥.

وذلك تحقيق الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله، وشهـادة أن محمداً رسول الله؛ ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه؛ فعلينا أن نصدق خبره، ونطيع أمره»[1].

فمن أراد عبادة الله فلابد له من توفر الشرطين ولسان حاله يقول: (إياك أريد بما تريد).

قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢].

قال: أخلصه وأصوبه.

قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وما أصوبه؟

قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة[2].

فإذا فُقِد الشرطان أو أحدُهما بطلت العبادة.

وتوضيح ذلك بالمثال الآتي: لو أن شخصاً صلى لغير الله وعلى صفة غير الصفة التي علمنا إياها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لردت عبادته، لماذا؟.

لأنه فقد الشرطين معاً.

---

(١) العبودية، ص١٧٠.

(٢) انظر العبودية، ص٧٦.

كذلك لو صلى كما كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي؛ بحيث أتى بصفة الصلاة كاملة، ولكنها صرفها لغير الله لبطلت عبادته، لماذا؟.

لأنه فقد الإخلاص، والله سبحانه يقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨] وقال: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٨].

كذلك لو صلى لله ولكن على صفة غير الصفة التي علمنا إياها الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ بحيث ابتدع صفة من عنده بطلت عبادته؛ لأنه فقد المتابعة، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول في الحديث المتفق عليه: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[١].

أي مردود، والجار والمجرور في قوله «عليه» متعلق بمحذوف تقديره (حاكماً أو مهيمناً).

وفي رواية أخرى للحديث «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٢].

وهذان الشرطان ـ في الحقيقة ـ متلازمان؛ فإن من الإخلاص لله أن تتبع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ واتباعُه ـ عليه الصلاة والسلام ـ مستلزم للإخلاص.

---

(١) مسلم (١٧١٨)، وأحمد ٦/ ١٤٦.

(٢) البخاري ٣/ ١٦٧، ومسلم (١٧١٨).

أهمية الإخلاص والمتابعة

مما يدل على أهمية الإخلاص والمتابعة اللذين هما شرطا قبول العبادة مايلي:

١- أن الله أمر بإخلاص العبادة له، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [الأعراف: ٢٩].

٢- أن الله ـ تعالى ـ اختص نفسه بالتشريع، فهو حقه وحده، ومن تَعَبَّد الله بغير ما شرع فقد شارك الله ـ عز وجل ـ في تشريعه، قال ـ تعالى ـ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٣- أن الله أنكر على من يشرع من عند نفسه، قال ـ تعالى ـ: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١].

٤- أن الله أكمل لنا الدين، ورضيه لنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

فالابتداع في الدين إنما هو في الحقيقة استدراك على الله وعلى رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واتهام للدين بالنقص.

٥- أنه لو جاز للناس أن يتعبدوا بما شاءوا، كيفما شاءوا ـ لأصبح لكل إنسان طريقتُه الخاصة بالعبادة، ولأصبحت حياةُ الناس جحيماً

لا يطاق؛ إذ يسود التناحر والتنافر؛ لاختلاف الأذواق، مما يؤدي إلى الشقاق والافتراق؛ والاتباعُ وترك الابتداع أعظمُ سببٍ للائتلاف والاجتماع.

٦- لو جاز للناس أن يعبدوا الله بما شاءوا كيفيما شاءوا ـ لترتَّب على ذلك عدم حاجة الناس إلى الرسل، ولا يقول بهذا عاقل[١].

أركـــان العبـــادة

للعبادة ثلاثة أركان، هي:

١- الحـب ٢- الخوف ٣- الرجاء

وجعلها بعض أهل العلم أربعة: الحب، والتعظيم، والخوف، والرجاء.

ولا تعارض بين الأمرين؛ فإن الرجاء ينشأ من الحب، فلا يرجو الإنسان إلا من يحب، وكذلك الخوف ينشأ من التعظيم، فلا يخاف الإنسان إلا من عظيم.

وقد أثنى الله على أهل الخوف والرجاء من النبيين والمرسلين فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ومدح القائمين بذلك من سائر عباده، فقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال: ﴿وَيَرْجُونَ

(١) الكلام في هذا بعضه مستفاد من مذكرة في التوحيد للشيخ د. عبدالله الجاسر.

رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقال: **﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾** [السجدة: ١٦].

كما أمر ـ عز وجل ـ باستحضار ذلك وقصْدِه فقال: **﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾** [الأعراف: ٥٦].

هذه هي عبادة الأنبياء والمرسلين، وعباد الله المؤمنين، فمن ذا الذي هو أحسن منهم؟ وأكمل من هديهم؟ وهل تقبل دعواه؟!!

الجواب: لا، فالخوف والرجاء متلازمان؛ فكلاهما بريد الفوز بالجنة، والنجاة من النار، فلو سألت من لا يزني من المؤمنين ـ مثلاً ـ مع قدرته على الزنا: لم لا تزني؟ لبادر بقوله: إني أخاف الله، وأرجو ثوابه.

ولو سألت المصلي لِمَ تصلي؟ لقال: خوفاً من الله وطمعاً في ثوابه، وهكذا. . .

فغير الله قد يُحَبُّ ولكن لا يُخاف منه، وقد يُخاف منه ولكن لا يُحب.

أما الله ـ عز وجل ـ فيجتمع الأمران في حقه؛ فيُخاف ويحب، فلابد للمؤمن ـ إذاً ـ من الجمع بين الحب، والخوف، والرجاء، والتعظيم.

أما العبادة بالحب وحده فلا تكفي، وليست صحيحة؛ لأنها لا تتضمن تعظيماً لله، ولا خشيةً منه؛ إذ إن صاحبها يجعل الله ـ سبحانه ـ بمنزلة الوالد والصديق، فلا يتورع من اقتراف المحرمات، بل يستهين بها بحجة أن الحبيب لا يعذب حبيبه، كما قالت اليهود والنصارى

﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، وكما يقول غلاة الصوفية: نحن نعبد الله لا خوفاً من عقابه ولا طمعاً في ثوابه، إنما نعبد الله حباً له كما عبر بذلك كثير منهم كرابعة العدوية التي تقول:

أحبك حبين حبَّ الهوى وحبّاً لأنك أهلٌ لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجبَ حتى أراكا[١]

وكما قال ابن عربي:

أدين بدين الحب أني توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني[٢]

ولا شك أن هذا مسلك باطل، وطريقه فاسدة، لها آثار وخيمة منها الأمن من مكر الله، وغايته الخروج من الملة؛ فالذي يتمادى في التفريط والخطايا ويرجو رحمة ربه بلا عمل يقع في الغرور، والأماني الباطلة، والرجاء الكاذب.

كذلك العبادة بالخوف وحده، دون الحب والرجاء ليست صحيحة، بل هي باطلة فاسدة، وهي طريقة الخوارج الذين لا يجعلون تعبدهم لله مقروناً بالمحبة، فلا يجدون للعبادة لذة، ولا إليها رغبة، فتكون منزلة الخالق عندهم كمنزلة سلطان جائر، أو ملك ظالم، وهذا مما يورث اليأس أو القنوط من رحمة الله، وغايته الكفر بالله، وإساءة

(١) الصوفية في نظر الإسلام: دراسة وتحليل لسميح عاطف الزين، ص٢٥٧.
(٢) الشعر الصوفي إلى مطلع القرن التاسع للهجرة، د. محمد بن سعد بن حسين، ص١٧٢.

الظن به، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني»**[١].

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول قبل وفاته بثلاث: **«لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ـ عز وجل ـ»**[٢].

وحسن الظن هو الباعث على العمل؛ الذي يلزم منه تحري الإجابة عند الدعاء، والقبول عند التوبة، والمغفرةِ عند الاستغفار والإثابةِ عند العمل.

أما ظن المغفرة والإجابة والإثابة مع الإصرار على الذنوب والتقصير في العمل ـ فليس من حسن الظن في شيء، بل هو سَفهٌ وجهل وغرور.

فلابد للعابد أن يكون الله أحبَّ إليه من كل شيء، وأن يكون الله أعظمَ عنده من كل شيء؛ فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله؛ فإنك إذا خفته فررت إليه، فالخائف من الله هارب إليه قال ـ تعالى ـ: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠].

وهناك مقولة مشهورة عند السلف، وهي قولهم، من عَبَدَ الله بالحب وحده ـ فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن

---

(١) رواه البخاري مع الفتح (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).
(٢) رواه مسلم (٢٨٧٧).

عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالخوف، والـرجـاء، والحب، فهو مؤمن موحد[1].

أيهما يُغلّب، الرجاء أو الخوف ؟ [2]

الجواب: أنه اختُلف في ذلك على أقوال منها:

١- قيل: ينبغي أن يغلِّب الإنسان جانب الخوف؛ ليحمله ذلك على فعل الطاعة وترك المعصية.

٢- وقيل: يغلِّب جانب الرجاء؛ ليكون متفائلاً والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يعجبه الفأل.

٣- وقيل: في فعل الطاعة يغلب الرجاء؛ لينبعث إلى العمل؛ فالذي منَّ عليه بالطاعة سَيَمُنُّ عليه بالقبول، ولهذا قال بعض السلف: إذا وفقك الله للدعاء فانتظر الإجابة؛ لأنه يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وفي فعل المعصية يغلب جانب الخوف؛ لأجل أن يمنعه ذلك من فعل المعصية قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥].

---

(١) انظر العبودية، ص١٢٨.

(٢) انظر الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ٣٠-٣٢ والقول المفيد ١/ ٥١-٥٢ و ٢/ ١٦٤-١٦٥، وانظر الرسالة التاسعة، ففيها تفصيل للحب، والخوف، والرجاء.

وهذا قريب ولكن ليس بالقرب الكامل، إذ قد يُعْتَرض عليه بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

٤- وقيل: يغلب جانب الخوف في الصحة، وجانب الرجاء في المرض.

٥- وقيل: هما كجناحي الطائر، فالمؤمن يسير إلى الله بجناحين هما الرجاء والخوف، فإذا استويا تم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت.

٦- وقيل يختلف من شخص إلى شخص، ومن حال إلى حال، والله أعلم.

«الخوف الواجب والخوف المستحب»

الخوف الواجب هو ما يحمل على فعل الواجبات وترك المحرمات.

والخوف المستحب هو ما يحمل على فعل المستحبات، وترك المكروهات.



أنواع العبادة[1]

العبادة لها أنواع كثيرة، فبعضها قولي؛ كشهادة أن لا إله إلا الله، وبعضها فعلي؛ كالجهاد في سبيل الله، وإماطة الأذى عن الطريق، وبعضها قلبي؛ كالحياء، والمحبة، والخوف، والرجاء، وغيرها، وبعضُها مشترك كالصلاة مثلاً فإنها تجمع ذلك كله.

ومن أنواع العبادة ـ زيادة على ما سبق ـ الزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للمنافقين والكفار، والإحسان إلى الحيوان، والأيتام، والمساكين، وابن السبيل، والمملوك من الآدميين، والدعاء، والذكر، وكذلك الذبح، والنذر، والاستعاذة، والاستغاثة، والاستعانة، والتوكل، والتوبة، والاستغفار.

وهذه العبادات لا يجوز صرفها إلا لله، ومن صرفها لغيره فقد أشرك.

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص٣٩-٤٢ والإرشاد للشيخ صالح الفوزان، ص١٩، وانظر عقيدة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس ص٤٧-٧٠.

عبودية الخلق لله [1]

تنقسم عبودية الخلق لله إلى ثلاثة أقسام:

١- **عبودية عامة:** ويشترك فيها كافة الخلق؛ برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣)﴾ [مريم: ٩٣].

فهذه عبودية الربوبية فالخق كلهم عبيد لله مربوبون له.

٢- **خاصة:** وهي عبودية الألوهية، وهي عبودية عباد الله الصالحين وهم كل من تعبد لله بشرعه، وأخلص في عبادته.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

ولهذا أضافهم إلى اسمه إشارة إلى أنهم وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، وهذه إضافة التشريف.

٣- **خاصة الخاصة:** وهي ـ أيضاً ـ عبودية الألوهية، وهي للأنبياء والمرسلين الذين لا يباريهم ولا يدانيهم أحد في عبادتهم لله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا﴾ [ص: ٤٥]، وقال عن نوح: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، وقال عن داود ـ عليه السلام ـ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا

---

(١) انظر القول المفيد ١/٢٨-٢٩.

دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ [ص: ١٧]، وقال عن محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ** ﴾ [الإسراء: ١]، وقال: ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ** ﴾ [الجن: ١٩].

فضائل توحيد الألوهية (١)

توحيد الله، وإفراده بالعبادة أجَلُّ النِّعم وأفضلها على الإطلاق، وفضائله وثمراته لا تعد ولا تحد، ففضائل التوحيد، كثيرة تنتظم خيري الدنيا والآخرة، ومن تلك الفضائل مايلي:

١- أنه أعظم نعمة أنعمها الله على عباده، حيث هداهم إليه، كما جاء في سورة النحل التي تسمى سورة النعم، فالله ـ عز وجل ـ قدم نعمة التوحيد على كل نعمة، فقال في أول سورة النحل: ﴿ **يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ** ﴾ [النحل: ٢].

٢- أنه الغاية من خلق الجن والإنس: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٣- أنه الغاية من إنزال الكتب ومنها القرآن، قال ـ تعالى ـ فيه:

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص٣٦-٣٩، والقول السديد لابن سعدي، ص١٦ عند باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، ومعارج القبول في الحديث عن فضائل الشهادة: ١/٢٦٨ إلى ٢٧١، ولا إله إلا الله للكاتب، ص١٠-٣٥.

﴿الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ① أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ١, ٢].

٤- أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، ودفع عقوبتهما كما في قصة يونس ـ عليه السلام ـ.

٥- أنه يمنع من الخلود في النار، إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل.

٦- أنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية كما في حديث عتبان في الصحيحين؛ قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[1].

٧- حصول الاهتداء الكامل، والأمن التام لأهله في الدنيا والآخرة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

٨- أنه السبب الأعظم لنيل رضا الله وثوابه.

٩- أن أسعد الناس بشفاعة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه.

١٠- أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتيب الثواب عليها ـ على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

---

(١) البخاري، ١/ ١١٠، ومسلم ١/ ٦١.

١١- أنه يسهل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات، ويسليه عن المصيبات؛ فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده ـ تخف عليه الطاعات؛ لما يرجوه من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي؛ لما يخشى من سخطه وأليم عقابه.

١٢- أن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان، وزيّنه في قلبه، وكره إليه الكفر، والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

١٣- أنه يخفف على العبد المكاره، ويهون عليه الآلام؛ فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح، ونفس مطمئنة، وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.

١٤- أنه يحرر العبد من رق المخلوقين، ومن التعلق بهم، وخوفهم، ورجائهم، والعمل لأجلهم.

وهذا هو العز الحقيقي، والشرف العالي، فيكون بذلك متألهاً متعبداً لله، فلا يرجو سواه، ولا يخشى غيره، ولا ينيب إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.

١٥- ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء ـ أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب، وتحقق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام ـ فإنه يُصَيِّر القليل من العمل كثيراً، وتضاعف أجور صاحبه بغير حصر ولا حساب.

١٦- أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر، والعز والشرف، وحصول الهداية، والتيسير لليسرى، وإصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال

والأفعال.

١٧- أن الله يدافع عن الموحدين شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة، والطمأنينة إليه وبذكره.

وشواهد ذلك من الكتاب والسنة كثيرة، فمن حقق التوحيد حصلت له هذه الفضائل كلها وأكثر منها، والعكس بالعكس.

أسباب نمو التوحيد في القلب

التوحيد شجرة تنمو في قلب المؤمن، فيبسقُ فرعها، ويزداد نموها، ويزدان جمالها كلما سقيت بالطاعة المقربة إلى الله ـ عز وجل ـ، فتزداد بذلك محبة العبد لربه، ويزداد خوفه منه، ورجاؤه له، ويقوى توكله عليه، وبهذا يكتمل التوحيد ويتحقق؛ فليس تحقيقه بالتمني، ولا بالدعاوى الخالية من الحقائق.

وإنما يتحقق بما وقر في القلب من عقائد الإيمان، وحقائق الإحسان، وصدّقته الأخلاق الجميلة، والأعمال الصالحة الجليلة.

ومن الأسباب التي تنمي التوحيد في القلب ما يلي:[1]

١- فعل الطاعات؛ رغبة بما عند الله.

٢- ترك المعاصي؛ خوفاً من عقاب الله.

٣- التفكر في ملكوت السموات والأرض.

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٣/١٨-١٩.

٤- معرفة أسماء الله وصفاته ومقتضياتها وآثارها، وما تدل عليه من الجلال والكمال.

٥- التزود من العلم النافع، والعمل به.

٦- قراءة القرآن بالتدبر، والتفهم لمعانيه وما أريد به.

٧- التقرب إلى الله ـ تعالى ـ بالنوافل بعد الفرائض.

٨- دوام ذكر الله على كل حال؛ باللسان والقلب.

٩- إيثار ما يحبه الله عند تزاحم المحاب.

١٠- التأمل في نعم الله الظاهرة والباطنة، ومشاهدة بره وإحسانه، وإنعامه على عباده.

١١- إنكسار القلب بين يدي الله، وافتقاره إليه.

١٢- الخلوة بالله وقت النزول الإلهي حين يبقى ثلث الليل الآخير، وتلاوة القرآن في هذا الوقت، وخَتْمُ ذلك بالاستغفار، والتوبة.

١٣- مجالسة أهل الخير والصلاح، والإخلاص، والمحبين لله ـ عز وجل ـ والاستفادة من كلامهم وسمتهم.

١٤- الابتعاد عن كل سبب يحول بين القلب وبين الله من الشواغل.

١٥- ترك فضول الكلام، والطعام، والخلطة، والنظر.

١٦- أن يحب العبد لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه، وأن يجاهد نفسه على ذلك.

١٧- سلامة القلب من الغل للمؤمنين، وسلامته من الحقد، والحسد، والكبر، والغرور، والعجب.

١٨- الرضا بتدبير الله ـ عز وجل ـ.

١٩- الشكر عند النعم، والصبر عند النقم.

٢٠- الرجوع إلى الله عند ارتكاب الذنوب.

٢١- كثرة الأعمال الصالحة من بر، وحسن خلق، وصلة أرحام، إلى غير ذلك.

٢٢- الاقتداء بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كل صغيرة وكبيرة.

٢٣- الجهاد في سبيل الله.

٢٤- إطابة المطعم.

٢٥- الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

طرق الدعوة إلى توحيد الألوهية في القرآن الكريم [1]

تنوعت طرق الدعوة إلى توحيد الألوهية وأساليبها في القرآن الكريم، فمن ذلك ما يلي:

١- أمره ـ سبحانه ـ بعبادته، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

٢- النهي عن عبادة مَنْ سواه كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص٣٨-٣٩. دعوة التوحيد للهراس، ٣٩-٤٥، والإرشاد في صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان، ص٢٥-٢٨، والشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة ص١٥٤-١٥٦.

تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) ﴾ [البقرة: ٢٢].

٣- إخباره ـ سبحانه وتعالى ـ أنه خلق الخلق لعبادته كما في قوله: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦)** ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٤- إخباره أنه أرسل الرسل بالدعوة إلى عبادته، والنهي عن عبادة من سواه كما في قوله: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: ٣٦].

٥- الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية؛ فإذا كان الله ـ تعالى ـ هو الخالق الرازق الذي أنعم عليك بالنعم الظاهرة والباطنة ولم يشاركه في ذلك مشارك ـ فعليك أن لا تتأله لغيره، ولا تتعبد لسواه، ويلزمك أن تخصه بالتوحيد كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)** ﴾ [البقرة: ٢١].

٦- الاستدلال على وجوب عبادته بكونه النافع، الضار، المعطي، المانع؛ فمن اتصف بهذه الصفات فهو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه.

٧- الاستدلال على وجوب عبادته بانفراده بصفات الكمال، وانتفاء ذلك عن آلهة المشركين، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)** ﴾ [مريم: ٦٥].

وقوله: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقوله عن خليله ـ عليه السلام ـ أنه قال لأبيه: ﴿ **إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢)** ﴾ [مريم: ٤٢].

٨- الاستدلال على وجوب عبادته بدقة صنعه ـ سبحانه وتعالى ـ فكلما تدبر العاقل ذلك، وتغلغل فكره فيه، وازداد تأمله في ذلك ـ علم أنه هو المستحق للعبادة.

٩- الاستدلال على وجوب عبادته بتعدد نعمه، فإذا علم أن ما بالعباد من نعمة فمن الله ـ وحده ـ وأن أحداً من المخلوقين لا ينفع أحداً إلا بإذن الله، وأن الله هو النافع الضار ـ علم أن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

١٠- تعجيزه لآلهة المشركين كقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢)﴾ [الأعراف: ١٩١, ١٩٢]، وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً (٥٦)﴾ [الإسراء: ٥٦]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣)﴾ [الحج: ٧٣].

١١- تسفيه المشركين الذين يعبدون غير الله، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦, ٦٧]، وقوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

١٢- بيان عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله، وبيان مآلهم مع من عبدوهم، حيث تتبرأ منهم تلك المعبوداتُ في أحرج المواقف

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥ - ١٦٧]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

١٣- بيان مصير الموحدين وعاقبتهم في الدنيا والآخرة كما قال عن إمامهم إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

١٤- رده على المشركين باتخاذ الوسائط بينهم وبين الله بأن الشفاعة ملك له ـ سبحانه ـ لا تطلب من سواه، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، وبعد رضاه عن المشفوع له، قال ـ سبحانه ـ: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٣, ٤٤] وقال: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

١٥- بيان أن هؤلاء المعبودين من دون الله لا يحصل منهم نفع لمن عبدهم من جميع الوجوه كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن

شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢, ٢٣].

١٦- ذكر البراهين والأمثلة الدالة على بطلان الشرك، وسوء عاقبته، مما يجعل النفوس السليمة تنفر منه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية [1]

أنواع التوحيد متلازمة، وبعضها مرتبط ببعض، وفيما يلي يتبين لنا شيء من علاقة توحيد الألوهية؛ بتوحيد الربوبية والعكس:

١- توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية؛ بمعنى أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية؛ فمن عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره، وقد دعاه هذا الخالق إلى عبادته ـ وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له؛ فإذا كان هو الخالق الرازق النافع الضار وحده ـ لزم إفراده بالعبادة.

٢- توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية بمعنى أن توحيد الربوبية يدخل ضمناً في توحيد الألوهية، فمن عَبَدَ الله وحده لا شريك له فلابد أن يكون معتقداً أنه ربه وخالقه ورازقه؛ إذ لا يعبد إلا من بيده النفع

(١) انظر الإرشاد ص٢١-٢٣.

والضر، وله الخلق والأمر.

٣- الربوبية عمل قلبي لا يتعدى القلب، ولذا سمي توحيد المعرفة والإثبات، أو التوحيد العلمي.

أما الألوهية فهو عمل قلبي وبدني، فلا يكفي فيه عمل القلب، بل يتعداه إلى السلوك والعمل قصداً لله وحده لا شريك له.

٤- أن توحيد الربوبية لا يكفي وحده؛ ذلك لأن توحيد الربوبية مركوز في الفطر، فلو كان كافياً لما احتاج الناس إلى بعثة الرسل، وإنزال الكتب، فلا يكفي أن يقر الإنسان بما يستحق الرب ـ تعالى ـ من الصفات، وأنه الرب الخالق وحده.

ولا يكون موحداً إلا إذا شهد أن لا إله إلا الله، فيقر بأن الله هو المألوه المعبود وحده، ويعبده بمقتضى هذه المعرفة.

٥- توحيد الألوهية هو الذي جاءت به الرسل، وهو الذي حصل به النزاع بين الرسل ـ عليهم السلام ـ وبين أممهم، كما قال قوم هود لنبيهم هود ـ عليه السلام ـ عندما قال لهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠].

وكما قال كفار قريش لما أُمِروا بإفراد الله بالعبادة: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

أما توحيد الربوبية فإنهم لم ينكروه، بل إن إبليس لم ينكره ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩].

٦- أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا فترقا اجتمعا، ومعنى ذلك أنهما إذا ذكرا جميعاً فلكل لفظ ما يراد به، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٣].

فيكون معنى الرب: هو المالك المتصرف، وهذا توحيد الربوبية، ويكون معنى الإله: المعبود بحق المستحق للعبادة دون سواه وهـذا توحيد الألوهية.

وتارة يذكر أحدهما مفرداً عن الآخر فيجتمعان في المعنى؛ كما في قول الملكين للميت في القبر: «من ربك؟ ومعناه: من إلهك؟» وكما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقوله عن الخليل ـ عليه السلام ـ: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وكما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل: ٦٢].

٧- لابد لسلامة التوحيد، والفوز بالدارين من تحقيق هـذين الأمرين.



ما ضد توحيد الألوهية ؟

١- الشرك؛ الذي يذهب به بالكلية.

٢- البدع؛ التي تذهب بكماله الواجب.

٣- المعاصي؛ التي تقدح فيه، وتنقص ثوابه.

الفرق التي أشركت في توحيد الألوهية

الفرق التي أشركت في هذا النوع من التوحيد كثيرة منها:

١- **اليهود:** الذين عبدوا العجل، ولا يزالون يعبدون الدرهم والدينار؛ فالمال هو معبودهم.

٢- **النصارى:** لادعائهم ألوهية المسيح ـ عليه السلام ـ وعبادتهم له.

٣- **الرافضة:** لدعائهم علياً، والعباس ـ رضي الله عنهما ـ وغيرهما من آل البيت.

٤- **النصيرية:** لعبادتهم عليا ـ رضي الله عنه ـ وزعمهم أنه الإله[١].

٥- **الدروز:** لقولهم بألوهية الحاكم بأمر الله العبيدي[٢].

---

(١) انظر: الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية (العلوية) لسليمان أفندي الأذني، دار الصحوة، ص٣٦، وانظر إلى: النصيرية لسهير الفيل، دار المنار، ص٤٧-٤٨.

(٢) انظر إلى: عقيدة الدروز، عرض ونقض، د. محمد أحمد الخطيب، ص١١٧-١٣٥، دار عالم الكتب.

٦- **غلاةالصوفية، وعباد القبـور:** لغلوهم في الأولياء، وصرف النذور، والقرابين لأصحاب القبور، وطوافهم حول القبور إلى غير ذلك من القربات التي تصرف لأصحابها.





الرسالة السادسة

توحيد الأسماء والصفات



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً ـ.

أما بعد:

فإن العلم بأسماء الله وصفاته أشرف ما اكتسبته القلوب، وأزكى ما أدركته العقول؛ فهو زبدة الرسالة الإلهية، وهو الطريق إلى معرفة الله وعبادته وحده لا شريك له.

وفيما يلي من صفحات سيكون الحديث عن هذا النوع من أنواع التوحيد من خلال الوقفات التالية:

- تعريف توحيد الأسماء والصفات.
- أهميتـــه.
- ثمراتـــه.
- طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته.
- الأدلة على صحة مذهب السلف.
- قواعد في أسماء الله ـ عز وجل ـ.
- قواعد في صفات الله ـ عز وجل ـ.

- ما ضد توحيد الأسماء والصفات؟
- الفرق التي ضلت في باب الأسماء والصفات.
- حكم من نفى صفة من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة.
- مسائل أحدثها المتكلمون ـ الكلمات المجملة ـ.
- دراسة موجزة لبعض الكلمات المجملة.
- وقفة حول المجاز.

وأخيراً أسأل الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن يلهمنا رشدنا، ويعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا؛ إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

تعريف توحيد الأسماء والصفات

١- هو: الإيمان بما وصف الله به نفسَه في كتابه، أو وَصَفَه به رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأسماء الحسنى والصفات العلى وإمرارها كما جاءت على الوجه اللائق به ـ سبحانه وتعالى ـ[١].

٢- أو هو: اعتقاد انفراد الله ـ عز وجل ـ بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلال، والجمال.

وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة بالكتاب والسنة[٢].

٣- وعرفه الشيخ عبدالرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ بتعريف جامع حيث قال: «توحيد الأسماء والصفات: وهو اعتقاد انفراد الرب ـ جل جلاله ـ بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلال، والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه.

وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من جميع الأسماء، والصفات، ومعانيها، وأحكامها الواردة

(١) انظر أعلام السنة المنشورة، للشيخ حافظ الحكمي، تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي، ص٥٦.

(٢) انظر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، للشيخ عبدالعزيز السلمان، ص٤١-٤٢.

في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفـي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل.

ونفي ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من النقائص والعيوب ومن كل ما ينافي كماله»[1].

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ٣/ ١٠ مجموعة ابن سعدي.

أهمية توحيد الأسماء والصفات

للعلم بتوحيد الأسماء والصفات والإيمان به أهمية عظيمة، ومما يدل على أهميته مايلي:

١- أن الإيمان به داخل في الإيمان بالله ـ عز وجل ـ إذ لا يستقيم الإيمان بالله حتى يؤمن العبد بأسماء الله وصفاته.

٢- أن معرفة توحيد الأسماء والصفات والإيمان به كما آمن السلف الصالح ـ عبادة لله ـ عز وجل ـ فالله أمرنا بذلك، وطاعته واجبة.

٣- الإيمان به كما آمن السلف الصالح طريق سلامة من الانحراف والزلل الذي وقع فيه أهل التعطيل، والتمثيل، وغيرهم ممن انحرف في هذا الباب.

٤- الإيمان به على الوجه الحقيقي سلامة من وعيد الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٥- أن هذا العلم أشرف العلوم، وأجلها على الإطلاق؛ فالاشتغال بفهمه، والبحث فيه اشتغال بأعلى المطالب، وأشرف المواهب.

٦- أن أعظم آية في القرآن هي آية الكرسي، وإنما كانت أعظم آية لاشتمالها على هذا النوع من أنواع التوحيد.

٧- أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؛ لأنها أخلصت في وصف الله ـ عز وجل ـ.

٨- أن الإيمان به يثمر ثمرات عظيمة، وعبودياتٍ متنوعةً، ويتبين لنا شيء من ذلك عند الحديث عن ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات.

ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات[1]

العلم بأسماء الله وصفاته، وتدبرها، وفهمها على مراد الله أهم العلوم وأشرفها كما مر؛ لما يثمره من الثمرات العظيمة النافعة المفيدة.

ولقد اعتنى علماء الإسلام ـ قديماً وحديثاً ـ في بيان أسماء الله وصفاته، وشرحها، وإيضاحها، وبيان ثمرات الإيمان بها، فمن الثمرات التي تحصل من جراء الإيمان بها ما يلي:

١- العلم بأسماء الله وصفاته هو الطريق إلى معرفة الله:

فالله خلق الخلق ليعرفوه، ويعبدوه، وهذا هو الغاية المطلوبة منهم؛ فالاشتغال بذلك اشتغال بما خُلق له العبد، وتركه وتضييعه إهمال لما خُلق له، وقبيح بعبد لم تزل نِعَمُ الله عليه متواترة أن يكون جاهلاً بربه، معرضاً عن معرفته.

---

(١) انظر كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد لابن مندة تحقيق الشيخ د. علي الفقيهي، ٢/١٨-١٩ والتفسير القيم لابن القيم ص٢٤-٣٧، ومفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/ ٩٠-٩١، والصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة لابن القيم، تحقيق د. أحمد الغامدي ود. علي الفقيهي ١/ ٥٩-٦٢، وطريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص٨٢-٨٥، والقول السديد لابن سعدي ص١٦١-١٦٣، والأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة، د. عمر الأشقر ص١٨-٣٩، والشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة للشيخ عبدالرزاق العباد، ص١٠٠-١٠١، والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للشيخ محمد الحمود.

وإذا شاء العباد أن يعرفوا ربهم فليس لهم سبيل إلى ذلك إلا التعرف عليه من خلال النصوص الواصفةِ له، المصرِّحةِ بأفعاله وأسمائه، كما في آية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الصمد، وغيرها.

٢- أن معرفة الله تدعو إلى محبته وخشيته وخوفه ورجائه وإخلاص العمل له: وهذا هو عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته والتفقه بمعانيها، وأحكامها، ومقتضياتها.

٣- تزكية النفوس وإقامتها على منهج العبودية للواحد الأحد: وهذه الثمرة من أجل الثمرات التي تحصل بمعرفة أسماء الله وصفاته، فالشريعة المنزلة من عند الله تهدف إلى إصلاح الإنسان، وطريقُ الصلاح هو إقامة العباد على منهج العبودية لله وحده لا شريك له، والعلمُ بأسماء الله وصفاته، يعصم ـ بإذن الله ـ من الزلل، ويفتح للعباد أبواب الأمل، ويثبت الإيمان، ويعين على الصبر، فإذا عرف العبد ربه بأسمائه وصفاته، واستحضر معانيها ـ أثّر ذلك فيه أيما تأثير، وامتلأ قلبه بأجل المعارف والألطاف.

فمثلاً أسماء العظمة تملأ القلب تعظيماً وإجلالاً لله.

وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة له، وشوقاً إليه، ورغبة بما عنده، وحمداً وشكراً له.

وأسماء العزة، والحكمة، والعلم، والقدرة ـ تملأ القلب خضوعاً وخشوعاً وانكساراً بين يديه ـ عز وجل ـ.

وأسماء العلم، والخبرة، والإحاطة، والمراقبة، والمشاهدة ـ

تملأ القلب مراقبةً لله في الحركات والسكنات في الجلوات والخلوات، وحراسةً للخواطر عن الأفكار الرديئة، والإرادات الفاسدة.

وأسماء الغنى، واللطف، تملأ القلب افتقاراً، واضطراراً، والتفاتاً إليه في كل وقت وحال.

٤- **الانزجار عن المعاصي:** ذلك أن النفوس قد تهفو إلى مقارفة المعاصي، فتذكر أن الله يبصرها، فتستحضر هذا المقام وتذكر وقوفها بين يديه، فتنزجر وترعوي، وتجانب المعصية.

٥- **أن النفوس طُلعَة،** تتطلع وتتشوق إلى ما في أيدي الآخرين، وربما وقع فيها شيء من الاعتراض أو الحسد، فعندما تتذكر أن الله من أسمائه «الحكيم»، والحكيم هو الذي يضع الشيء في موضعه ـ عندئذٍ تكف عن حسدها، وتنقدع عن شهواتها، وتنفطم عن غيّها.

٦- **أن العبد يقع في المعصية،** فتضيق عليه الأرض بما رَحُبَت، ويأتيه الشيطان؛ ليجعله يسيء ظنه بربه، فيتذكر أن من أسماء الله «الرحيم، التواب، الغفور» فلا يتمادى في خطيئته، بل ينزع عنها، ويتوب إلى ربه، ويستغفره فيجده غفوراً تواباً رحيماً.

٧- **ومنها أن العبد تتناوشه المصائب،** والمكاره، فيلجأ إلى الركن الركين، والحصن الحصين، فيذهب عنه الجزع والهلع، وتنفتح له أبواب الأمل.

٨- **ويقارع الأشرار،** وأعداء دين الله من الكفار والفجار، فيجدُّون في عداوته، وأذيته، ومنع الرزق عنه، وقصم عمره، فيعلم أن الأرزاق

والأعمار بيد الله وحده، وذلك يُثمر له الشجاعة، وعبودية التوكل على الله ظاهراً وباطناً.

٩- **وتصيبه الأمراض**، وربما استعصت وعزَّ علاجها، وربما استبد به الألم، ودب اليأس إلى قلبه، وذهب به كل مذهب، حينئذٍ يتذكر أن الله هو الشافي، فيرفع يديه إليه ويسأله الشفاء، فتنفتح له أبواب الأمل، وربما شفاه الله من مرضه، أو صرف عنه ما هو أعظم، أو عوضه عن ذلك صبراً وثباتاً ويقيناً هو عند العبد أفضل من الشفاء.

١٠- **أن العلم به ـ تعالى ـ أصل الأشياء كلها:** حتى إن العارف به حقيقة المعرفة يستدل بما علم من صفاته وأفعاله على ما يفعله ويشرعه من الأحكام؛ لأنه لا يفعل إلا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته؛ فأفعاله دائرة بين العدل، والفضل، والرحمة، والحكمة.

١١- **أن من انفتح له هذا الباب** ـ باب الأسماء والصفات ـ انفتح له باب التوحيد الخالص، الذي لا يحصل إلا للكُمّل من الموحدين.

١٢- **زيادة الإيمان:** فالعلم بأسماء الله وصفاته من أعظم أسباب زيادة الإيمان، وذلك لما يورثه في قلوب العابدين من المحبة، والإنابة، والإخبات، والتقديس، والتعظيم للباري ـ جل وعلا ـ ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧].

١٣- **أن من أحصى تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله دخل الجنة،** قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا**

واحداً من أحصاها دخل الجنة»[١].

هذا وسيأتي معنى إحصائها عند الحديث عن قواعد في الأسماء.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات (٦٤١٠)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء (٢٦٧٧).

طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته [1]

أهل السنة والجماعة هم الذين اجتمعوا على الأخـذ بسنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعمل بها ظاهراً وباطناً في القول والعمل والاعتقاد.

وطريقتهم في أسماء الله وصفاته كما يأتي:

١- **في الإثبات:** يثبتون ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

٢- **في النفي:** ينفون ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسولـه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مـع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله ـ تعالى ـ إذ إن كل ما نفاه الله عن نفسه فهو صفات نقص تنافي كماله الواجب؛ فجميع صفات النقص كالعجز والنوم والموت ممتنعة على الله ـ تعالى ـ لوجوب كماله، وما نفاه عن نفسه فالمراد به انتفاء تلك الصفة المنفية، وإثبات كمال ضدها؛ وذلك أن النفي المحض لا يدل على الكمال حتى يكون متضمناً لصفة ثبوتية يُحمد عليها كما في قوله

---

(١) انظر التوحيد لابن مندة ٢/ ١٠٢ ومنهاج السنة لابن تيمية ٢/ ١٠٥ و ١٠٩- ١١١ و ١٣٢ و ١٩٢ و ١٩٨ و ٥٥٤-٥٥٦، وانظر مجموع الفتاوى لابـن تيمية ٣/ ٣٥-٤٠ و ٥/ ٢٦ وانظر فتح ربِّ البرية بتلخيص الحموية للشيـخ محمد بن عثيمين ١٢-١٥.

ـ تعالى ـ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨].

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ في آية الكرسي نفي عن نفسه (السنة والنوم) لكمال حياته وقيوميته، وفي الآية الثانية نفى نفسه (اللغوب) وهو التعب؛ لكمال قوته وقدرته، فالنفي هنا متضمن لصفة كمال.

أما النفي المحض فليس بكمال، وقد يكون سببه العجز أو الضعف كما قول الشاعر النجاشي يهجو بني العجلان:

قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل[1]

فنفى عنهم الظلم لا لمدحهم، ولكن لذمهم؛ لأنهم عاجزون عنه أصلاً.

وكذلك قول الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

فهو لا يمدحهم لقلة شرهم، ولكنه يذمهم لعجزهم، ولهذا قال في البيت الذي بعده:

فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا شنّوا الإغارة فرساناً وركبانا

وقد يكون سبب النفي عدم القابلية فلا يقتضي مدحاً، كما لو قلت: (الجدار لا يظلم).

---

(١) البيت للنجاشي أحد بني الحارث بن كعب. انظر الحماسة الشجرية ٤٥٢ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص٣٣٠-٣٣١.

ومن هنا يتبين لنا أن النفي المحض لا يدل على الكمال إلا إذا تضمن إثبات كمال الضد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتاً، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء فهو كما قيل: ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً.

ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم، والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال»[1].

٣- **التوقف**: وذلك فيما لم يرد إثباته أو نفيه مما تنازع الناس فيه كالجسم مثلاً، والحيز، والجهة ونحو ذلك، فطريقتهم فيه التوقف في لفظه فلا يثبتونه ولا ينفونه، لعدم ورود النص بذلك.

أما معناه فيستفصلون عنه، فإن أُريد به معنى باطل يُنَزَّهُ الله عنه رَدَّوه، وإن أُريد به معنىً حقٌّ لا يمتنع على الله قبلوه.

فلفظة «الجسم» مثلاً يتوقفون في اللفظ، أما المعنى فيستفصلون، فإن أُريد به الشيء المحدث المركب المفتقر كل جزء منه إلى الآخر ـ فهذا ممتنع على الرب الحي القيوم.

وإن أُريد بالجسم ما يقوم بنفسه، ويتصف به بما يليق به فهذا غير

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٥.

ممتنع على الله؛ فإنه ـ سبحانه ـ قائم بنفسه، متصف بالصفات الكاملة التي تليق به.

وكذلك الحال بالنسبة «للجهة» يتوقفون في اللفظة، أما المعنى فإن أُريد بها جهة سفل فإن الله منـزّه عن ذلك، وإن أُريد جهة علو تُحيط به فهذا ممتنع أيضاً، وإن أُريد بها أن الله في جهة أي في جهة علو لا تُحيط به ـ فهذا ثابت لله، وهكذا شأنهم في الألفاظ المجملة كما سيأتي بيان ذلك عند الحديث عن الألفاظ المجملة.

الأدلة على صحة مذهب السلف (١)

طريقة السلف الصالح ـ أهل السنة والجماعة ـ هي الطريقة الواجبة في أسماء الله وصفاته، وهي الأسلم والأعلم والأحكم، وليس هناك طريقة أخرى صحيحة في هذا الباب ـ باب الأسماء والصفات ـ إلا طريقتهم في إثباتها وإمرارها كما جاءت، وقد دل على ذلك أدلة كثيرة منها:

١- أن طريقة السلف دل عليها الكتاب والسنة: فمن أدلة الكتاب قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)**﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)**﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ [الإسراء: ٣٦].

فالآية الأولى دلت على وجوب الإثبات من غير تحريف، ولا تعطيل؛ لأنهما من الإلحاد في أسمائه ـ عز وجل ـ.

والآية الثانية دلت على وجوب نفي التمثيل، والآية الثالثة دلت على وجوب نفي الكيفية، وعلى وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته ولا نفيه.

---

(١) انظر منهاج السنة ٢/ ٥٦١، وفتح ربِّ البرية، ص١٩-٢٤، والأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة ص٢١٣-٢٢١، ودعوة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس ص١٩-٢١.

أما من السنة فالأدلة كثيرة منها قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»**[1].

٢- العقـــل: فالعقل يدل على صحة مذهب السلف، ووجه دلالته أن تفصيل القول فيما يجب، ويجوز، ويمتنع على الله لا يُدْرَكُ إلا بالسمع ـ الكتاب والسنة ـ فوجب اتباع السمع في ذلك، وذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه، والسكوت عما سكت عنه.

٣- الفطـــرة: أما دلالة الفطرة على صحة مذهب السلف فلأنَّ النفوس السليمة مجبولة ومفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته، وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من عرفت أنه متصف بصفات الكمال، منزه عن صفات النقص؟

٤- مطابقتها للكتاب والسنة: فمن تتبع طريقة السلف بعلم وعدل وجدها مطابقة لما في الكتاب والسنة جملة وتفصيلاً؛ ذلك لأن الله أنزل الكتاب ليدّبر الناس آياته، ويعملوا بها إن كانت أحكاماً، ويصدقوا بها إن كانت أخباراً.

٥- أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين هم ورثة الأنبياء والمرسلين: فقد تلقوا علومهم من ينبوع الرسالة الإلهية؛ فالقرآن نزل بلغة الصحابة، وفي عصرهم، وهم أقرب الناس إلى معين النبوة الصافي، وهم أصفاهم

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٧١٣).

قريحةً، وأقلهم تكلفاً، كيف وقد زكاهم الله في محكم تنزيله، وأثنى عليهم، وعلى التابعين لهم بإحسان كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقد تهدد رب العزة الذين يتبعون غير سبيلهم بالعذاب الأليم فقال ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)﴾ [النساء: ١١٥].

ولا ريب أن سبيل المؤمنين هو سبيل الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم بإحسان.

فإذا كان الأمر كذلك فمن المحال أن يكون خير الناس، وأفضل القرون قد قصروا في هذا الباب بزيادة أو نقصان.

٦- أن صفوة أولياء الله ـ تعالى ـ الذين لهم لسان صدق من سلف الأمة وخلفها ـ هم على مذهب أهل السنة والجماعة، أهل الإثبات للأسماء والصفات، وهم أبعد الناس عن مذاهب أهل الإلحاد[(١)].

٧- تناقض علماء الكلام وحيرتهم واضطرابهم: فهذا مما يدل على صحة مذهب السلف؛ فلو كان مذهب الخلف حقّاً لما تناقضوا، ولما اضطربوا، ولما تحيروا وحيروا.

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٥/٧.

٨- رجوع كثير من أئمة الكلام إلى الحق وإلى مذهب السلف: فهناك من أرباب علم الكلام الذين بلغوا الغاية فيه رجعوا إلى مذهب السلف، وتبرؤا من علم الكلام، وأعلنوا توبتهم منه، فهذا الرازي أحد أئمة أكابر علم الكلام ينوح على نفسه، ويبكي عليها، ويقول:

نهايةُ إقدامِ العقولِ عقالُ ... وأكثرُ سعي العالمين ضلالُ
وأرواحنا في وحشةٍ من جسومنا ... وغايةُ دنيانا أذىً ووبالُ
ولم نَستَفِدْ من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالُ
وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادروا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علا شرفاتِها ... رجالٌ فزالوا والجبال جبالُ

وقال ابن الصلاح: «أخبرني القطب الطوغائي مرتين أنه سمع فخر الدين الرازي يقول: يا ليتني لم اشتغل بعلم الكلام، وبكى».

وقد اعترف أكثر المتكلمين بالوقوع بالحيرة، والأمور، المشكلة المتعارضة فقال ابن أبي الحديد وهو من كبراء المعتزلة بعد عظيم توغله في علم الكلام:

فإذا الذي استكثرت منه هو الـ ... جاني عليَّ عظائم المحن
فظللت في تيه بلا عَلَم ... وغرقت في بحر بلا سفن

ومن الذين خاضوا في علم الكلام ورجعوا إلى منهج السلف أبو المعالي الجويني، والخسروشاهي، وأبو حامد الغزالي[1].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٤/ ٧٢-٧٥, و٥/ ١٠-١١، ودرء تعارض العقل والنقل

ومن المتأخرين الذين خاضوا في علم الكلام ولم يرجعوا منه بفائدة، بل وقعوا في الحيرة ـ الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ فإنه حدَّث عن نفسه فقال: «ها أنا أخبرك عن نفسي، وأوضح لك ما وقعت فيه أمس؛ فإني في أيام الطلب وعنفوان الشباب شغلت بهذا العلم الذي سمّوه تارة علم الكلام، وتارة علم التوحيد، وتارة علم أصول الدين، وأكببت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم، ورُمْت الرجوع بفائدة، والعود بعائدة، فلم أظفر بغير الخيبة والحيرة، وكان ذلك من الأسباب التي حبّبت إليَّ مذهب السلف على أني كنت قبل ذلك عليه، ولكن أردت أن أزداد منه بصيرة وبه شغفاً، وقلت عند ذلك في تلك المذاهب:

وغاية ما حصّلته من مباحثي ومن نظري من بعد طول التدبر

هو الوقف ما بين الطريقين حيرة فما علم من لم يلق غير التحير

على أنني قد خضت منه غماره وما قنعت نفسي بغير التبحر»[1]

وبهذا يتبين لنا صحة مذهب السلف في باب الأسماء والصفات.

= ١/ ١٥٩-١٦٢، وكتاب الصفدية لابن تيمية ١/ ٢٩٢-٢٩٥، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٠٨-٢١٠ والتحف في مذاهب السلف للشوكاني ص٣٤-٤٤، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية لشيخ عبدالعزيز السلمان ص٥١١-٥١٤، والأسماء والصفات د. عمر الأشقر ص٢١٠-٢٢٢.

(١) التحف في مذاهب السلف ص٣٧-٣٨.

قواعد في أسماء الله ـ عز وجل ـ[(١)]

ـ القاعدة الأولى ـ أسماء الله ـ تعالى ـ كلها حسنى:

أي بالغة في الحسن غايته، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وذلك لأنها متضمنة لصفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديراً، ذلك لأن الألفاظ إما أن تدل على معنى ناقص نقصاً مطلقاً فهذه ينزه الله عنها، وإما أن تدل على غاية الكمال فهذه هي الدالة على أسماء الله وصفاته، وإما أن تدل على كمال لكنه يحتمل النقص فهذا لا يُسمّى الله به لكن يُخبر به عنه، مثل: المتكلم، الشائي.

كذلك ما يدل على نقص من وجه وكمال من وجه لا يُسمّى الله به، لكن يُخبر به عن الله مثل: الماكر.

ومثال الأسماء الحسنى «الحي» وهو اسم من أسماء الله متضمن للحياة الكاملة التي لم تُسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٦/ ٧١، وكتاب التوحيد لابن منده ٢/ ٢٧، وبدائع الفوائد لابن القيم ١/ ١٥٩-١٧٠، وتوضيح الكافية الشافية لابن سعدي ص١٣٢، والحق الواضح المبين لابن سعدي ص١٠٨، والقواعد المثلى للشيخ محمد بن عثيمين ص ٩-٢٦، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبدالله الغنيمان ١/ ٧٥-٧٧ و ٢٢١، ودعوة التوحيد ص١٢-١٤، ومعارج القبول للحكمي ١/ ٧١.

ومثال آخر «العليم» من أسماء الله متضمن للعلم الكامل، الذي لم يُسبق بجهل، ولا يلحقه نسيان.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] العلم الواسع بكل شيء جملة وتفصيلاً، سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال العباد.

وقل مثل ذلك في السميع، والبصير، والرحمن، والعزيز، والحكيم وغيرها من الأسماء الحسنى.

ـ القاعدة الثانية ـ أسماء الله ـ تعالى ـ أعلام وأوصاف:

أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني.

وهي بالاعتبار الأول مترادفة؛ لدلالتها على مسمى واحد وهو الله ـ عز وجل ـ.

وبالاعتبار الثاني متباينة؛ لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص؛ فمثلاً «الحي، القدير، السميع، البصير، الرحيم، العزيز، الحكيم» كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله ـ سبحانه وتعالى ـ لكن معنى «الحي» غير معنى «العليم»، ومعنى «العليم» غير معنى «القدير» وهكذا...

ـ القاعدة الثالثة ـ أسماء الله ـ تعالى ـ إن دلت على وصفٍ متعدٍّ تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها ذلك الاسم لله ـ عز وجل ـ.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها ـ أي الأسماء ـ.

مثال ذلك «السميع» فهو يتضمن إثبات «السميع» اسماً لله ـ تعالى ـ وإثبات «السمع» صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة: ١].

وقل مثل ذلك في العليم والرحيم، وغيرها من الأسماء المتعدية.

وإن دلت على وصفٍ غير متعدٍ ـ لا لازم ـ تضمن أمرين:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله ـ عز وجل ـ.

مثل اسم «الحي» فهو يتضمن إثبات اسم «الحي» لله ـ عز وجل ـ وإثبات «الحياة» صفة له، ومثل ذلك اسم «العظيم والجليل».

ـ القاعدة الرابعة ـ دلالة أسماء الله ـ تعالى ـ على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام.

فمعنى دلالة المطابقة: تفسير الاسم بجميع مدلوله، أو دلالته على جميع معناه.

ومعنى دلالة التضمن: تفسير الاسم ببعض مدلوله، أو بجزء معناه.

ومعنى دلالة الالتزام: الاستدلال بالاسم على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها، أو على لازم خارج عنها.

مثال ذلك: «الخالق» يدل على ذات الله، وعلى صفة «الخلق» بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي «العلم

والقدرة» بالالتزام.

وذلك لأن الخالق لا يمكن أن يخلق إلا وهو قادر، وكذلك لا يمكن أن يخلق إلا وهو عالم[1].

---

(١) هذه الأنواع الثلاثة تسمى أنواع الدلالة اللفظية الوضعية.
وإليك بعض التفصيل في هذه الأنواع زيادة على ما مضى؛ لتتضح بصورة أجلى.
١- الدلالة المطابقية: وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له من حيث إنه وضع له. وذلك مثل دلالة لفظ (البيت) على الجدار والسقف معاً.
ودلالة لفظ (إنسان) على الحيوان الناطق، ودلالة اسم (العليم) على ذات الله وعلمه، أي دلالة الاسم على المسمى، والصفة المشتقة من الاسم نفسه وسميت مطابقية؛ لتطابق اللفظ والمعنى، وتوافقهما في الدلالة.
٢- الدلالة التضمنية: وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له في ضمن كل المعنى.
مثل دلالة البيت على الجدار وحده، وعلى السقف وحده.
وسميت تضمنية لأنها عبارة عن فهم جزء من الكل؛ فالجزء داخل ضمن الكل، أي في داخله.
ومن هذا النوع مثلاً دلالة اسم الله (السميع) على ذات الله وحدها، وعلى صفة السمع وحدها، بصرف النظر عن استعمال الجزء والكل، بل يقال على الصفة والموصوف.
٣- الدلالة الالتزامية: هي دلالة اللفظ على خارج عن معناه الذي وضع له.
مثل دلالة اسم الله (القدير) على صفة الحياة، وعلى العلم وغيرهما من صفات الله ـ تعالى ـ.
يقول المناطقة: إن بين الدلالة المطابقية والدلالة التضمنية العموم والخصوص المطلق؛ فإذا وجدت التضمنية وجدت المطابقية دون العكس، أي لا يلزم من وجود المطابقية وجود التضمنية.
انظر المرشد السليم إلى المنطق الحديث والقديم د. عوض الله جاد حجازي، والصفات الإلهية د. محمد أمان ص١٧٨-١٧٩.

ـ القاعدة الخامسة ـ أسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها:

ومعنى ذلك أن نتوقف على ما جاء في الكتاب والسنّة، فلا نسمّي الله ـ تعالى ـ إلا بما سمَّى به نفسه، أو سمّاه به رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله ـ تعالى ـ من الأسماء.

وتسميتهُ ـ تعالى ـ بما لم يسمٍّ به نفسه، أو إنكار ما سمَّى به نفسه جناية في حقه ـ تعالى ـ فوجب سلوك الأدب، والوقوف مع النص.

ـ القاعدة السادسة ـ أسماء الله غير محصورة بعدد معين:

لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث المشهور: «**أسألك بكل اسم هو لك سـمّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[1].

وما استأثر الله ـ تعالى ـ به في علم الغيب لا يمكن أحداً حَصْرُه، ولا الإحاطة به.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**استأثرت به**»: «أي انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمي به؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها كتابه»[2].

---

(١) رواه أحمد ١/ ٣٩٤، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٩).

(٢) بدائع الفوائد ١/ ١٦٦.

وأما قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**»[١] فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة «إن أسماء الله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة».

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في بيان مراتب إحصاء أسماء الله التي من أحصاها دخل الجنة:

«المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وهو مرتبتان، إحداها: دعاء ثناء وعبادة، والثاني: دعاء طلب ومسألة[٢]».

ـ القاعدة السابعة ـ أن من أسماء الله ـ تعالى ـ ما يطلق عليه مفرداً ومقترناً بغيره، ومنها ما لا يطلق إلا مقترناً بمُقابله:

فغالب الأسماء يطلق مفرداً ومقترناً بغيره من الأسماء، كالقدير، والسميع، والبصير، والعزيز، والحليم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) بدائع الفوائد ١/ ١٦٤.

فهذه الأسماء وما جرى مجراها يسوغ أن يدعى بها مفردة، ومقترنة بغيرها، فنقول: يا عزيز، يا حليم، يا غفور، يا رحيم.

أو أن يفرد كل اسم على حِدَةٍ فنقول: يا حليم، أو يا غفور، أو يا عزيز وهكذا. . .

ومن الأسماء ما لا يطلق عليه بمفرده، بل مقروناً بمقابله، كالمانع، والضار، والمنتقم، والمذل.

فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله؛ فإنه مقرون بالمعطي، والنافع والعَفُو والمعز؛ فهو المعطي المانع، الضار النافع، المنتقم العفـو، المعز المذل؛ لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله؛ لأنه يراد به أن المنفـرد بالربوبية، وتدبير الخلـق، والتصرف فيهم عطاءً ومنعاً، ونفعاً وضراً، وعفواً وانتقاماً، وعزاً وذلاً.

وأما أن يُثنى عليه بمجرد المنع، والانتقام، والإضرار ـ فلا يسوغ.

فهذه الأسماء المزدوجة تجرى الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض؛ فهي ـ وإن تعددت ـ جارية مجرى الاسم الواحد، ولذلك لم تجىء مفردة، ولم تُطلق عليه إلا مقترنة؛ فلو قلت: يا مذل، يا ضار، يا مانع وأخبرت بذلك لم تكن مثنياً عليه ولا حامداً له حتى تذكر مقابلها.

قواعد في صفات الله ـ تعالى ـ[1]

القاعدة الأولى: صفات الله كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجه: كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك، وقد دل على هذا: السمعُ والعقلُ، والفطرة.

أما السمع فمنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

والمثل الأعلى: الوصف الأعلى الكامل.

وأما العقل فوجهه: أن كل موجود حقيقةً لابد أن تكون له صفة: إما صفة كمال، وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، فتعين الأول.

ثم إنه قد ثبت بالحسن والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال، ومُعْطي الكمال أولى به.

وأما الفطرة: فلأن النفوس السليمة مجبولة على محبة الله، وتعظيمه، وعبادته.

وهل تحب، وتعظم، وتعبد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟.

---

(١) انظر بدائع الفوائد ١/ ١٥٩-١٧٠، القواعد المثلى ص٢٧-٣٨، والشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة ص١١٢-١٢٥، ودعوة التوحيد ١٤-١٩.

ثم إن الصفات منها ما هو كمال على الإطلاق كالصفات السابقة، فهذه ثابتة لله ـ تعالى ـ.

ومنها ما هو نقص على الإطلاق فهذه منفية عن الله، كالجهل، والعمى، والصمم.

ومنها ما هو كمال من وجه ونقص من وجه، فهذه يوصف الله بها في حال كمالها، ويمتنع وصفه بها في حال نقصها، بحيث يوصف الله بها وصفاً مقيداً مثل المكر، والكيد والمخادعة.

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء: وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله، وأفعاله ـ عز وجل ـ لا منتهى لها.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧)** ﴾ [لقمان: ٢٧].

ومن أمثلة ذلك أن من صفات الله المجيءَ والأخذَ، والإتيان، والإمساك، والبطش، فنصف الله بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول: إن من أسمائه الجائي، والآتي، والباطش، والآخذ، والممسك، والنازل، والمريد، ونحو ذلك، وإن كنا نُخبر بذلك عنه، ونصفه به.

القاعدة الثالثة: صفات الله تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية: فالثبوتية: هي ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، ـ

والعلم، والقدرة، والاستواء، واليدين، والوجه، فيجب إثباتها لله على الوجه اللائق به، وقد تقدم ذلك في الحديث عن طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته.

وأما السلبية أو المنفية: فهي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثل الصمم، والنوم، وغير ذلك من صفات النقص، فيجب نفيها عن الله كما مر.

القاعدة الرابعة: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال، فكلما كثرت وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر: ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر من الصفات السلبية؛ فالقاعدة في ذلك الإثبات المفصل، والنفي المجمل؛ فالإثبات مقصود لذاته، أما النفي فلم يذكر غالباً إلا على الأحوال التالية:

أ - بيان عموم كماله كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

ب ـ نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون كما في قوله: ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢)﴾ [مريم: ٩١, ٩٢].

جـ ـ دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (٣٨)﴾ [الدخان: ٣٨]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٨)﴾ [ق: ٣٨].

ثم إن النفي مع أنـه مجمل بالنسبة للإثبات ـ إلا أن فيه تفصيلاً وإجمالاً بالنسبة لنفسه.

فالإجمال في النفي أن ينفى عن الله ـ عز وجل ـ كل ما يضاد كماله من أنواع العيـوب والنقائص، كما في قولـه ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)﴾ [مريم: ٦٥].

وقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠)﴾ [الصافات: ١٨٠].

وأما التفصيل في النفي فهو أن ينزه عن كل واحد من العيـوب والنقائض بخصوصه، فينزه عن الولد، والصاحبة، والسِّنة، والنوم، وغير ذلك مما ينزه الله عنه.

القاعدة الخامسة: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية وفعلية:

أ ـ الذاتية: هي التي لم يزل الله ولا يزال متصفاً بها، وهي التي لا تنفك عنه ـ سبحانه وتعالى ـ كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والعزة، والحكمة، والوجه، واليدين.

ب ـ الفعلية: وتسمى الصفات الاختيارية، وهي التي تتعلق بمشيئة الله، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، وتتجدد حسب المشيئة كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية وفعلية باعتبارين، كالكلام؛ فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلمـاً، وباعتبار آحاد

الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، وكل صفة تعلقت بمشيئته ـ تعالى ـ فإنها تابعة لحكمته، وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها، لكننا نعلم علم اليقين أنه ـ سبحانه ـ لا يشاء إلا وهو موافق لحكمته، كما يشير إليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠)﴾ [الإنسان: ٣٠].

القاعدة السادسة: الصفات الذاتية والفعلية تنقسم إلى قسمين:

عقلية، وخبرية:

أ ـ **عقلية:** وهي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي، والدليل العقلي، والفطرة السليمة.

وهي أغلب صفات الله ـ تعالى ـ مثل صفة السمع، والبصر، والقوة، والقدرة، وغيرها.

ب ـ **خبرية:** وتسمى النقلية، والسمعية، وهي التي لا تعرف إلا عن طريق النص، فطريق معرفتها النص فقط، مع أن العقل السليم لا ينافيها، مثل صفة اليدين، والنزول إلى السماء الدنيا.

القاعدة السابعة: صفات الله توقيفية:

فلا نَصِفُ الله إلا بما وصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

أ - **التصريح بالصفة:** كالعزة، والقوة، والرحمة، كما في قوله - تعالى -: ﴿فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٩]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

ب - **تضمن الاسم لها:** كالعزيز والغفور، قال - تعالى -: ﴿الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ٢]؛ فالعزيز متضمن لصفة العزة، والغفور متضمن لصفة المغفرة.

ج - **التصريح بفعل أو وصف دال عليها،** كالاستواء على العرش، والمجيء قال - تعالى -: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥].
وقال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢].

القاعدة الثامنة: المضافات إلى الله إن كانت أعياناً فهي من جملة المخلوقات، وإن كانت أوصافاً فهي من صفات الله:

وبيان ذلك أن المضافات إلى الله على نوعين:

أ - **أعيان قائمة بذاتها مثل:** عبدالله، ناقة الله، فهذه من جملة المخلوقات، وإضافتها إلى الله من باب إضافة المخلوق لخالقه، وقد تقتضي تشريفاً مثل: بيت الله، وناقة الله، وقد لا تقتضي تشريفاً مثل: أرض الله، سماء الله.

ب ـ أن يكون المضاف أوصافاً غير قائمة بذاتها مثل: سَمْع الله، قدرة الله، بصر الله، فهذه الإضافة تقتضي أن هذه الصفة قائمة بالله، وأن الله متصف بها، وهذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

القاعدة التاسعة: القول في بعض الصفات كالقول في بعض:

وهي قاعدة يُردُّ بها على من فرَّق بين الصفات فأثبت بعضها، ونفى بعضها، فيقال لمن فعل ذلك: أثبت الجميع، أو انفِ الجميع.

ومن أثبت بعض الصفات، ونفى بعضها، فهو مضطرب متناقض، وتناقض القول دليل على فساده وبطلانه.

القاعدة العاشرة: القول في الصفات كالقول في الذات:

وذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقية لا تماثل الذوات ـ فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل الصفات.

القاعدة الحادية عشرة: ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار، ومجهولة لنا باعتبار:

فباعتبار المعنى معلومة، وباعتبار الكيفية مجهولة؛ كالاستواء مثلاً، فمعناه معلوم لنا فهو بمعنى العلو، والارتفاع، والصعود، والاستقرار.

أما كيفيته فمجهولة؛ لأن الله أخبرنا بأنه استوى، ولم يخبرنا عن كيفية استوائه، وهكذا يقال في باقي الصفات.

القاعدة الثانية عشرة: في العلاقة بين الصفات والذات:

وخلاصة القول في هذه المسألة أن العلاقة بين الصفات والذات علاقة تلازم؛ فالإيمان بالذات يستلزم الإيمان بالصفات، وكذلك العكس؛ فلا يتصور وجود ذات مجردة عن الصفات في الخارج، كما لا يتحقق وجود صفة من الصفات في الخارج إلا وهي قائمة بالذات[1].

القاعدة الثالثة عشرة: في علاقة الصفات بعضها ببعض من حيث الآثار والمعاني:

أما بالنسبة لبعضها فقد تكون مترادفة من حيث المعنى أو متقاربة.

مثل المحبة، والرحمة، والفرح، والتعجب، والضحك.

وهناك صفات متقابلة كالرفع والخفض، والظاهرية والباطنية، والنفع والضر، والقبض والبسط.

وهناك صفات متضادة من حيث معانيها، مثل الغضب والسخط مع الرضا، ومثل الكراهية مع الحب، وهكذا...

فاتصافه ـ عز وجل ـ بهذه الصفات المزدوجة المأخوذة من أسمائه المتقابلة، وبالصفات المتضادة في معناها على ما تقدم، والمترادفة باعتبار الذات، والمتباينة باعتبار ما بينها في الغالب ـ دليل على الكمال الذي لا يشاركه فيه أحد؛ لدلالته على شمول القدرة الباهرة، الحكمة البالغة، والتفرد بشؤون الكون كله[2].

---

(١) انظر الصفات الإلهية د. محمد أمان ص٣٤١.

(٢) انظر الصفات الإلهية ص ٣٤٧-٣٤٩.

ما ضد توحيد الأسماء والصفات

يضاد توحيد الأسماء، والصفات الإلحادُ فيها، ويدخل في الإلحاد التعطيلُ، والتمثيلُ، والتكييف، والتفويض، والتحريف، والتأويل.

١- الإلحاد: الإلحاد في اللغة هو: الميل، ومنه اللحد في القبر، ومنه قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي:

كم من أخ كان لي ماجدٍ ألْحَدْتُهُ في يديَّ الثرى

وقول جرير:

دعوت الملحدين أبا خبيب جماحاً هل شفيت من الجماح[1]

ويُقصد بالملحدين: المائلين عن الحق.

أما في الاصطلاح: فهو العدول عما يجب اعتقاده أو عمله[2].

والإلحاد في أسماء الله هو: العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها.

ـ أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته[3]:

١- أن ينكر شيئاً مما دلت عليه من الصفات كفعل المعطلة.

٢- أن يجعلها دالة على تشبيه الله بخلقه، كفعل أهل التمثيل.

٣- أن يُسمي الله بما لم يُسمِّ به نفسه؛ لأن أسماء الله توقيفية،

---

(١) ديوان جرير ص٧٤.

(٢) انظر فتح ربِّ البرية بتلخيص الحموية، ص١٨.

(٣) انظر المرجع السابق، ص١٩.

كتسمية النصارى له «أباً» وتسمية الفلاسفة إياه «علة فاعلة» أو تسميته بـ «مهندس الكون» أو «العقل المدبر» أو غير ذلك.

٤- أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كاشتقاق «اللات» من «الإله» والعُزَّى» من «العزيز».

٥- وصفه ـ تعالى ـ بما لا يليق به، وبما ينزه عنه، كقول اليهود: بأن الله تَعِبَ من خلق السماوات والأرض، واستراح يوم السبت، أو قولهم: إن الله فقير.

٢- التعطيل: التعطيل في اللغة: مأخوذ من العطل، الذي هو الخلو والفراغ والترك، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الحج: ٤٥]، أي: أهملها أهلها، وتركوا وردها[(١)].

وفي الاصطلاح: هو إنكار ما يجب لله ـ تعالى ـ من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضه، وهو نوعان:

أ ـ تعطيل كلي: كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الصفات، وغلاتهم ينكرون الأسماء أيضاً.

ب ـ تعطيل جزئي: كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض، وأول من عرف ذلك من هذه الأمة الجعد بن درهم[(٢)].

٣- التمثيل: هو: إثبات مثيل للشيء، وفي الاصطلاح: اعتقاد أن صفات الله مثل صفات المخلوقين، كأن يقول الشخص: لله يد كيدي.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية، للهراس ص٦٧.

(٢) انظر فتح ربِّ البرية، ص١٥-١٦.

٤- التكييف: حكاية كيفية الصفة كقول القائل: يد الله أو نزوله إلى الدنيا كذا وكذا، أو يده طويلة، أو غير ذلك، أو أن يسأل عن صفات الله بكيف.

٥- التفويض: هو الحكم بأن معاني نصوص الصفات مجهولة غير معقولة لا يعلمها إلا الله(١).

أو هو إثبات الصفات وتفويض معناها وكيفيتها إلى الله ـ عز وجل ـ.

والحق أن الصفات معلومة معانيها، أما كيفيتها فيفوض علمها إلى الله ـ عز وجل ـ.

٦- التحريف: التحريف لغة: التغيير، وفي الاصطلاح: تغيير النص لفظاً أو معنى.

والتغيير اللفظي قد يتغير معه المعنى، وقد لا يتغير، فهذه ثلاثة أقسام:

أ ـ تحريف لفظي يتغير معه المعنى، كتحريف بعضهم قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤)﴾ [النساء: ١٦٤] إلى نصب لفظ الجلالة؛ ليكون التكليم من موسى ـ عليه السلام ـ.

ب ـ تحريف لفظي لا يتغير معه المعنى، كفتح الدال من قوله ـ تعالى ـ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)﴾ [الفاتحة: ٢]، وذلك بأن يقول:

---

(١) انظر مذهب التفويض في نصوص الصفات عرض ونقد للشيخ أحمد القاضي ص٥٦٧.

«الحمدَ لله . . . » وهذا في الغالب لا يقع إلا من جاهل؛ إذ ليس فيه غرض مقصود لفاعله غالباً.

جـ ـ تحريف معنوي: وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل كتحريف معنى «اليدين» المضافتين إلى الله إلى القوة والنعمة ونحو ذلك.

٧- **التأويـل:** التأويل في اللغة يدور حول عدة معانٍ، منها الرجوع، والعاقبة، والمصير، والتفسير.

أما في الاصطلاح فيطلق على ثلاثة معانٍ، اثنان منهما صحيحان مقبولان معلومان عند السلف، والثالث مبتدع باطل.

وإليك بيان هذه المعاني:

المعنى الأول: التفسير، وهو إيضاح المعنى، وبيانه.

وهذا اصطلاح جمهور المفسرين كابن جرير وغيره، فتراهم يقولون: تأويل هذه الآية كذا وكذا، أي تفسيرها.

الثاني: الحقيقة التي يؤول إليها الشيء، وهذا هو المعروف من معنى التأويل في الكتاب والسنة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ**﴾ [الأعراف: ٥٣]، وقوله: ﴿**ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ [الإسراء: ٣٥]، وقوله عن يوسف ـ عليه السلام ـ: «**هذا تأويل رؤياي من قبل**».

الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يخالف الظاهر.

وهذا ما اصطلح عليه المتأخرون من أهل الكلام وغيرهم.

كتأويلهم الاستواء بالاستيلاء، واليد بالنعمة.

وهذا هو الذي ذمه السلف.

الفرق التي ضلت في باب الأسماء والصفات[١]

هناك فرق عديدة ضلت في هذا الباب منها:

١- **الجهمية:** وهم أتباع الجهم بن صفوان، وهم ينكرون الأسماء والصفات.

٢- **المعتزلة:** وهم أتباع واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وهم يثبتون الأسماء، وينكرون الصفات، معتقدين أن إثباتها يؤدي إلى تعدد القدماء[٢].

٣- **الأشاعرة:** وهم أتباع أبي الحسن الأشعري، وهم يثبتون الأسماء، وبعض الصفات، فقالوا: إن لله سبع صفات عقلية يسمونها «معاني» هي «الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر والكلام» وهي مجموعة في قول القائل:

حي عليم قدير والكلام له ... إرادة وكذلك السمع والبصر

وإثباتهم لهذه الصفات مخالف لطريقة السلف[٣].

٤- **الماتريدية:** وهم أتباع أبي منصور الماتريدي، وهم يثبتون الأسماء وبعض الصفات، وإن كان هذا الإثبات مخالفاً لطريقة السلف[٤].

---

(١) انظر فتح ربِّ البرية، ص١٥.

(٢) انظر المعتزلة، وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها د. عواد المعتق، ص٨٤.

(٣) منهج الأشاعرة في العقيدة، د. سفر الحوالي، ص٦٠.

(٤) انظر الماتردية دراسة وتقويماً، للشيخ أحمد بن عوض الله الحربي، ص٢٣٤.

٥- الممثلة: وهم الذين أثبتوا الصفات، وجعلوها مماثلة لصفات المخلوقين، وقيل إن أول من قال بذلك هو هشام بن الحكم الرافضي.

حكم من نفى صفة من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة

هذا الأمر يحتاج إلى تأنٍّ وتريث، ثم تفصيل.

فيقال: إن الذي ينفي صفة من الصفات الثابتة بالنصوص القطعية لا يخلو من أحد ثلاثة أحوال.

أحدها: أن يكون النافي عالماً بالنص الذي ثبتت به الصفة المنفية كتاباً كان أو سنة، ولا توجد لديه شبهات قد تغير مفهومه للنص وإنما نفى لعناده، وفساد قصده، ومرض قلبه، ومشاقته للرسول من بعد ما تبين له الحق.

فهذا كافر؛ لتكذيبه كلام الله أو كلام رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

الثاني: أن يكون النافي مجتهداً في طلب الحق، معروفاً بالنصيحة والصدق ولكنه أخطأ وتأول: لجهله بالنص، أو لعدم علمه بالمفهوم الصحيح. فحكمه أنه معذور، وخطؤه مغفور؛ لأن نفيه ناتج عن تأويل، لا عن عناد وفساد قصد.

الثالث: أن يكون النافي متعباً لهواه، مقصراً في طلب الحق، متكلماً بلا علم، ولكنه لا يقصد مشاقة الرسول، ولم يتبين له الحق تماماً فحكمه أنه عاصٍ مذنب، وقد يكون فاسقاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وأما التكفير فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر، بل يغفر له خطؤه ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاقَّ

الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين ـ فهو كافر.
ومن اتبع هواه، وقصَّر في طلب الحق، وتكلم بلا علم ـ فهو عاصٍ مذنب، وقد يكون فاسقاً، وقد تكون حسناته ترجح على سيئاته؛ فالتكفير يختلف باختلاف حال الشخص؛ فليس كل مخطىء، ولا مبتدع ولا جاهل، ولا ضال يكون كافراً، بل ولا فاسقاً، بل ولا عاصياً»[1].

وقال ـ رحمه الله ـ: «هذا مع أنني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق ومعصية إلا إذا عُلِم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى. وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية.

وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر، ولا بفسق، ولا بمعصية.

إلى أن قال: «وكنت أبيِّن أن ما نقل عن السلف، والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول: كذا وكذا ـ فهو أيضاً حق.

لكن يجب التفريق بين الإطلاق، والتعيين»[2].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ١٨٠.
(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٢٩.

مسائل أحدثها المتكلمون
«الكلمات المُجْمَلة»

يَرِدُ في كتب العقائد مصطلح (الكلمات المجملة).

فما المقصود بها؟ وما معنى كونها مجملة؟ وما المراد من إطلاقها؟ وما الذي دعى إلى إطلاقها؟ وهل وردت في الكتاب والسنة؟ وما طريقة أهل السنة في التعامل مع هذه الألفاظ؟

والإجابة عن هذه الأسئلة تكون على النحو التالي:

أ - المقصود بالكلمات المجملة: أنها ألفاظ يطلقها أهل التعطيل.

أو: هي مصطلحات أحدها أهل الكلام.

ب ـ ومعنى كونها مجملة: لأنها تحتمل حقاً وباطلاً.

أو يقال: لأنها ألفاظ مُشتركة بين معانٍ صحيحة، ومعانٍ باطلة.

أو يقال لخفاء المراد منها؛ بحيث لا يدرك بنفس اللفظ إلا بعد الاستفصال والاستفسار.

ج ـ ومراد أهل التعطيل من إطلاقها: التوصل إلى نفي الصفات عن الله ـ تعالى ـ بحجة تنزيهه عن النقائص.

د ـ والذي دعاهم إلى ذلك: عجزهم عن مقارعة أهل السنة بالحجة؛ فلجؤوا إلى هذه الطريقة؛ ليخفوا عوارهم، وزيفهم.

هـ ـ وهذه الألفاظ لم ترد لا في الكتاب، ولا في السنة؛ بل هي من إطلاقات أهل الكلام.

و ـ وطريقة أهل السنة في التعامل مع هذه الكلمات: أنهم يتوقفون في هذه الألفاظ؛ لأنه لم يرد نفيها ولا إثباتها في الكتاب والسنة؛ فلا يثبتونها، ولا ينفونها.

أما المعنى الذي تحت هذه الألفاظ فإنهم يستفصلون عنه، فإن كان معنى بالطلاً يُنَزَّه الله عنه رَدُّوه، وإن كان معنى حقاً لا يمتنع على الله قبلوه، واستعملوا اللفظ الشرعي المناسب للمقام.

وإليك فيما يلي نماذج وأمثلة لبعض الألفاظ المجملة:

١- الجهة.

٢- الحدّ.

٣- الأعراض.

٤- الأبعاض أو الأعضاء والأركان والجوارح.

٥- حلول الحوادث بالله ـ تعالى ـ.

٦- حلول الحوادث بالله ـ تعالى ـ.

٧- التسلسل.

وإليك فيما يلي تفصيلاً لهذه الألفاظ، وما يراد بها، وجواب أهل السنة المفصل على ذلك.

دراسة موجزة لبعض الكلمات المُجْملة

أولاً ـ الجهة: هذه اللفظة من الكلمات المجملة التي يطلقها أهل التعطيل، فما معناها في اللغة؟ وما مرادهم من إطلاقها؟ وما التحقيق في تلك اللفظة؟ وهي هي ثابتة لله، أو منفية عنه؟

أ ـ معنى الجهلة في اللغة: تطلق على الوضع الذي تتوجه إليه، وتقصده، وتطلق على الطريق، وعلى كل شيء استقبلته، وأخذت فيه[1].

ب ـ ومراد أهل التعطيل من إطلاق لفظ الجهة: نفي صفة العلو عن الله ـ عز وجل ـ.

ج ـ والتحقيق في هذه اللفظة: أن يقال: إن إطلاق لفظ الجهة في حق الله ـ سبحانه وتعالى ـ أمر مبتدع لم يرد في الكتاب ولا السنة، ولا عن أحد من سلف هذه الأمة.

وبناء على هذا لا يصح إطلاق الجهة على الله ـ عز وجل ـ لا نفياً ولا إثباتاً، بل لابد من التفصيل؛ لأن هذا المعنى ـ يحتمل حقاً ويحتمل باطلاً.

فإن أريد بها جهة سفل فإنها منتفية عن الله، وممتنعة عليه ـ أيضا؛ فإن الله أعظم وأجل من أن يحيط به شيء من مخلوقاته، كيف وقد وسع كرسيه السموات والأرض؟

---

(١) انظر لسان العرب ١٣/ ٥٥٥-٥٦٠.

وإن أريد بالجهة أنه في جميع الجها، وأنه حالٌّ في خلقه، وأنه بذاته في كل مكان ـ فإن ذلك بالحل ممتنع على الله، منتفٍ في حقه.

وإن أريد نفي الجهة عن الله ـ كما يقول أهل التعطيل ـ حيث يقولون: إن الله ليس في جهة، أي ليس في مكان، فهو لا داخل العالم، ولا خارجة، ولا متصل، ولا منفصل، ولا فوق، ولا تحت ـ فإن ذلك ـ أيضاً ـ ممتنع على الله منتفٍ في حقه؛ إذ إن ذلك وصف له بالعدم المحض.

وإن أريد بالجهة أنه في جهة علوٍّ تليق بجلاله، وعظمته من غير إحاطة به، ومن غير أن يكون محتاجاً لأحد من خلقه ـ فإن ذلك حق ثابت له، ومعنى صحيح دلت عليه النصوص، والعقول، والفطر السليمة.

ومعنى كونه في السماء، أي في جهة العلو، أو أن «في» بمعنى على، أي على السماء، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي على جذوع النخل.

وبهذا التفصيل يتبين الحق من الباطل في هذا الإطلاق.

أما بالنسبة للفظ فكما سبق لا يثبت ولا ينفي، بل يجب أن يستعمل بدلاً عنه اللفظ الشرعي، وهو العلو، والفوقية[1].

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٢٢١، والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ص١٦٦-١٧١. وتلخيص الحموية للشيخ محمد بن عثيمين ـ رحمه الله ـ ص٣٣-٣٥.

ثانياً ـ الحد: وهذا أيضاً ـ من الألفاظ المجملة التي يطلقها أهل التعطيل.

فما معنى الحد في اللغة؟ وماذا يريد أهل التعطيل من إطلاقه؟ وما شبهتهم في ذلك؟ وما جواب أهل السنة؟

أ ـ معنى الحد في اللغة: يطلق على الفَصْل، والمنع، والحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر.

يقال: حددت كذا، جعلت له حداً يميزه.

وحد الدار ما تتميز به عن غيرها، وحد الشيء: الوصف المحيط بمعناه، المميز له عن غيره[1].

ب ـ وأهل التعطيل يريدون من إطلاق لفظ (الحد) نفي استواء الله على عرشه.

ج ـ وشبهتهم في ذلك: أنهم يقولون: لو أثبتنا استواء الله على عرشه للزم أن يكون محدوداً؛ لأن المستوى على الشيء يكون محدوداً؛ فالإنسان ـ مثلاً ـ إذا استوى على البعير صار محدوداً بمنطقة معينة، محصوراً بها، وعلى محدود ـ أيضاً ـ.

وبناء على ذلك فهم ينفون استواء الله على عرشه ويرون أنهم ينزهون الله ـ عز وجل ـ عن الحد، أو الحدود.

د ـ جواب أهل السنة: أهل السنة يقولون:

إن لفظ (الحد) لم يرد في الكتاب، ولا في السنة، ولا في كلام

---

(١) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص١٠٨، والمصباح المنير للفيومي ص٦٨.

سلف الأمة؛ فهو ـ إذاً ـ لفظ مبتدع حادث.

وليس لنا أن نصف الله بما لم يصف به نفسه، ولا وصفه به رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا نفياً، ولا إثباتـاً، وإنما نحن متبعون لا مبتدعون.

هذا بالنسبة للفظ.

أما بالنسبة للمعنى فإننا نستفصل ـ كعادتنا ـ ونقول ماذا تريدون بالحد؟

إن أردتم بالحد أن الله ـ عز وجل ـ محدود، أي متميز عن خلقه، منفصل عنهم، مباين لهم ـ فهذا حق ليس فيه شيء من النقص، وهو ثابت لله بهذا المعنى.

وإن أردتم بكونه محدوداً أن العرش محيط به وأنتم تريدون نفي ذلك عنه بنفي استوائه عليه ـ فهذا باطل وليس بلازم صحيح؛ فإن الله ـ تعالى ـ مستوٍ على عرشه، وإن كان ـ عز وجل ـ أكبر من العرش ومن غير العرش.

ولا يلزم من كونه مستوياً على العرش أن يكون العرش محيطاً به؛ لأن الله ـ عز وجل ـ أعظم من كل شيء، وأكبر من كل شيء، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه[1].

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٢١٩، وشرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ ١/ ٣٧٦ و ٣٧٩-٣٨٠.

ثالثاً ـ الأعراض: هذا اللفظ من الألفاظ المجملة التي يطلقها أهل الكلام ومن أقوالهم في ذلك: «نحن نُنَزِّه الله ـ تعالى ـ من الأعراض والأغراض، والأبعاض، والحدود، والجهات».

ويقولون: «سبحان من تنزه عن الأعراض والأغراض والأبعاض».

والحديث في الأسطر التالية سيكون حول لفظ (الأعراض). أما بقية الألفاظ فسيأتي ذكرها فيما بعد.

أ ـ تعريف الأعراض في اللغة: الأعراض جمع عَرَض، والعَرَض هو ما لا ثبات.

أو هو: ما ليس بلازم للشيء.

أو هو: ما لا يمتنع انفكاكه عن الشيء[1].

ومن الأمثلة على ذلك: الفرح بالنسبة للإنسان فهو عَرَض؛ لأنه لا ثبات بل هو عارض يعرض ويزول.

وكذلك الغضب، والرضا.

ب ـ العَرَض في اصطلاح المتكلمين: قال الفيومي: «العَرَض عند المتكلمين ما لا يقوم بنفسه، ولا يوجد إلا في محل يقوم به»[2].

وقال الراغب الأصفهاني: «والعرض ما لا يكون له ثبات، ومنه

---

(١) انظر التعريفات للجرجاني ص١٥٣-١٥٤.

(٢) المصباح المنير للفيومي ص٢٠٩.

استعار المتكلمون العَرَض لما لا ثبات له إلا بالجوهر كاللون والمطعم[١].

ج ـ ما مراد المتكلمين من قولهم: «إن الله منزه عن الأعراض؟»: مرادهم من ذلك نفي الصفات عن الله ـ تعالى ـ لأن الأعراض عندهم هي الصفات.

د ـ ما شبهتهم؟: يقولون: لأن الأعراض لا تقوم إلا بالأجسام، والأجسام متماثلة؛ فإثبات الصفات يعني أن الله جسم، والله منزه عن ذلك وبناء عليه نقول: بنفي الصفات؛ لأنه يترتب على إثباتها التجسيم، وهو وصف الله بأنه جسم، والتجسيم تمثيل، وهذا كفر وضلال، هذه هي شبهة المتكلمين.

هـ ـ الرد على أهل الكلام في هذه المسألة: الرد عليهم من وجوه:

١- أن لفظة «الأعراض» لم ترد في الكتاب ولا في السنة لا نفياً ولا إثباتاً، ولم ترد ـ كذلك ـ عن سلف الأمة.

وطريقة أهل السنة المعهودة في مثل هذه الألفاظ التوقف في اللفظ، فلا نثبت الأعراض، ولا ننفيها.

أما معناها فيُستَفْصَل عن مرادهم في ذلك ويقال لهم: إن أردتم بالأعراض ما يقتضي نقصاً في حق الله ـ تعالى ـ كالحزن، والندم، والمرض، والخوف، فإن المعنى صحيح، والله منزه عن ذلك؛ لأنه نقص، لا لأنها أعراض.

(١) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص٣٤٢.

وإن أردتم نفي ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الصفات كالغضب، والفرح، والرضا، ونحوها بحجة أنها أعراض ـ فإن ذلك باطل مردود، ولا يلزم من إثباتها أي لازم.

٢- أن الصفات الربانية ليست كلها أعراض، بل إن بعضها أعـراض كالفرح، والغضب. وبعضها ليست أعراضـاً، كبعض الصفات الذاتية كاليد، والوجه، والقدم، والساق؛ فهذه ليست أعراضاً، بل لازمة للذات لا تنفك عنها.

٣- أن قولكم: «إن الأعراض لا تقوم إلا بجسم» قول باطل؛ فالأعراض قد تقوم بغير الجسم كما يقال: ليل طويل، فقولنا: طويل، وصف لـ: ليل، والليل ليس بجسم، ومثل ذلك: حر شديد، ومرض مؤلم، وبرد قارس.

٤- أن القول بتماثل الأجسام قول باطل؛ فالأجسام غير متماثلـة لا بالذوات ولا بالصفات، ولا بالحدوث؛ ففي الحجم تختلف الذرَّة عن الجمل، وفي الوزن يختلف جسم القيراط عن جسم القنطار، وفي الملمس يختلف الخشن عن الناعم، واللين عن القاسي، وهكذا.

٥- أن لفظ الجسم من إحداث المتكلمين، وهذا اللفظ كقاعدة الألفاظ المجملة؛ فإن كان إثبات الصفات يلزم منه أن يكون جسماً في مفهومك فليس ذلك يضيرنا.

لكن إن أردت بالجسم الشيء القائم بنفسه المتصف بما يليق به فهذا حق لأننا نؤمن بأن لله ذاتاً موصوفة بالصفات اللائقة بها.

فإن أردت بالجسم هذا المعنى فيصح.

وإن أردت بالجسم الشيء المكوَّن من أعضاء، ولحم ودم المفتقر بعضه إلى بعض وما أشبه ذلك ـ فباطل غير صحيح؛ لأنه يلزم أن يكون الله حادثاً أو مُحْدَثاً. وهذا أمر مستحيل، على أننا لا نوافق على إثبات الجسم، ولا نفيه؛ لأنه يحتمل حقاً وباطلاً.

رابعاً: الأبعاض: أو الأعضاء، أو الأركان، أو الجوارح: وهذه أيضاً من الكلمات المجملة التي تطلق وتحتمل حقاً وباطلاً؛ فإليك نبذة في معانيها، ومقصود أهل التعطيل من إطلاقها وجواب أهل السنة على تلك الدعوى.

أ ـ معاني هذه الكلمات: معاني هذه الكلمات متقاربة من بعض.

- فالأبعاض: جمع لكلمة بعض، يقال: بعض الشيء أي جزؤه، وبعّضْتُ كذا أي جعلته أبعاضاً[1].
- والأركان: جمع ركن، وركن الشيء قوامه، وجانبه القوي الذي يتم به، ويسكن إليه.
- والأجزاء: جمع جزء، والجزء ما يتركب الشيء عنه وعن غيره، وجزء الشيء ما يتقوم به جملتُه كأجزاء السفينة، وأجزاء البيت.

(١) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٥٠ و ٨٨ و ٩٠ و ٢٠٨ والتعريفات ص٧٨ و ١١٧.

- والجوارح: مفردها الجارحة، وتسمى الصائدة من الكلاب والفهود والطيور جارحة؛ إما لأنها تجرح، وإما لأنها تكسب.

وسميت الأعضاء الكاسبة جوارح تشبيهاً بها لأحد هذين[1].

- ويشبه هذه الألفاظ لفظ: الأعضاء، والأدوات، ونحوها.

ب ـ مقصود أهل التعطيل من إطلاقها: مقصودهم نفي بعض الصفات الذاتية الثابتة بالأدلة القطعية، كاليد، والوجه، والساق، والقدم والعين[2].

ج ـ ما الذي دعاهم إلى نفيها؟: الذي دعاهم إلى نفي تلك الصفات هو اعتقادهم أنها بالنسبة للمخلوق أبعاض، وأعضاء، وأركان، وأجزاء، وجوارح وأدوات ونحو ذلك، فيرون ـ بزعمهم ـ أن إثبات تلك الصفات لله يقتضي التمثيل، والتجسيم؛ فوجب عندهم نفيها قراراً من ذلك. وقد لجؤوا إلى تلك الألفاظ المجملة لأجل أن يروج كلامهم ويلقى القبول.

د ـ جواب أهل السنة: أهل السنة يقولون: إن هذه الصفات وإن كانت تعد في حق المخلوق أبعاضاً، أو أعضاءً، وجوارح ونحو ذلك لكنها تعدُّ في حق الله صفات أثبتها لنفسه، أو أثبتها له رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا نخوض فيها بآرائنا وأهوائنا، بل نؤمن

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٢١٩.

بها ونُمرُّها كما جاءت ونفوض كنهها وحقيقتها إلى الله ـ عز وجل ـ لعدم معرفتنا لحقيقة الذات؛ لأن حقيقة معرفة الصفة متوقفة على معرفة حقيقة الذات كما لا يخفى وهذه الصفات ـ أعني اليد، والساق ونحوها وكثير من صفات الله ـ قد تشترك مع صفات خلقه في اللفظ، وفي المعنى العام المطلق قبل أن تضاف.

وبمجرد إضافتها تختص صفات الخالق، وصفات المخلوق بالمخلوق؛ فصفات الخالق تليق بجلاله وعظمته وربوبيته، وقيومته.

وصفات المخلوق تليق بحدوثه، وضعفه، ومخلوقيته[1].

وبناء على ذلك يقال لمن يطلق تلك الألفاظ المجملة السالفة: إن أردت أن تنفي عن الله ـ عز وجل ـ أن يكون جسماً، وجثة وأعضاء، ونحو ذلك ـ فكلامك صحيح، ونفيك في محله.

وإن أردت بذلك نفي الصفات الثابتة له والتي ظننت أن إثباتها يقتضي التجسيم، ونحو ذلك من اللوازم الباطلة ـ فإن قولك باطل، ونفيك في غير محله.

هذا بالنسبة للمعنى.

أما بالنسبة للفظ فيجب ألا تعْدِل عن الألفاظ الشرعية في النفي أو الإثبات؛ لسلامتها من الاحتمالات الفاسدة.

---

(١) انظر الصفات الإلهية ص٢٠٨-٢٠٩.

يقول شارح الطحاوية ـ رحمه الله ـ: «ولكن لا يقال لهذه الصفات إنها أعضاء، أو جوارح، أو أدوات، أو أركان؛ لأن الركن جزء الماهية، والله ـ تعالى ـ هو الأحد، الصمد، لا يتجزأ ـ سبحانه وتعالى ـ والأعضاء فيها معنى التفريق والتعضية[(١)]. تعالى الله عن ذلك، ومن هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿الذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١]. والجوارح فيها معنى الاكتساب والانتفاع؛ وكذلك الأدوات هي الآلات التي ينتفع بها في جلب المنفعة ودفع المضرة.

وكل هذه المعاني منتفية عن الله ـ تعالى ـ؛ ولهذا لم يرد ذكرها في صفات الله ـ تعالى ـ فالألفاظ الشرعية صحيحة المعاني، سالمة من الاحتمالات الفاسدة، فكذلك يجب أن لا يُعدل عن الألفاظ الشرعية نفياً ولا إثباتاً لئلا يثبت معنى فاسد، وأن ينفى معنى صحيح.

وكل هذه الألفاظ المجملة عرضة للمحق والمبطل»[(٢)].

خامساً ـ الأغراض: وهذا ـ أيضاً ـ من إطلاقات المتكلمين، وإليك بعض التفصيل في هذا اللفظ.

أ ـ الأغراض في اللغة: جمع غرض، والغرض هو الهدف الذي يرمي فيه، أو هو الهدف الذي ينصب فيرى فيه.

والغرض يطلق في اللغة ـ أيضاً ـ على الحاجة، والبغية، والقصد[(٣)].

---

(١) التعضية: التقطيع، وجعل الشيء أعضاء.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٢٠ و ٢٢١.

(٣) انظر لسان العرب ٧/١٩٦.

ب ـ الغرض في اصطلاح علماء الكلام: قيل هو ما لأجله يصدر الفعل من الفاعل[١].

وقال الجلا الدوائي: «الغرض هو الأمر الباعث للفاعل على الفعل، وهو المحرك الأول، وبه يصير الفاعل فاعلاً»[٢].

وبذلك نرى توافق المعنى اللغوي والاصطلاحي للغرض، وأنه غاية الفاعل من فعله، وهو الباعث له على فعله[٣].

ج ـ ماذا يريد أهل الكلام بهذه اللفظة؟: يريدون إبطال الحكمة في أفعال الله ـ عز وجل ـ وشرعه.

د ـ حجتهم في ذلك: يقول المتكلمون ـ وعلى وجه الخصوص الأشاعرة ـ إننا ننزه الله عن الأغراض فلا يكون له غرض فيما شرعه أو خلقه؛ فأبطلوا الحكمة من ذلك، وقرروا أن الله لم يشرع إلا لمجرد مشيئته فحسب؛ فإذا شاء تحريم شيء حرَّمه، أو شاء إيجابه أوجبه.

وقالوا: لو قررنا أن له حكمة فيما شرعه لوقعنا في محذورين:

الأول: أنه إذا كان لله غرض فإنه محتاج إلى ذلك الغرض؛ ليعود عليه من ذلك منفعة، والله منزه عن ذلك.

والثاني: أننا إذا عللنا الأحكام ـ أي أثبتنا الحكمة والعلة ـ لزم أن

---

(١) انظر شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار لشمس الدين بن محمود الأصفهاني ص٩١٧.

(٢) شرح العقائد العفوية للجلال الدوائي ٢/ ٢٠٤.

(٣) انظر الحكمة والتعليل في أفعال الله ص٢٦-٤٧.

نوجب على الله ما تقتضيه الحكمة؛ لأن الحكم يدور مع علته، فنقع فيما وقع فيه المعتزلة من إيجاب الصلاح والأصلح على الله؛ لأن الغرض عند المعتزلة بمعنى الغاية التي فعل لها وهم يوجبون أن يكون فعله معللاً بالأغراض.

هـ ـ الرد عليهم:

١- أن هذا اللفظ ـ الأغراض أو الغرض ـ لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة، ولا أطلقه أحد من علماء الإسلام؛ لأن هذه الكلمة قد توهم النقض، ونفيها قد يفهم منه نفي الحكمة؛ فلابد ـ إذاً ـ من التفصيل والأولى أن يعبر بلفظ: الحكمة، والرحمة، والإرادة، ونحو ذلك مما ورد به النص.

٢- أن الغرض الذي ينزه الله عنه ما كان لدفع ضرر، أو جلب مصلحة له، فالله ـ سبحانه ـ لم يخلق، ولم يشرع لأن مصلحة الخلق والأمر تعود إليه، وإنما ذلك لمصلحة الخلق.

ولا ريب أن ذلك كمال محض، قال ـ تعالى ـ: ﴿ **إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا** ﴾[آل عمران: ١٧٦] ﴿ **إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ** ﴾[الزمر: ٧]، وفي الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني**».

وهذا أمر مستقر في الفطر.

٣- أن إيجاب حصول الأشياء على الله متى وجدت الحكمة ـ حق صحيح. لكنه مخالف لما يراه المعتزلة من جهة أن الله ـ عز وجل ـ

هو الذي أوجب هذا على نفسه ولم يوجبه عليه أحد، كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وكما قال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧].

وكما في حديث معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ لما كان رديف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حمار فقال: «**أتدري ما حق الله على العبا، وما حق العباد على الله؟**» قال معاذ: الله ورسوله أعلم. قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به**» الحديث[1].

فهذا حق أوجبه الله على نفسه، ولله أن يوجب على نفسه ما يشاء. ثم إن مقياس الصلاح والأصلح ليس راجعاً إلى عقول البشر، ومقاييسهم بل إن ذلك راجع إلى ما تقتضيه حكمة الله ـ تعالى ـ فقد تكون على خلاف ما يراه الخلق باديء الرأي في عقولهم القاصرة؛ فانقطاع المطر قد يبدو لكثير من الناس أنه ليس الأصلح بينما قد يكون هو الأصلح لكنه مراد لغيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

وكذلك استدراج الكفار بالنعم، وابتلاء المسلمين بالمصائب كل ذلك يحمل في طياته ضروباً من الحكم التي لا تحيط عقول البشر إلا بأقل القليل منها.

---

(١) رواه البخاري ٨/ ١٦٤، ومسلم ١/ ٥٨، والترمذي ٥/ ٢٦.

بل إن خلق إبليس، وتقدير المعاصي، وتقدير الآلام يتضمن حكماً تبهر العقول وتُبين عن عظيم حكمة أحكم الحاكمين.

سادساً ـ حلول الحوادث بالله ـ تعالى ـ: هذا اللفظ من إطلاقات أهل الكلام، وإليك بعض التفصيل في معناه، ومقصود أهل الكلام منه، والرد على ذلك.

أ ـ معنى كلمة (حلول): الحلول هو عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر، كحلول الماء في الكوز[1].

ب ـ معنى كلمة (الحوادث): الحوادث جمع حادث، وهو الشيء المخلوق المسبوق بالعدم، ويسمى حدوثاً زمانياً.

وقد يعبر عن الحدوث بالحاجة إلى الغير، ويسمى حدوثاً ذاتياً.

والحدوث الذاتي: هو كون الشيء مفتقراً في وجوده إلى الغير.

والحدوث الزماني: هو كون الشيء مسبوقاً بالعدم مسبقاً زمانياً[2].

ج ـ معنى (حلول الحوادث بالله ـ تعالى ـ): أي قيامها بالله، ووجودها فيه ـ تعالى ـ.

د ـ ما مقصود أهل التعطيل من هذا الإطلاق؟: مقصودهم نفي اتصاف الله بالصفات الاختيارية الفعلية، وهي التي يفعلها متى شاء، كيف شاء، مثل الإتيان لفصل القضاء، والضحك، والعجب، والفرح؛ فينفون جميع الصفات الاختيارية.

---

(١) انظر التعريفات للجرجاني ص٩٨.

(٢) انظر التعريفات ص٨٥-٨٦.

هـ ـ ما حجتهم في ذلك: وحجتهم في ذلك أن قيام تلك الصفات بالله يعني قيام الحوادث ـ أي الأشياء المخلوقة الموجودة ـ بالله.

وإذا قامت به أصبح هو حادثاً بعد أن لم يكن، كما أن تكون المخلوقات حالَّة فيه، وهذا ممتنع.

و ـ جواب أهل السنة: أهل السنة يقولون: إن هذا الإطلاق لم يَرِدْ في كتاب ولا سنة، لا نفياً ولا إثباتاً، كما أنه ليس معروفاً عند سلف الأمة.

أما المعنى فيستفصل عنه؛ فإن أريد بنفي حلول الحوادث بالله أن لا يَحُلَّ بذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن له من قبل ـ فهذا النفي صحيح؛ فالله ـ عز وجل ـ ليس مَحَلاً لمخلوقاته وليست موجودة فيه، ولا يحدث له وصف متجدد لم يكن له من قبل.

وإن أريد بالحوادث: أفعاله الاختيارية التي يفعلها متى شاء كيف شاء كالنزول، والاستواء، والرضا، والغضب، والمجيء لفصل القضاء ونحو ذلك ـ فهذا النفي باطل مردود.

بل يقال له: إنه مثبتٌ ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

سابعاً ـ التسلسل: وهو أحد الألفاظ المجملة التي يطلقها المتكلمون.

ولأجل أن يتضح مفهوم هذه اللفظة، ومدلولها، ووجه الصواب والخطأ في إطلاقها إليك هذا العرض الموجز.

أ ـ تعريف التسلسل: قال الجرجاني: «التسلسل هو ترتيب أمور غير متناهية».

ب ـ سبب تسميته بذلك: سمي بذلك أخذاً من السلسلة؛ فهي قابلة لزيادة الحِلَق إلى ما لا نهاية؛ فالمناسبة بينهما عدم التناهي بين طرفيهما؛ ففي السلسلة مبدؤها ومنتهاها، وأما التسلسل فطرفاه الزمن الماضي والمستقبل.

ج ـ مراد أهل الكلام من إطلاق هذه اللفظة: مرادهم يختلف باختلاف سياق الكلام، وباختلاف المتكلمين؛ فقد يكون مرادهم نفي قدم اتصاف الله ببعض صفاته، وقد يكون مرادهم نفي دوام أفعال الله ومفعولاته وقد يكون مرادهم نفي أبدية الجنة والنار، وقد يكون غير ذلك.

د ـ هل وردت هذه اللفظة في الكتاب أو السنة، أو أطلقها أحد من أئمة السلف؟ الجواب: لا.

هـ ـ ما طريقة أهل السنة في التعامل مع هذا اللفظ؟: طريقتهم كطريقتهم في سائر الألفاظ المجملة، حيث إنهم يتوقفون في لفظ «التسلسل» فلا يثبتونه، ولا ينفونه، لأنه لفظ مبتدع، مجمل يحتمل حقاً وباطلاً، وصواباً وخطأ.

هذا بالنسبة للفظ.

أما بالنسبة للمعنى فإنهم يستفصلون، فإن أريد به حق قبلوه، وإن أريد به باطل ردوه.

و ـ وبناء على ذلك فإنه ينظر في هذا اللفظ، وتطبق عليه هذه القاعدة:

فيقال لمن أطلقوا هذه اللفظ:

١- إذا أردتم بالتسلسل: دوام أفعال الرب ـ أزلاً[1] وأبداً[2] فذلك معنى صحيح دل عليه العقل والشرع؛ فإثباته واجب، ونفيه ممتنع، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٧].

والفعال هو من يفعل على الدوام، ولو خلا من الفعل في أحد الزمانين لم يكن فعالاً، فوجب دوام الفعل أزلاً وأبداً.

ثم إن المتصف بالفعل أكل ممن لا يتصف به، ولو خلا الرب ـ منه لخلا من كمال يجب له وهذا ممتنع.

ولأن الفعل لازم من لوازم الحياة، وكل حي فهو فعال، والله ـ تعالى ـ حي، فهو فعال وحياته لا تنفك عنه أبداً وأزلاً.

ولأن الفرق بين الحي والميت الفعل، والله حي فلابد أن يكون فاعلاً وخوله من الفعل في أحد الزمانين: الماضي والمستقبل ممتنع، فوجب دوام فعله أزلاً وأبداً.

فخلاصة هذه المسألة أنه إذا أريد بالتسلسل دوام أفعال الرب فذلك معنى صحيح واجب في حق الله، ونفيه ممتنع.

---

(١) الأزل: هو القِدَم الذي لا بداية له، أو هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي.

(٢) والأبد هو المستقبل الذي لا نهاية له، أو هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل. انظر التعريفات للجرجاني ص١٦.

٣- وإذا أريد بالتسلسل: أنه ـ تعالى ـ كان معطلاً عن الفعل ثم فعل، أو أنه اتصف بصفة من الصفات بعد أن لم يكن متصفاً بها، أو أنه حصل له الكمال بعد أن لم يكن ـ فذلك معنى باطل لا يجوز.

فالله ـ عز وجل ـ لم يزل متصفاً بصفات الكمال ـ صفات الذات، وصفات الفعل ولا يجوز أن يُعتقد أن الله اتصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها؛ لأن صفاته ـ سبحانه ـ صفات كمال، وفقدها صفة نقص؛ فلا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده.

قال الإمام الطحاوي ـ رحمه الله ـ: «ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته.

وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً.

مثال ذلك صفة الكلام؛ فالله ـ عز وجل ـ لم يزل متكلماً إذا شاء.

ولم تحدث له صفة الكلام في وقت، ولم يكن معطلاً عنها في وقت، بل هو متصف بها أزلاً وأبداً.

وكذلك صفة الخلق، فلم تحدث له هذه الصفة بعد أن كان معطلاً عنها.

٤- وإذا كان المقصود بالتسلسل: التسلسل في مفعولات الله ـ عز وجل ـ وأنه ما زال ولا يزال يخلق خلْقاً بعد خلق إلى ما لا نهاية ـ فذلك معنى صحيح، وتسلسل ممكن، وهو جائز في الشرع والعقل.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥].

ثم إنه ـ عز وجل ـ ما زال يخلق خلقاً ويرتب الثاني على الأول وهكذا؛ فما زال الإنسان والحيوان منذ خلَقَهُ الله يترتب خلقه على خلق أبيه وأمه.

٥- وإن أريد بالتسلسل: التسلسل بالمؤثِّرين، أي بأن يؤثِّر الشيء بالشيء إلى ما لا نهاية، وأن يكون مؤثرون كلٌّ واحد منهم استفاد تأثيره مما قبله لا إلى غاية ـ فذلك تسلسل ممتنع شرعاً وعقلاً؛ لاستحاله وقوعه؛ فالله ـ عز وجل ـ خالق كل شيء، وإليه المنتهى؛ فهو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء، والقول بالتسلسل في المؤثرين يؤدي رلى خلو المُحدَث والمخلوق من مُحْدِث، وخالق وينتهي بإنكار الخالق ـ جل وعلا ـ.

«خلاصة القول في مسألة التسلسل عموماً»:

* أن التسلسل هو ترتيب أمور غير متناهية، وأنه سمي بذلك أخذاً من السلسلة.
* وأن التسلسل من الألفاظ المجملة التي لابد فيها من الاستفصال ـ كما مر ـ.
* وأنه إن أريد بالتسلسل: دوام أفعال الرب ومفعولاته، وأنه متصف

بصفات الكمال أزلاً وأبــداً فذلك حق صحيح، يدل عليه الشرع والعقل.

* وأنه إن أريد بالتسلسل: أنه ـ عز وجل ـ كان معطــلاً عن أفعالــه وصفاته، ثم فعل، واتصف فحصل له الكمال بعد أن لم يكن متصفاً به، أو أريد بالتسلسل: «التسلسل في المؤثرين ـ فذلك معنى باطل مردود بالشرع والعقل»[1].

(١) انظر تفصيل الحديث عن التسلسل في شرح العقيدة الطحاويــة، ص١٣٠-١٣٥، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد شرح النونية للشيخ أحمد بن عيسى ١/ ٢٧٠، والقواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف د. إبراهيم البريكان ص٢٠٨-٢١٤.

وقفة حول المجاز

المجاز مصطلح معروف عند أهل اللغة، والبلاغة، والتفسير، والأصول وغيرهم.

كما أنه يَرِدُ كثيراً في كتب العقائد، خصوصاً في باب الأسماء والصفات؛ ذلك أن كثيراً من أهل التعطيل اتخذوه مطية لنفي الصفات الإلهية.

ولأجل أن تتضح صورة المجاز إليك هذا العرض المجمل الميسر الذي يبين معالمه، وحقيقة الخلاف فيه وما جرى مجرى ذلك.

وقبل الدخول في ثنايا الحديث عن المجاز يحسن الوقوف عند مصطلح (الحقيقة)؛ وذلك لأن المجاز ـ عند من يقول به ـ قسيم الحقيقة.

فالكلام ينقسم إلى حقيقة ومجاز؛ فإلى تفصيل الحديث حتى يتبين الأمر.

أولاً: تعريف الحقيقة: هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع. أو هي: استعمال اللفظ فيما وضع له في الأصل.

مثل كلمة (أسد): تدل على الحيوان المعروف، وكلمة (الشمس): تدل على الكوكب العظيم المعروف، وكلمة (البحر): تدل على الماء العظيم الملح.. وهكذا جميع ألفاظ اللغة.

ثانياً: تعريف المجاز: المجاز في اللغة: اسم مكان كالمطاف والمزاز. والألف فيه منقلبة عن واو، وقيل: هو مصدر ميمي.

وفي الاصطلاح: هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له في الأصل؛ لعلاقة بين المعنيين ـ الحقيقي والمجازي ـ مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

ثالثاً: شرح مفردات تعريف المجاز: - قوله: (في غير ما وضع له): أي المعنى الوضعي للَّفظ، ويسمى الحقيقي أو الأصلي الذي ذكرته معاجم اللغة، كوضع كلمة الأسد للحيوان المعروف الكاسر، وكذلك القمر.

- قوله: (لِعِلاقة): العلاقة هي الشيء الذي يربط بين المعنى الأصلي للفظ، والمعنى المجازي، كالشجاعة في قولك: رأيت أسداً يكرُّ بسيفه! فالأسد هنا لا يقصد به الحيوان؛ وإنما يقصد به الرجل الشجاع، إذاً فقد انتقل من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، والعلاقة هي الشجاعة.

- قوله: (القرينة)؛ القرينة: هي التي تمنع الذهن من أن ينصرف إلى المعنى الوضعي الأصلي للفظ، مثل قولك (يكر بسيفه) في قولك: (رأيت أسداً يكر بسيفه) لأن الأسد لا يكر بالسيف، فعلم أن المقصود باللفظ مجازه لا حقيقته؛ لأن الأسد لا يحمل السيف.

وكذلك قولك في الرجل الكريم: جاء البحر، ونحو ذلك من الأمثلة مما سيأتي ذكره[1].

---

(١) انظر في تفصيل الحديث عن المجاز إلى:

- أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ص٣٥٠-٤٢٤. =

رابعاً: «تطبيق»: إليك هذا التطبيق الذي يبين لك ما ذكر بصورة أجلى: قال أهل المدينة في استقبالهم للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما قدم من تبوك هو وأصحابه:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

فالمجازات في هذا البيت واقع في لفظ (البدر) حيث يريدون به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وهذا استعمال مجازي؛ ذلك لأن الاستعمال الحقيقي للبدر إنما هو الكوكب العظيم الذي يكون في السماء ليلاً.

والعلاقة بين المعنيين ـ الحقيقي والمجازي ـ هي الحسن والإشراق؛ فالبدر حسن مشرق، وكذلك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

=- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج٧ في الإيمان.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح لعبد المتعال الصعيدي ص٨٤-١٧١.
- منع المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز للشيخ محم الأمين الشنقيطي.
- معجم البلاغة د. بدوي طبانة ص١٤٥-١٤٩.
- علوم البلاغة للشيخ المراغي ص٢٤٦-٢٩٨.
- البلاغة العربية في ثوبها الجديد د. بكري شيخ أمين ص٧١-١٤٣.
- البلاغة في فنونها وأفنانها علم البيان والبديع د. فضل حسن عباس ١٢٧-٢٧٠.
- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضاً ونقداً د. سليمان ابن صالح الغصن ١/ ٤٤٥-٤٧٧.
- مقدمة في المجاز ـ وهي مذكرة مخطوطة ـ كتبها الأخ الدكتور الشيخ عبدالمحسن العسكر ـ حفظه الله ـ وهي نافعة لطيفة في بابها.

والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي الحقيقي هي: (من ثنيات الوداع) فهي التي أثبتت مجازية البدر، والسبب أن البدر الحقيقي لا يظهر بين ثنيات الوداع ـ وهي الجبال الصغيرة ـ وإنما يظهر في السماء ـ كما هو معلوم ـ فعلم بذلك أن اللفظ أريد به مجازه لا حقيقته.

خامساً: «أمثلة لألفاظ يتبين فيها الحقيقة من المجاز»:

١- الشمس لها دلالتان: إحداهما حقيقية وهي دلالة الكوكب العظيم المعروف.

والأخرى مجازية وهي: الوجه المليح.

٢- البحر له دلالتان: إحداهما حقيقته، وهي دلالته على الماء العظيم الملح.

والأخرى مجازية وهي: دلالته على الرجل الجواد الكثير العطاء أو العالم العزير العلم.

٣- اليد لها دلالتان: إحداهما حقيقته، وهي الجارحة المعروفة، كما تقول: كتبت بيدي.

والأخرى مجازية بمعنى النعمة، كما تقول لفلانٍ عليَّ يدٌ، أي: نعمة.

سادساً: كيف يُفرَّق بين الحقيقة والمجاز؟

يفرق بسياق الكلام، وقرائن الأحوال. ولا يمكن أن يقال: إن كلا الدلالتين ـ الحقيقية والمجازية ـ سواء؛ بحيث إذا أطلق اللفظ دل عليهما معاً، كأن يقال: إن الشمس حقيقية في دلالتها على الكوكب

والوجه المليح، وأن البحر حقيقة في الماء العظيم الملح والرجل الجواد؛ بل لابد من قرينة تخصص المعنى المراد[١].

سابعاً: لم سمي المجز بهذا الاسم؟

لأنه مأخوذ من قولهم: جاز هذا الموضع إلى هذا الموضع، إذا تخطاه إليه.

فالمجاز ـ إذاً ـ اسم للمكان الذي يجاز فيه كالمزار، والمعاج وأشباههما.

وحقيقته: الانتقال من مكان إلى مكان؛ فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل، كقولنا: زيد أسد؛ فإن زيداً إنسان والأسد هو ذاك الحيوان المعروف. وقد جُزْنا الإنسانية ـ أي: تخطيناها وانتقلنا منها وعبرناها إلى الأسدية؛ لِوُصلة بينهما ـ أي علاقة، وتلك الوصلة هي صفة الشجاعة؛ فهذا هو سبب تسمية المجاز بهذا الاسم.

أما الحقيقة فهي: مأخوذة من كلمة حقّ وهو الشيء الثابت، ولعلك تشمُّ رائحة التضاد بين هاتين الكلميتين؛ فالحقيقة ثبوت الشيء، والمجاز تَعَدِّية[٢].

---

(١) انظر معجم البلاغة العربية ص ١٤٧.

(٢) انظر معجم البلاغة العربية ص١٤٧، والبلاغة فنونها وأفنانها ص١٢٨.

ثامناً: هل كل مجاز له حقيقة، وكل حقيقة لها مجاز؟

والجواب: أن كل مجاز له حقيقة؛ لأنه لم يطلق عليه لفظ مجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعة.

وليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز[1].

تاسعاً: هل الأصل في الكلام الحقيقة أو المجاز؟

والجواب: أن الأصل فيه الحقيقة، ولا ينصرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه إلا بقرينة، كما مر في الأمثلة الماضية.

عاشراً: اختلاف العلماء في أصل وقوع المجاز:

اختلف العلماء في أصل وقوع المجاز وثبوته في اللغة والقرآن، على ثلاثة أقوال:

١- أن المجاز واقع في اللغة والقرآن: وهذا مذهب جماهير العلماء، والمفسرين، والأصوليين، واللغويين، والبلاغيين، وغيرهم؛ بل حكى الإجماع على ذلك يحيى بن حمزة العلوي في كتابه (الطراز) غير أن في تلك الدعوى توسعاً؛ لوجود المخالف المعتبر.

٢- إنكار المجاز مطلقاً في اللغة والقرآن: وقد ذهب إلى ذلك أبو إسحاق الاسفراييني، وتبعه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم.

٣- أن المجاز واقع في اللغة دون القرآن: وقد ذهب إلى ذلك وارد

(٣) انظر معجم البلاغة العربية ص ١٤٧.

الظاهري، وابنه محمد، وابن القاصّ الشافعي وابن خويز منداد المالكي، ومنذر بن سعيد البلوطي، ومن المعاصرين الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي.

حادي عشر: حجة القائلين بمنعه:

القائلون بمنع المجاز في اللغة والقرآن، أو في القرآن وحده يحتجون على ذلك بحجج منها:

١- أن كل مجاز كذب يجوز نفيه: فيلزم على القول بأن في القرآن مجازاً أن في القرآن ما يجوز نفيه، قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ: «وأوضح دليل على منعه في القرآن إجماع القائلين بالمجاز على أن كل مجاز يجوز نفيه، ويكون نافيه صادقاً في نفس الأمر؛ فتقول لمن يقول: رأيت أسداً يرمي: ليس هو بأسد وإنما هو رجل شجاع؛ فيلزم على القول بأن في القرآن مجازاً أن في القرآن ما يجوز نفيه، ولا شك أنه لا يجوز نفي شيء من القرآن»[١].

٢- أن القول بالمجاز ذريعة إلي نفي الصفحات الإلهية وتأويلها، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ: «وهذا اللزوم اليقيني الواقع بين القول بالمجاز في القرآن وبين جواز نفي بعض الصفات قد شوهدت في الخارج صحته، وأنه كان ذريعة إلى نفي كثير

(١) منع المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز ص٨.

من صفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن العظيم.

وعن طريق القول بالمجاز توصل المعطلون لنفي ذلك، فقالوا: لا يد، ولا استواء، ولا نزول، ونحو ذلك في كثير من آيات الصفات لأن هذه الصفات لم تُرَدْ حقائقها؛ بل هي عندهم مجازات؛ فاليد سمتعملة عندهم في النعمة، أو القدرة، والاستواء في الاستيلاء، والنزول نزول أمره ونحو ذلك؛ فنفوا هذه الصفات الثابتة بالوحي عن طريق القول المجاز.

مع أن الحق الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة إثبات هـذه الصفات التي أثبتها ـ تعالى ـ لنفسه، والإيمان بها من غير تكييف ولا تشبيه، ولا تعطيل ولا تمثيل»[1].

فهذا السبب ـ أعني نفي الصفات عن طريق القول بالمجاز ـ هو من أعظم الأسباب التي دعت القائلين بإنكار المجاز إلى ذلك.

٣- ادعاء أن الألفاظ كلها حقيقة: والجزم بأن تقسيمها إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث لم تعرفه العرب: قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن المجاز: «إنه غير معروف عن العرف، ولم تقل الأمة في أول عصورها: هذا اللفظ حقيقة وذاك مجاز.

وإنما هو اصطلاح طارىء على الأمة بعد انقضاء القرون الثلاثة».

وقد كرر ـ رحمه الله ـ ذلك في مواضع من كتبه، خصوصاً في

---

(١) منع المجاز ص٨-٩.

كتابه الإيمان، وفي الأسماء والصفات من مجموع الفتاوى.

٤- أن إطلاق المجاز في القرآن يفضي ويؤدي إلى وصف الله بالمُتَجَوِّز: وذلك مما لم يرد الإذن به؛ ذلك أن أسماء الله وصفاته توقيفية كما هو معلوم.

ثاني عشر: مناقشة مثبتي المجاز لمنكريه

١- أن القول بأن كل مجاز كذب يجوز نفيه ليس صحيحاً: وإنما يكون المجاز كذباً لو أثبت المعنى على التحقيق لا على المجاز، أي أنه إذا أطلق القمر ـ مثلاً ـ على إنسان بهي الطلعة يكون كذباً لو ادُّعي أنه القمر الذي في السماء حقاً.

ولا ريب أن هذا ليس بمرادٍ في المجاز، وإنما المراد تشبيهه به في البهاء والحسن، فأين الكذب؟!

وكذلك قولنا للبليد (حمار) ليس المقصود بأنه حمار في الشكل والخلقة وإلا لصح أن ينفى ويقال: ليس هو بحمار بل هو إنسان؛ فالنفي هنا مُنصب على إرادة الحقيقة لا على المعنى المجازي، وهذا لا يسمى كذباً؛ لأن المتكلم جاء بقرينة تبين مراده، وترفع اللبس، ثم أن البلاغيين حرصوا في مصنفاتهم على أن يبينوا الفرق بين المجاز والكذب؛ فهم متفقون على أن المجاز ليس كذباً؛ لأن التجوُّز يضع بين يدي المجاز قرينة تصرف عن إرادة المعنى الأصلي للفظ.

أما الكذب فإن الكاذب يحرص فيه على إخفاء حاله؛ ترويجاً للكذب الذي يريده.

ولقد عني البلاغيون بالقرائن عناية بالغة، واستنبطوها من كلام العرب، وفصلوا فيها القول تفصيلاً؛ فإذا خلا المجاز من القرائن كان الكلام فاسداً لعدم دلالته.

٢- أن القول: بأن المجاز ذريعة إلى نفي الصفات الإلهية، وتأويلها ليس مسوغاً لنفي المجاز؛ ذلك أنه لا حجة لهؤلاء النفاة المعطلة فيما ذهبوا إليه.

وإنما هم أصحاب هوى وضلال، ومن كانت هذه حاله ركبه كل صعب وذلول في سبيل هواه، فاستدلالهم بالمجاز على نفي الصفات استدلال فاسد، فنحن نجعله حجة عليهم لا لهم؛ فيقال لهؤلاء النفاة المعطلة: إن الأصل في الكلام أن يحمل على حقيقته وظاهره المتبادر ما لم تقم قرينة توجب صرفه عن هذه الحقيقة، وذلك الظاهر لنا.

ثم إن الناس متعبدون باعتقاد الظاهر من أدلة الكتاب والسنة ما لم يمنع مانع.

وبناء على ذلك يقال لهؤلاء النفاة: إن النصوص الصحيحة القطعية أثبتت صفات الكمال لله تعالى كصفة الكلام، واليد، والاستواء، والنزول، والعلو، والساق، والقَدم، والضحك، والأصابع.

والنصوص الواردة في ذلك لا تظفر فيها بأي قرينة تنقلها عن معانيها الحقيقية التي دلت عليها؛ فهي صفات حقيقية ثابتة للرب ـ سبحانه ـ على ما يلين به.

وادعاء هؤلاء المعطلة أن إثبات الصفات يلزم منه التمثيل، وأن القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي تنزيه الله سبحانه عن مماثلة المخلوقين ادعاء باطل متهافت، ظاهر السقوط؛ إذ لا يلزم من إثبات الصفات لله تمثيله وتشبيهه بخلقه؛ فللخالق ـ سبحانه ـ صفات تليق به، وللمخلوق صفات تليق به.

ثم إن مجيء نصوص الصفات متكاثرة يقطع بأن المراد منها معانيها الحقيقية ويدرأ عن تلك النصوص أن تكون مجازية أنها لا تقبل دعوى المجاز من جهة اللغة نفسها، وتراكيب الكلم فيها؛ فهي تأبى أن تبارح المعنى الحقيقي.

ونمثل بهذا المثال وهو قوله سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤)﴾ [النساء: ١٦٤].

فلا يجوز أبداً أن يقال: إن الكلام في هذه الآية مجازي، لأن الفعل (كلَّم) أُكِّد بالمصدر (التكليم) الدال على النوع.

وقد نقل أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨) إجماع النحاة على أن الفعل إذا أكد بالمصدر لم يكن مجازاً، بل هو حقيقة قطعاً.

وكيف وقل قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟!

ومما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] أنه قال: «لا يجوز أن تفسر بالقدرة؛ لأن القدرة صفة واحدة، ولا يُعَبَّر بالاثنين عن الواحد، ولا يجوز أن يراد به النعمة؛ لأن نعم الله ـ تعالى ـ لا تحصى.

وإذا أضيف الفعل إلى الفاعل، وعُدِّي الفعل إلي اليد بحرف الباء كقوله ـ تعالى ـ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] فإنه نصٌّ على أنه فعل الفعل بيديه.

فإذا قال القائل: بنيت الحجرة بيدي فلابد أن يكون باشر البناء بنفسه. إذا قال: هذا البيت بَنَتْه يداي يفهم منه أنه بناه بماله، وفرق بين التركيبين» ا. هـ.

وبالجملة، فالأمثلة على هذا النحو كثيرة جداً أو من خلالها يظهر أن نصوص الصفات لا تقبل المجاز من جهة نظمها، وتركيبها، وإضافتها إلى الله ـ عز وجل ـ.

كيف وأهل السنة مجمعون على الإقرار بأسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته وحملها على الحقيقة لا المجاز؟!

٣- أما القول بأن الألفاظ كلها حقيقة أو أن تقسيمها إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث لم تعرفه العرب ـ فذلك يحتاج إلي نظر.

فإن أريد بذلك أن العرب لم يضعوا هذا المصطلح فنعم.

وإن أريد نه لا يوجد في كلامهم مجاز فهذا غير صحيح، بل

الشواهد من كلامهم على استعمال المجاز أكثر من أن تحصر، وذلك مما استفاض به النقل عن علماء اللغة.

ثم إن القول إن هذا الاصطلاح لم يعرف إلا بعد القرون الثلاثة المفضلة ـ غير مُسَلَّم به؟ فقد تلكم بالمجاز غير واحد من علماء اللغة في أوقات القرون المفضلة؟ ومن هؤلاء أبو زيد القرشي المتوفي سنة ١٧٠هـ.

ومن أهل اللغة من يعبر عن المجاز بـ: (التوسع والسعة في الكلام).

٤- وأما القول بأن إطلاق المجاز يفضي إلى وصف الله بالمتجوز وذلك لا يصح ـ فيجاب عنه: بأنه لا يلزم ذلك لأن هذا الإطلاق لا يكون إلا بدليل.

ثم إن إطلاق المجاز على اللفظ في بعض استعمالاته اصطلاح، ولا يلزم إضافة المعاني الاصطلاحية إلى الله تعالى ـ وإلا ففي القرآن سجع، وأمثال، فهل يقال في حق الله ـ تعالى ـ: الساجع، والممثل؟

هذه بعض حجج القائلين بمنعه ورد القائلين به على سبيل الإيجاز.

ثالث عشر: خاتمة الحديث عن المجاز: وبعد أن وقفت عن شيء من أمر المجاز وما جاء في الخلاف حول إثباته أو نفيه يتبين لك أن أعظم الأسباب التي دعت إلى نفيه وإنكاره ـ أن أهل التعطيل اتخذوه مطية لتحريف بعض نصوص الشرع لاسيما في باب الصفات.

فهذا هو الذي دعا بعض العلماء أن يشدد في النكير على القائلين بالمجاز.

وإلا لو كان الأمر مجرد اصطلاح لغوي لا يترتب عليه خوض في مسائل الشريعة لهان الخطب، ولا حصل فيه كبير خلاف ولكن لما أدرك بعض العلماء خطورة ذلك وكثرة المبتدعين به سارعوا إلى إنكاره؛ سداً للذريعة، وعلي رأس هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مواطن كثيرة من كتبه، وإن كان قد قال بالمجاز في إحدى مراحل عمره.

يقول الشيخ عبدالمحسن العسكر ـ حفظه الله ـ في مقدمة مخطوطة له عن المجاز: «وأحسب أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد قال بالمجاز في إحدى مراحل عمره، فقد رأيت في (محاسن التأويل) لجمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) ما هذا نصه:

«قال ابن تيمية في بعض فتاواه: نحن نقول بالمجاز الذي قام دليله، وبالتأويل الجاري على نهج السبيه، ولم يوجد في شيء من كلامنا وكلام أحد منا أنا لا نقول بالمجاز والتأويل، والله عند لسان كل قائل، ولكن ننكر من ذلك ما خالف الحق والصواب، وما فتح به الباب إلى هدم السنة والكتاب، واللحاق بمُحرِّفة أهل الكتاب.

والمنصوص عن الإمام أحمد وجمهور أصحابه أن القرآن مشتمل على المجاز، ولم يعرف عن غيره من الأئمة نص في هذه المسألة.

وقد ذهب طائفة من العلماء من أصحابه وغيرهم، كأبي بكر بن

أبي داود، وأبي الحسن الخرزي، وأبي الفضل التميمي، وابن حامد وغيرهم إلى إنكار أن يكون في القرآن مجاز.

وإنما دعاهم إلى ذلك ما رأوه من تحريف المحرفين للقرآن بدعوى المجاز، قابلوا الضلال بحسم المواد، وخيار الأمور التوسط، والاقتصاد.

وبعد أن نقل الشيخ العسكر هذه الفتوى قال: «ومع أنني لم أهتد إلى هذه الفتوى في حظانها من المطبوع من مؤلفات شيخ الإسلام وفتاواه ـ فإن عدم اهتدائي هذا لا ينفي وجودها في كتابات الشيخ مطلقاً.

بَيْدَ أني مطمئن غير مرتاب في نسبة هذا الكلام إلى شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ وذلك لما يلي:

١- أن المطبوع من أعمال شيخ الإسلام لا يمثل إلا القليل مما كتب في حياته كلها.

وأنت خبير أنه صاحب قلم سيال، ومكثر من الكتابة جداً، حتى قال الذهبي: «جاوزت فتاوى ابن تيمية ثلاثمائة مجلد».

٢- أن من له أدنى صلة بتراث شيخ الإسلام لا ينازع في أن هذا النَّفَسَ نَفَسُه، والأسلوب أسلوبه، وقد وقفت على هذه الفتوى بعض العلماء فأجابوا بذلك منهم فضيلة الشيخ محمد العثيمين ـ رحمه الله ـ وشيخنا عبدالرحمن البراك أحسن الله إليه.

٣- أن الذي نقل هذه الفتوى من أعظم الناس اطلاعاً في هذا العصر على كتابات الشيخ وتلميذه ابن القيم، وكان يعيش في بلاد الشام

بلاد الشيخين، ومؤلفات القاسمي وخاصة تفسيره طافحة بالنقولات الكثيرة عنهما.

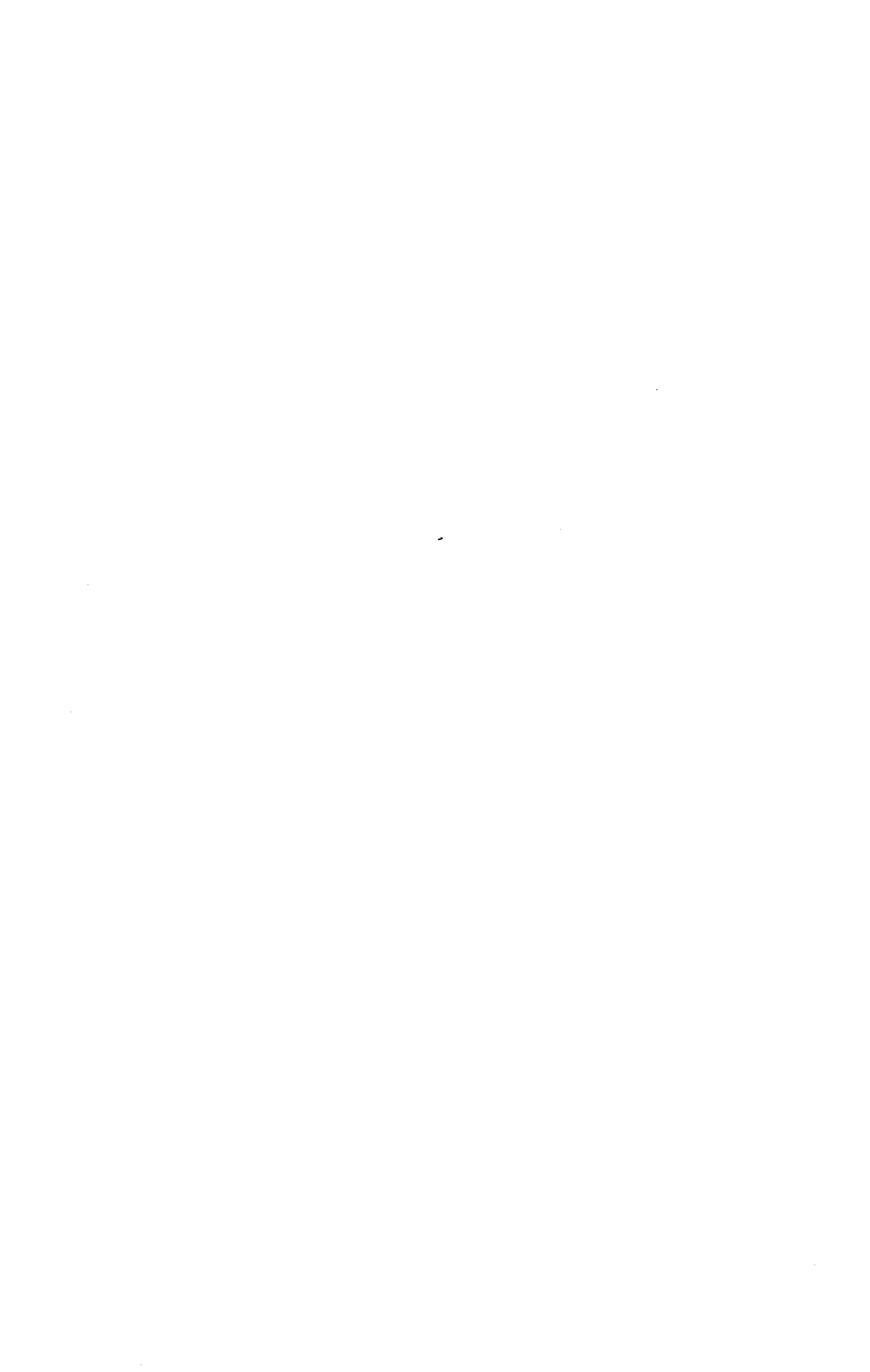
ثم إنه أحد القلة في عصره الذين نهضوا بالمنهج السلفي، ومناصرته، وأوذي في ذلك أذىً كثيراً.

وما كان الشيخ ليلصق بشيخ الإسلام قولاً يتطرق الشك في نسبته إليه».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الرسالة السابعة

الإيمان بالكتب



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً ـ.

أما بعد:

فهذه نبذة يسيرة عن الإيمان بالكتب، يلقى من خلالها نظرة عامة حول هذا الموضوع، وذلك من خلال الآتي:

- تعريف الكتب لغة وشرعاً.
- ما يتضمن الإيمان بالكتب.
- أهمية الإيمان بالكتب.
- أدلة الإيمان بالكتب.
- الغاية من إنزال الكتب.
- مواضع الاتفاق بين الكتب السماوية.
- مواضع الاختلاف بين الكتب السماوية.
- منزلة القرآن من الكتب المتقدمة.
- التـــــوراة.
- التوراة الموجودة اليوم.

- الإنجيـــل.
- الإنجيل بعد عيسى ـ عليه السلام ـ.
- هل يسوغ لأحد اتباع التوراة أو الإنجيل بعد نزول القرآن؟.
- ثمرات الإيمان بالكتب.
- ما يضاد الإيمان بالكتب.
- الطوائف التي ضلت في باب الإيمان بالكتب.

فلعل هذه الصفحات تعطي صورة عامة لهذا الباب.

وأخيراً أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

تعريف الكتب لغة وشرعاً

الكتب في اللغة: جمع كتاب بمعنى مكتوب، مثل فراش بمعنى مفروش، وإله بمعنى مألوه، وغراس بمعنى مغروس.

ومادة (كتب) تدور حول الجمع والضم، وسمى الكاتب كاتباً؛ لأنه يجمع الحروف ويضم بعضها إلى بعض.

ومنه الكتيبة من الجيش سميت كتيبـةً؛ لاجتماعها، وانضمام بعضها إلى بعض، ومنه تسمية الخياط كاتباً؛ لأنه يجمع أطراف الثوب إلى بعض، كما في مقامات الحريري[1]، حيث قال ملغزاً:

وكاتبين وما خطت أنـامـلـهـم حرفاً ولا قرأوا ما خط في الكتب

ويَقْصدُ بهم الخياطين.

أما في الشرع: «فالمراد بها الكتب التي أنزلها الله ـ تعالى ـ على رسله؛ رحمة للخلق، وهداية لهم؛ ليصلوا بهـا إلـى سعادة الدنيـا والآخرة»[2].

(١) مقامات الحريري، ص٢٨٦، دار صادر وانظر مادة كتب في لسان العرب.
(٢) رسائل في العقيدة للشيخ محمد بن عثيمين، ص٢٣.

ما يتضمن الإيمان بالكتب[(١)]

١- الإيمان بأنها أنزلت من عند الله حقّاً.

٢- الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نُزِّل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتوراة التي أُنزلت على موسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والإنجيل الذي نزل على عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ والزبور الذي أوتيه داود ـ عليه السلام ـ.

وأما ما لم نعلمه من الكتب المنزلة فنؤمن به إجمالاً.

٣- تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل، أو يحرف من الكتب السابقة.

٤- العمل بما لم ينسخ منها، والرضا، والتسليم به، سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها.

وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾ [المائدة: ٤٨].

أي حاكماً عليه، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح وأقره القرآن.

(١) انظر المصدر السابق، ٢٣.

أهمية الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب أصل من أصول العقيدة، وركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان أحد إلا إذا آمن بالكتب التي أنزلها الله على رسله ـ عليهم السلام ـ.

وقد أثنى الله ـ عز وجل ـ على الرسل الذين يبلغون عن الله رسالاته فقال ـ عز وجل ـ: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

كما أخبر ـ سبحانه ـ أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنون آمنوا بما أنزل من عند الله من كتب، قال ـ تعالى ـ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ومما يدل على أهميته أن الله أمر المؤمنين بأن يؤمنوا بما أنزله كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)﴾ [البقرة: ١٣٦].

ومما يدل على أهميته أن الله أهلك الأمم بسبب تكذيبهم برسالاته، كما أخبر الله عن صالح بقوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩)﴾ [الأعراف: ٧٩].

كذلك من أنكر شيئاً مما أنزل الله فهو كافر كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا (١٣٦) ﴾ [النساء: ١٣٦].

أدلة الإيمان بالكتب

لقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على الإيمان بالكتب فمن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ [النساء: ١٣٦] وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ﴾ [الشورى: ١٥].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما في حديث جبريل المشهور عندما سأله عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**» الحديث(١).

الغاية من إنزال الكتب(٢)

أنزلت الكتب السماوية كلُّها لغايةٍ واحدةٍ، وهدف واحد وهو أن يُعْبَدَ الله وحده لا شريك له، ولتكون منهج حياة للبشر الذين يعيشون في هذه الأرض، تقودهم بما فيها من هداية إلى كل خير، ولتكون روحاً ونوراً تحيي نفوسهم، وتكشف ظلماتها، وتنير لهم دروب الحياة كلها.

---

(١) رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٨).

(٢) انظر: الرسل والرسالات، ص٢٣٥، د. عمر الأشقر.

مواضع الاتفاق بين الكتب السماوية [1]

تتفق الكتب السماوية في أمور عديدة منها:

١- وحدة المصدر: فمصدرها واحد؛ فهي منزلة من عند الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ١ - ٤].

٢- وحدة الغاية: فالكتب السماوية غايتها واحدة، فهي كلها تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى دين الإسلام؛ فالإسلام هو دين جميع الرسل، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

والإسلام هو الدين الذي أُمِر به إبراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٣١﴾ [البقرة: ١٣١].

وقال موسى ـ عليه السلام ـ لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝٨٤﴾ [يونس: ٨٤].

والحواريون قالوا لعيسى ـ عليه السلام ـ: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢﴾ [آل عمران: ٥٢].

---

(١) انظر المرجع السابق، ص٢٣٥، ٢٤٣، ٢٤٩.

فالغاية ـ إذاً ـ هي الدعوة إلى دين الإسلام، وإلى عبادة الله وحده لا شريك له.

٣- **مسائل العقيدة:** فالكتب اشتملت على الإيمان بالغيب، ومسائل العقيدة، كالإيمان بالرسل، والبعث والنشور، والإيمان باليوم الآخر إلى غير ذلك.

فمسائل العقيدة من باب الأخبار التي لا تنسخ.

٤- **القواعد العامة:** فالكتب السماوية تقرر القواعد العامة، التي لابد أن تعيها البشرية؛ كقاعدة الثواب والعقاب، وهي أن الإنسان يحاسب بعمله، فيعاقب بذنوبه وأوزاره، ولا يؤاخذ بجريرة غيره، ويثاب بسعيه، وليس له سعي غيره كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ (٤١)﴾ [النجم: ٣٦ - ٤١].

ومن ذلك الحث على تزكية النفس، وبيان أن الفلاح الحقيقي لا يتحقق إلا بتزكية النفس بالطاعة لله، والعبودية له، وإيثار الآجل على العاجل.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩)﴾ [الأعلى: ١٤ - ١٩].

ومن تلك القواعد أن الذي يستحق وراثة الأرض هم عباد الله

الصالحون؛ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

ومن ذلك أن العاقبة للتقوى وللمتقين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢]، وقال: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨].

٥- العدل والقسط: وهذا من مواطن الاتفاق؛ فجميع الأنبياء ـ عليهم السلام ـ حملوا ميزان العدل والقسط، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

٦- محاربة الفساد والانحراف: وهذا ما اتفقت عليه الرسالات؛ سواء كان الفساد عقدياً أو خلقياً، أو انحرافاً عن الفطرة، أو عدواناً على البشر، أو تطفيفاً في الكيل والميزان، أو غير ذلك.

٧- الدعوة إلى مكارم الأخلاق: فالكتب كلها دعت إلى مكارم الأخلاق، كالعفو عن المسيء، وكالصبر على الأذى، وكالقول الحسن، وبر الوالدين، والوفاء بالعهد، وصلة الأرحام، وإكرام الضيف، والتواضع، والعطف على المساكين، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق.

٨- كثير من العبادات: فكثير من العبادات التي نقوم بها كانت معروفة عند الرسل وأتباعهم، كالصلاة، والزكاة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وإسماعيل ـ عليه السلام ـ ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ [مريم:

٥٥]، وقال الله لموسى ـ عليه السلام ـ: ﴿فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وقال عيسى ـ عليه السلام ـ: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١)﴾ [مريم: ٣١].

والصوم ـ كذلك ـ مفروض علينا كما هو مفروض على من قبلنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والحج كذلك، كما في قول الله ـ تعالى ـ لإبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٧].

وقد جعل الله لكل أمة مناسكها وعبادتها، قال ـ عز وجل ـ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤].



مواضـع الاختـلاف[1]

تختلف الكتب السماوية في الشرائع، فشريعة عيسى تخالف شريعة موسى ـ عليهما السلام ـ في بعض الأمور، وشريعة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ تخالف شريعة موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ في أمور.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وليس معنى ذلك أن الشرائع تختلف اختلافاً كلياً؛ فالناظر في الشرائع يجد أنها متفقة في المسائل الأساسية، وقد مر بنا شيء من ذلك، فالاختلاف بينها إنما يكون في التفاصيل.

فعدد الصلوات، وأركانها، وشروطها، ومقادير الزكاة، ومواضع النسك، ونحو ذلك ـ قد تختلف من شريعة إلى شريعة، وقد يُحِل الله أمراً في شريعة لحكمة، ويحرمه في شريعة أخرى لحكمة يعلمها ـ عز وجل ـ ولا يلزم أن نعلمها، ومن الأمثلة على ذلك مايلي:

١- الصـــوم: فقد كان الصائم يفطر في غروب الشمس، ويباح له الطعام، والشراب، والنكاح إلى طلوع الفجر ما لم ينم، فإن نام قبل الفجر حرم عليه ذلك كله إلى غروب الشمس من اليوم الثاني، فخفف الله عن هذه الأمة، وأحله من الغروب إلى الفجر، سواءً نام أم لم ينم، قال ـ تعالى ـ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ

---

(١) انظر: الرسل والرسالات، ص ٢٥٠.

لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

٢- ستر العورة حال الاغتسال: لم يكن واجباً عند بني إسرائيل، ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «**كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده**»[1].

٣- الأمور المحرمة: فمما أحله الله لآدم تزويج بناته من بنيه، ثم حرم الله هذا بعد ذلك.

وكان التسري على الزوجة مباحاً في شريعة إبراهيم، وقد فعله إبراهيم في هاجر لما تسرى بها على سارة.

وقد حرَّم الله مثل هذا على بني إسرائيل في التوراة.

وكذلك الجمع بين الأختين كان سائغاً، وقد فعله يعقوب فتزوج بابنتي خاله: ليَّا، وراحيل؛ وهما أختان ثم حُرِّمَ عليهم في التوراة.

ومما حرَّمه الله على اليهود ما قصه علينا في سورة الأنعام، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦)﴾ [الأنعام: ١٤٦].

---

(١) البخاري ـ الفتح (٢٧٨)، مسلم (٣٣٩).

ثم جاء عيسى ـ عليه السلام ـ فأحل لبني إسرائيل بعض ما حرم عليهم.

وجاءت الشريعة الخاتمة لتكون القاعدة: إحلال الطيبات وتحريم، الخبائث.

ومما تميزت به الشريعة الخاتمة أنها عامة لجميع الناس إلى قيام الساعة، بخلاف الشرائع الأخرى، فهي خاصة بقوم دون قوم، أو فترة دون فترة.

منزلة القرآن من الكتب المتقدمة (١)

القرآن آخر الكتب السماوية وهو خاتمها، وهو أطولها، وأشملها، وهو الحاكم عليها.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧].

وقال: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)﴾ [يوسف: ١١١].

قال أهل التفسير في قوله ـ تعالى ـ ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: مهيمناً وشاهداً

(١) انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة للشيخ حافظ الحكمي، ص٨١-٨٢؛ السؤال رقم ٨٠.

على ما قبله من الكتب، ومصدقاً لها؛ يعني يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف، وتبديل، وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير.

ولهذا يخضع له كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه كما قال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣)﴾ [القصص: ٥٢, ٥٣].

فالقرآن هو رسالة الله لجميع الخلق، وقد تكفل ـ سبحانه ـ بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ [الحجر: ٩].

ولا يقبل الله من أحد ديناً إلا ما جاء في هذا القرآن العظيم.

قال الشيخ ابن سعدي ـ رحمه الله ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: «أي مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة في المطالب الإلهية، والأخلاق النفسية؛ فهو الكتاب الذي يتبع كل حق جاءت به الكتب، فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه.

وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود قد دخله التحريف والتبديل، وإلا لو كان من عند الله لم يخالفه»[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن لابن سعدي ١/ ٤٩٠.

التـــــوراة

التوراة هي الكتاب الذي أنزله الله على موسى ـ عليه السـلام ـ والتوراة كتاب عظيم اشتمل على النور والهداية كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

وكثيراً ما يقرن الله ـ عز وجل ـ في القرآن بين التوراة والقرآن؛ وذلك لأنهما أفضل كتابين أنزلهما الله على خلقه.

هذه باختصار هي حقيقة التوراة التي أنزلت على موسى ـ عليه السلام ـ.

التوراة الموجودة اليوم[1]:

أما التوراة الموجودة اليوم فهي ما يطلق على الشريعة المكتوبة، كما يطلق لفظ (التلمود) على الشريعة الشفهية.

والتوراة الموجودة اليوم تشتمل على خمسة أسفار وهي:

١- سفر التكوين: ويتحدث هذا السفر عن خلق العالم، وظهور الإنسان، وطوفان نوح، وولادة إبراهيم إلى موت يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

---

(١) انظر: مقارنة بين القرآن والتوراة لمحمد الصوياني.

٢- سفر الخروج: ويتحدث عن حياة بني إسرائيل في مصر، منذ أيام يعقوب إلى خروجهم إلى أرض كنعان مع موسى ويوشع بن نون.

٣- سفر اللاويين: نسبة إلى لاوي بن يعقوب، وفي هذا السفر حديث عن الطهارة، والنجاسة، وتقديم الذبائح، والنذر، وتعظيم هارون وبنيه.

٤- سفر العـدد: يحصي قبائل بني إسرائيل منذ يعقوب، وأفرادَهم ومواشيهم.

٥- سفر التثنية: وفيه أحكام، وعبادات، وسياسة، واجتماع، واقتصاد، وثلاثة خطابات لموسى ـ عليه السلام ـ.

هذه هي التوراة الموجودة اليوم، وكل عاقل منصف ـ فضلاً عن المسلم المؤمن ـ يعلم براءة التوراة التي أنزلها الله على موسى ـ عليه السلام ـ مما هو موجود في التوراة اليوم، وذلك لأمور عديدة منها:

١- ما حصل للتوراة من الضياع والنسخ والتحريف والتدمير، فلقد حُرِّف فيها، وبُدِّل، وضاعت، وتعرضت لسبع تدميرات، منذ عهد سليمان ـ عليه السلام ـ (٩٤٥) قبل الميلاد إلى أن حصل التدمير السابع عام ٦١٣م مما يدل على ضياعها وانقطاع سندها.

٢- ما تشتمل عليه من عقائد باطلة لا تمت إلى ما جاء به المرسلون بأدنى صلة.

٣- اشتمالها على تنقص الرب ـ جل وعلا ـ وتشبيهه بالمخلوقين، ومن ذلك قولهم: «إن الله تصارع مع يعقوب ليلة كاملة فصرعه يعقوب».

ومن ذلك قولهم: «إن الله ندم على خلق البشر لما رأى من معاصيهم، وأنه بكى حتى رمد فعادته الملائكة».

تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

٤- اشتمالها على سب الأنبياء والطعن فيهم، ومن ذلك قولهم: «إن نبي الله هارون صنع عجلاً، وعبده مع بني إسرائيل».

وقولهم: «إن لوطاً شرب خمراً حتى سكر، ثم قام على ابنتيه فزنى بهما الواحدة تلو الأخرى».

وقولهم: «إن سليمان ـ عليه السلام ـ ارتد في آخر عمره، وعَبَدَ الأصنام، وبنى لها المعابد، إلى غير ذلك من مخازي إخوان القردة»[1].

٥- اشتمالها على المغالطات والمستحيلات والمتناقضات.

٦- أن المعركة التي قامت بين التوراة وحقائق العلم الحديث أثبتت ما في التوراة من الأخطاء العلمية.

ومن تلك الكتب التي تكلمت على هذا الموضوع كتابان هما: (أصل الإنسان) و (التوراة والإنجيل والقرآن) لعالم فرنسي اسمه (موريس بوكاي) حيث أثبت وجود أخطاء علمية في التوراة والإنجيل، وأثبت في الوقت نفسه عدم تعارض القرآن مع العلم الحديث وحقائقه، بل سجل شهادات تفوق سبق القرآنُ فيها العلمَ بألف وأربعمائة عام[2].

---

(١) انظر: الرسل والرسالات، ص١٠٤-١٠٥.

(٢) انظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم (لموريس بوكاي) ترجمة الشيخ حسن خالد.

الإنجيـــل

هو الكتاب العظيم الذي أنزله الله على عيسى ـ عليه السلام ـ متمماً للتوراة، ومؤيداً لها، وموافقاً لها في أكثر الأمور الشرعية، يهدي إلى الصراط المستقيم، ويبين الحق من الباطل، ويدعو إلى عبادة الله وحده دون من سواه.

هذا هو الإنجيل الذي أنزل على عيسى ـ عليه السلام ـ.

وبعد موت عيسى ـ عليه السلام ـ دخل التحريف الإنجيل فَغُيِّر فيه، وبدِّل، وزيد فيه، ونقص.

الإنجيل بعد عيسى ـ عليه السلام ـ:

الكتاب المقدس لدى النصارى يشمل التوراة والأناجيل، ورسائل الرسل.

وتسمى التوراة العهد القديم، وتسمى الأناجيل، ورسائل الرسل العهد الجديد.

فالعهد الجديد ـ إذاً ـ هو الذي يشتمل على أناجيلهم، والأناجيل المعتبرة عند النصارى أربعة هي:

١- إنجيل يوحنَّا. ٢- إنجيل مرقُس.
٣- إنجيل متَّى. ٤- إنجيل لُوقا.

وهناك أناجيل أخرى مثل إنجيل برنابا، وأناجيل أخرى أهملت.

هذا وقد بيَّن كثير من العلماء المسلمين قديماً وحديثاً ومن علماء

النصارى الذين دخلوا في الإسلام، أو المتحررين منهم من ربقة التقليد ـ عدم صحة هذه الأناجيل الموجودة في أيدي النصارى، ووجهوا إليها انتقادات كثيرة، ومن هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.

ومن العلماء المحدثين الشيخ رحمة الله الهندي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه: إظهار الحق، والشيخ محمد أبو زهرة ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه: محاضرات في النصرانية، ومن علماء النصارى الذين أسلموا إبراهيم خليل أحمد كما في كتابه: محاضرات في مقارنة الأديان.

وفيما يلي إجمال لبعض الأمور التي تبين بطلان الأناجيل الموجودة بأيدي النصارى اليوم وعدم صحتها:

١- أن هذه الأناجيل التي بأيدي النصارى لم يُمْلِها عيسى ـ عليه السلام ـ ولم تنزل عليه وحياً، ولكنها كتبت بعده.

٢- ما وقع في الأناجيل من تلاعب النساخ، وتبديلهم وتحريفهم.

٣- اشتمالها على المتناقضات، والاختلافات، وقد أحصى الشيخ رحمة الله الهندي ـ في آخر كتابه إظهار الحق ـ أكثر من مائة اختلاف بين هذه الأناجيل.

٤- انقطاع السند في نسبتها لكتابها.

٥- اشتمالها على تنقص الرب ـ جل وعلا ـ وعلى نسبة القبائح للأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

٦- اشتمالها على العقائد الباطلة المخالفة للنقل والعقل.

٧- تعارضها مع الحقائق العلمية، كما أثبت ذلك عدد من العلماء؛ منهم موريس بوكاي وقد مر معنا ذلك قريباً.

٨- زد على ذلك أن تلك الأناجيل ـ وبغض النظر عن كونها محرفة ـ تخلو من أي تصور محدد لنظام سياسي، أو اجتماعي، أو اقتصادي، أو علمي.

هل يسوغ لأحد اتباع التوراة أو الإنجيل بعد نزول القرآن؟

لا يسوغ لأحد ذلك؛ للاعتبارات السابقة، ولأنها ـ وعلى فرض صحتها ـ كانت خاصة لأمة معينة، ولفترة محددة، ولأنها نسخت بالقرآن الكريم.

ومن هنا يتبين بطلان هذه الكتب، وعدم جواز العمل بها إلا ما أقره القرآن، ويتبين لنا ضلال اليهود والنصارى وبطلان مزاعمهم، كيف وقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[١].

---

(١) رواه مسلم (١٥٣).

ثمرات الإيمان بالكتب[1]

الإيمان بالكتب يثمر ثمراتٍ جليلةً منها:

١- العلم بعناية الله؛ حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

٢- العلم بحكمة الله؛ حيث شرع لكل قوم ما يناسبهم، ويلائم أحوالهم.

٣- التحرر من زبالات أفكار البشر بهدي السماء.

٤- السير على طريقٍ مستقيمةٍ واضحةٍ لا اضطراب فيها ولا اعوجاج.

٥- الفرح بذلك الخير العظيم ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)﴾ [يونس: ٥٨].

٦- شكر الله على هذه النعمة العظيمة.

٧- التحرر من التخبط الفكري والعقدي.

ما يضاد الإيمان بالكتب

يضاد الإيمان بالكتب تكذيبها، والكفر بها، وتحريفها.

كما يضادها: الإعراضُ عن القرآن، وادعاء نسخه، والتحاكم إلى غيره، وادعاء نقصه، ومضاهاته، ومعارضته.

(١) انظر: رسائل في العقيدة الإسلامية، ص٢٣.

الطوائف التي ضلّت في باب الإيمان بالكتب

هناك طوائف كثيرة ضلت في هذا الباب منها:

١- اليهــود: وذلك بتكذيبهم للقرآن، وتكذيبُهم للقرآن هو في الحقيقة تكذيب لجميع الكتب السماوية.

٢- النصــارى: يقال عنهم ما قيل عن اليهود، وقد مر الحديث عنهما.

٣- الرافضــة: وذلك بادعائها أن القرآن ناقص ومحرّف، وأن القرآن الكامل مع الغائب الذي سيخرج في آخر الزمان من سرداب سامراء..!

ثم إنهم ضلوا في هذا الباب بسبب جعلهما في الجفر والجامعة مصدراً للتلقي عندهم.

وضلوا أيضاً في تأويل القرآن حيث أغرقوا في الباطنية في تأويله[١].

٤- البابية والبهائيــة: وذلك بادعائها نسخ القرآن الكريم، والشريعــة الإسلامية بشريعة الباب والبهاء[٢].

٥- التيجانيــة: وذلك بتفضيلها أورادَها وأذكارَها ـ كصلاة الفاتح ـ على القرآن الكريم حيث قالوا: إن قراءة صلاة الفاتح مرة واحدة أفضل من

---

(١) انظر: الشيعة والسنة، لإحسان إلهي ظهير، ص٧٨، وانظر: بطلان عقائـد الشيعة، لمحمد عبدالستار التونسوي، ص٣٥، ومسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر القفاري ١/ ٢١٢-٢١٥.

(٢) انظر: البابية عرض ونقد، لإحسان إلهي ظهير، ص١٠٤ والبابية للكاتـب، والبهائية نقد وتحليل، لإحسان إلهي ظهير، ص٢٢٢ والبهائية للكاتب.

قراءة القرآن ستة آلاف مرة[١].

٦- **غلاة الصوفية عموماً**: وذلك بادعائهم العلم اللَّدُنِّي الذي يوحى إليهم، ويغنيهم عن القرآن كما يزعمون.

ثم إن مصدر التلقي عندهم ليس القرآن والسنة بل يقوم على الرؤى والأحلام، والكشف، وغير ذلك[٢] مما يخالف ما جاء في القرآن.

٧- **النصيرية والدروز وسائر الفرق الباطنية**: وذلك بانحرافهم في تأويل القرآن، وإغراقهم في التأويل الباطني، وإخراج القرآن عن معانيه وحقائقه الصحيحة، وكذلك ادعاء بعضهم نسخ الإسلام كما يقول علي ابن الفضل الباطني ـ قبحه الله ـ:

تولي نبي بني هاشم ... وهذا نبي بني يعرب

لكل نبي مضى شرعةٌ ... وهذي شريعة هذا النبي

فقد حط عنا فروض الصلاة ... وفرض الصيام فلم نتعب

إلى آخر ذلك الكفر الصراح البواح[٣].

---

(١) انظر: التجانية، لعلي الدخيل الله، ص١١٦-١٢٣.

(٢) انظر: التصوف المنشأ والمصادر، لإحسان إلهي ظهير، ٢٦٠-٢٧٥، وهذه هي الصوفية، للشيخ عبدالرحمن الوكيل، ص٧٠.

(٣) انظر: كشف أسرار الباطنية، لابن أبي الفضائل الحمادي اليمني، ص٥٠، والحركات الباطنية، د. محمد بن أحمد الخطيب، ص٦٦و ٣٤٩ ، والنصيرية، د. سهير الفيل، ص٨٧، والباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية لسليمان الأذني، ص٤٨-٥٠.

٨- **المشرعون والقانونيون**: الذين أعرضوا عن تحكيم القرآن، وعارضوه بزبالات أفكارهم، زاعمين أنه لا يناسب العصر الحديث، ولا يفي بحاجاته[1].



(١) انظر: تحكيم القوانين، لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ.

الرسالة الثامنة

الطريق إلى الإسلام



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهُداه.

أما بعد:

فإن السعادة هدف منشود، ومطلب مُلِحٌّ، وغاية مبتغاة.

وكل إنسان يعيش على وجه الأرض يسعى لإسعاد نفسه، وطرد الهم عنها.

ولقد حرص الكُتّاب، والمفكرون، والفلاسفة، والأدباء، والأطباء على البحث في أسباب جلب السعادة، وطرد الهمِّ؛ ولكلٍّ وجهةٌ هو مُوَلِّيها، وقد عَلِمَ كلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُم.

ومع ذلك، فإنَّ السعادة التي يصل إليها أكثرهم سعادة مبتورة، أو ناقصة، أو وهمية، أشبه ما تكون بالمخدر يتناوله متعاطيه، فيشعر بنشوة أول وهلة، حتى إذا ذهب أثره رجعت إليه الأحزان أضعافاً مضاعفة.

والسبب أن أولئك يغفلون أصل الأصول في جلب السعادة الحقَّة، ألا وهو الإيمان بالله ـ عز وجل ـ فذلك سرُّ السعادة وطريقها الأقوم؛ فلا يجد السعادة الحقَّة الدائمة إلا من آمن بالله، واهتدى بهُداه، فهناك يسعد في دنياه وأُخراه.

وهذا الكتاب[1] الذي بين يديك يدعوك إلى السعادة العظمى؛ لأنه يهديك إلى الإيمان بربك الذي خلقك، ويدلك على الاعتقاد الحق الذي يؤيده عقلك السليم، وفطرتك السوية، والذي تعرف من خلاله بداية خلق الإنسان ونهايته، والحكمة من إيجاده، وغير ذلك مما ستجده في الصفحات التالية؛ فهذا الكتاب يعرفك بدين الإسلام الذي ختم الله به الأديان، وارتضاه لجميع عباده، وأمرهم بالدخول فيه.

وسيتضح لك من خلاله عظمة هذا الديـن، وصحة ما جاء به، وصلاحه لكل زمان، ومكان، وأمة.

وإذا أردت التفصيل بعد ذلك فما عليك إلا أن تبحث بنفسك، وأن تسأل عما يشكل عليك؛ فالإسلام دين مفتوح لا يُغلق في وجه أحد، ولا يضيق بالأسئلة مهما كثرت وتنوعت؛ **فلكل سؤال في دين الإسلام جواب**، ولكل قضية حكم؛ فإلى موضوعات الكتاب، والله المستعان، وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآلـه وصحبه.

٥/ ٤/ ١٤٢٠هـ

(١) هذا الكتاب وضع في الأصل لتعريف غير المسلمين بالإسلام، ولهذا سـوف يلاحظ القارىء قلة الحواشي والتفصيلات.

قصة البشرية

تبدأ قصة البشرية منذ أن خلق الله أبا البشر آدم ـ عليه السلام ـ حيث خلقه الله بيده الكريمة من طين، ونفخ فيه من روحه، وعَلَّمَهُ أسماء الأشياء كلها من الطيور، والدواب، وغير ذلك، وأَمرَ الملائكة أن يسجدوا لآدم؛ زيادة في التكريم والتشريف، فسجدوا كلُّهم إلا إبليس أبى واستكبر، فأهبطه الله من ملكوت السموات، وأخرجه ذليلاً مدحوراً، وقضى عليه باللعنة، والشقاء والنار.

وبعد ذلك سأل إبليسُ ربَّه أن يُنظِره إلى يوم القيامة، فقال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٥]، فقال إبليس: ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [ص: ٨٢, ٨٣]، وقال: ﴿ **فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٦, ١٧]، فقال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ **اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٨]، فأخرجه الله من الجنة، وأعطاه القدرة على الوسوسة والإغواء، وأمهله إلى يوم القيامة، ليزداد إثماً، فتعظم عقوبته، ويتضاعف عذابه، وليجعله الله مَحَكّاً يتميز به الخبيث من الطيب.

ثم بعد ذلك خلق الله من آدم زوجَه حواء؛ ليسكن إليها، ويأنس بها، وأمرهما أن يسكنا دار النعيم الجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا

أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأخبرهما ـ عز وجل ـ بعداوة إبليس لهما، ونهاهما عن الأكل من شجرة من أشجار الجنة؛ ابتلاءً وامتحاناً، فوسوس لهما الشيطان، وزيَّن لهما الأكل من تلك الشجرة، وأقسم لهما أنه لهما من الناصحين، وقال: «إن أكلتما من هذه الشجرة كنتما من الخالدين».

فلم يزل بهما حتى أغواهما، فأكلا من الشجرة، وعصيا ربَّهما؛ فندما على ما فعلا أشد الندم، وتابا إلى ربِّهما، فتاب عليهما، واجتباهما، لكنه أهبطهما من الجنة دار النعيم إلى الدنيا دار النصب والتعب، وسكن آدم الأرض، ورزقه الله الذرية التي تكاثرت، وتشعبت إلى يومنا الحاضر، ثم توفاه الله، وأدخله الجنة.

ومنذ أن أهبط الله آدم وزوجته إلى الأرض والعداوة قائمة مستمرة بين بني آدم من جهة، وبين إبليس وذريته من جهة، ومنذ ذلك الحين وإبليس وذريته في صراع دائم مع بني آدم؛ لصدهم عن الهدى، وحرمانهم من الخير، وتزيين الشر لهم، وإبعادهم عما يرضي الله؛ حرصاً على شقائهم في الدنيا، ودخولهم النار في الآخرة.

ولكن الله ـ عز وجل ـ لم يخلق خلقه سدى، ولم يتركهم هملاً، بل أرسل إليهم الرسل الذين يبيِّنون لهم عبادة ربهم، وينيرون لهم دروب الحياة، ويوصلونهم إلى سعادة الدنيا والآخرة، فأخبر ـ سبحانه ـ الجن والإنس أنه إذا أتاكم مني كتاب، أو رسول يهديكم لما يقربكم مني، ويدنيكم من مرضاتي فاتبعوه؛ لأن من اتبع هدى الله، وآمن بكتبه

ورسله، وما جاء في الكتب، وما أمرت به الرسل فإنه لا يخاف، ولا يضل، ولا يشقى، بل تحصل له السعادة في الدنيا والآخرة.

وهكذا بدأت قصة البشرية، فعاش آدم ومِنْ بعده ذريته عشرةَ قرونٍ وهم على طاعة الله، وتوحيده، ثم حصل الشرك، وعُبِد غير الله مع الله؛ فبعث الله أول رسله وهو نوح ـ عليه السلام ـ يدعو الناس إلى عبادة الله، ونبذ الشرك.

ثم تتابع الأنبياء والرسل من بعده على اختلاف بينهم في الأزمنة، والأمكنة، وبعض الشرائع، وتفاصيلها مع الاتفاق في الأصل وهو: الدعوة إلى الإسلام، وعبادة الله وحده، ونبذ ما يُعبد من دونه.

إلى أن جاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ فدعا قومه إلى ترك عبادة الأصنام وإفراد الله بالعبادة، ثم كانت النبوة في ذريته من بعده في إسماعيل وإسحاق، ثم كانت في ذرية إسحاق.

ومن أعظم الأنبياء من ذرية إسحاق: يعقوب، ويوسف، وموسى، وداود، وسليمان، وعيسى ـ عليهم السلام ـ.

ولم يكن بعد عيسى نبي من بني إسرائيل.

وبعد ذلك انتقلت النبوة إلى فرع إسماعيل؛ فكان أن اصطفى الله ـ عز وجل ـ محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليكون خاتماً للأنبياء والمرسلين، ولتكون رسالته هي الخاتمة، وكتابه الذي أنزل إليه وهو القرآن هو رسالة الله الأخيرة للبشرية.

ولهذا جاءت رسالته شاملة، كاملة، عامة للإنس والجن، العرب

وغير العرب، صالحة لكل زمان ومكان، وأمة وحال؛ فلا خير إلا دلَّت عليه، ولا شر إذا حذَّرت منه، ولا يقبل الله من أحد ديناً سوى ما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.



بعثة النبي محمد وخلاصة سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

الحديث عن بعثة النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسيرته يطول، ولقد أفرد العلماء في هذا الشأن كتباً كثيرة.

والمجال هنا لا يتسع للإطالة والإسهاب، وقد مرَّ بنا في الفقرة الماضية أن رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي الرسالة الخاتمة، وأن الكتاب الذي أُنزِل إليه وهو القرآن هو آخر الكُتب السماوية.

ولعل الحديث في الأسطر التالية يتناول الموضوعات التالية من السيرة المباركة:

أولاً: مهيئات النبوة

لقد هيأ الله ـ عز وجل ـ للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مهيئات كثيرة كانت إرهاصاً لبعثته ونبوته، فمن ذلك ما يلي:

١ - دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى ـ عليهما السلام ـ ورؤيا أمه آمنة: يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن نفسه: **أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له بصرى من أرض الشام»**.

ومعنى الحديث: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: أنا مصداق دعوة إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ لأن إبراهيم لمَّا كان يرفع القواعد من الكعبة في مكة، ومعه ابنه إسماعيل كان يقول ـ كما أخبرنا

الله عنه في القرآن ـ: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾ [البقرة] .

فاستجاب الله دعوة إبراهيم وإسماعيل، فكان النبي الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام ـ من ذريتهما.

أما قوله: «**وبشرى عيسى**» فإن نبي الله عيسى ـ عليه السلام ـ قد بَشَّر بالنبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما أخبر الله عنه في القرآن، فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦].

فعيسى ـ عليه السلام ـ هو آخر نبي من أنبياء بني إسرائيل، وليس بينه وبين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبي؛ فعيسى بَشَّر بنبي يأتي من بعده اسمه أحمد، وأحمد من أسماء النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

أما «**رؤيا أمه**» فقد رأت رؤيا صادقة؛ ذلك أن أمه لما أخذها المخاض، فوضعته تَـمَثَّل لعينيها ذلك النور الذي أضاءت له بصرى في أرض الشام.

٢- كون النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج في أمة العرب: تلك الأمة التي فُضِّلَت على غيرها من الأمم آنذاك، حتى استعدت لهذا الإصلاح الروحي المدني العام، الذي اشتمل عليه دين الإسلام، بالرغم

مما طرأ عليها من الأمية، وعبادة الأصنام، وما أحدثت فيها غلبة البداوة من التفرق والانقسام.

ومع ذلك، فقد كانت أمة العرب متميزة باستقلال الفكر، وسعة الحرية الشخصية، في الوقت الذي كانت الأمم الأخرى ترسف في عبودية الرياستين الدينية والدنيوية، محظوراً عليها أن تفهم غير ما يلقنها الكهنة، ورجال الدين من الأحكام الدينية، أو أن تخالفهم في مسألة عقلية، أو كونية، كما حظرت عليها التصرفات المدنية والمالية.

وكانت أمة العرب ـ أيضاً ـ متميزة باستقلال الإرادة في جميع الأعمال أيام كانت الأمم مُذَلَّلَةً مُسَخَّرة للملوك والنبلاء، المالكين للرقاب والأموال بحيث يستخدمونهم كما يستخدمون البهائم؛ فلا رأي لهم في سلم، ولا حرب، ولا إرادة لها دونهم في عمل ولا كسب.

وكانت أمة العرب متميزة بعزة النفس، وشدة البأس، وقوة الأبدان والقلوب أيام كانت الأمم مؤلفة من رؤساء أفسدهم الإسراف والترف، ومرؤوسين أضعفهم البؤس والشظف، وسادة أبطرهم بغي الاستبداد، ومُسَوَّدين أذلَّهم قَهْرُ الاستعباد.

وكانت أمة العرب أقرب إلى العدل بين الأفراد، وكانت ممتازة بالذكاء، وكثيرٍ من الفضائل الموروثة والمكتسبة كإكرام الضيف، وإغاثة الملهوف، والنجدة، والإباء، وعلو الهمة، والسخاء، والرحمة، وحماية اللاجىء، وحرمة الجار أيام كانت الأمم مرهقة بالأثرة، والأنانية، والأنين من ثقل الضرائب والأتاوى الأميرية.

وكانت أمة العرب قد بلغت أوج الكمال في فصاحة اللسان، وبلاغة المقال مما جعلها مستعدة للتأثر والتأثير بالبراهين العقلية، والمعاني الخطابية، والشعرية، وللتعبير عن جميع العلوم الإلهية والشرعية، والفنون العقلية، والكونية ـ أيام كانت الأمم الأخرى تنفصم عرى وحدتها بالتعصبات الدينية والمذهبية، والعداوات العرقية.

وأعظم مزية امتاز بها العرب، أنهم كانوا أسلم الناس فطرةً، بالرغم من أن أمم الحضارة كانت أرقى منهم في كل فن وصناعة.

والإصلاح الإسلامي مبني على تقديم إصلاح النفس باستقلال العقل، والإرادة، وتهذيب الأخلاق على إصلاح ما في الأرض من معدن، ونبات، وحيوان.

وبهذا كان الله ـ عز وجل ـ يُعِدُّ هذه الأمة للإصلاح العظيم الذي جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

٣- شرف النسب: فقد كان نسبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشرف الأنساب، وأصرحها، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣)﴾ [آل عمران].

فالله ـ عز وجل ـ اصطفى هؤلاء؛ إذ جعل فيهم النبوة والهداية للمتقدمين، واصطفى قريشاً من كِنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفى من بني هاشم سيد ولد آدم محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان آل إسماعيل أفضل الأولين والآخرين، كما كان بنو إسحاق أفضل المتوسطين.

أما اصطفاء الله لقبيلة قريش فقد كان بما آتاهم الله من المناقب العظام، ولاسيما بعد سُكنى مكة، وخدمة المسجد الحرام؛ إذ كانوا أصرح ولد إسماعيل أنساباً، وأشرفهم أحساباً، وأعلاهم آداباً، وأفصحهم ألسنة، وهم الممهدون لجمع الكلمة.

أما اصطفاء الله لبني هاشم فقد كان لما امتازوا به من الفضائل والمكارم؛ فكانوا أصلح الناس عند الفتن، وخيرهم لمسكين ويتيم.

وإنما أطلق لقب هاشم على عمْرو بن عبد مناف؛ لأنه أول من هشم الثريد ـ وهو طعام لذيذ ـ للذين أصابهم القحط، وكان يَشْبَعُ منه كلَّ عامٍ أهلُ الموسم كافة، ومائدتُه منصوبةٌ لا ترفع في السراء ولا في الضراء.

وزاد على هاشم ولَدُه عبدالمطلب جدُّ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان يطعم الوحش، وطير السماء، وكان أول من تعبد بغار حراد، وروي أنه حرم الخمر على نفسه.

وبالجملة: فقد امتاز آل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على سائر قومه بالأخلاق العلية، والفواضل العملية، والفضائل النفسية، ثم اصطفى الله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بني هاشم؛ فكان خير ولد آدم، وسيدهم.

٤ ـ بلوغه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذروة في مكارم الأخلاق: فقد جبله الله ـ عز وجل ـ على كريم الخلال، وحميد الخصال، فكان قبل

النبوة أرقى قومه، بل أرقى البشرية في زكاء نفسه، وسلامة فطرته، وحسن خلقه.

نشأ يتيماً شريفاً، وشبَّ فقيراً عفيفاً، ثم تزوج محباً لزوجته مخلصاً لها.

لم يتولَّ هو لا والده شيئاً من أعمال قريش في دينها ولا دنياها، ولا كان يعبد عبادتهم، ولا يحضر سامرهم، ولا ندواتهم، ولم يُؤْثَرْ عنه قول ولا عمل يدل على حبٍّ الرياسة، أو التطلع إليها.

وكا يُعرف بالتزام الصدق، والأمانة، وعلو الآداب؛ فبذلك كان له المقام الأرفع قبل النبوة؛ حتى لقبوه بالأمين.

وعلى هذه الحال كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى بلغ أشده، واستوى، وكملت في جسده الطاهر، ونفسه الزكية جميع القوى، ولا طمع في مال، ولا سمعة، ولا تطلع إلى جاه ولا شهرة، حتى أتاه الوحي من رب العالمين كما سيأتي بيانه بعد قليل.

٥- كونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أميّاً لا يقرأ ولا يكتب: فهذا من أعظم المهيئات والدلائل على صدق نبوته؛ فهذا الرجل الأمي الذي لم يقرأ كتاباً، ولم يكتب سطراً، ولم يقل شعراً، ولم يرتجل نثراً، الناشىءُ في تلك الأمة الأمية ـ يأتي بدعوة عظيمة، وبشريعة سماوية عادلة، تستأصل الفوضى الاجتماعي، وتكفل لمعتنقيها السعادة الإنسانية الأبدية، وتعتقهم من رق العبودية لغير ربِّهم ـ جل وعلا ـ.

كل ذلك من مهيئات النبوة، ومن دلائل صدقها.

ثانياً: نبذة عن نسب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحياته

هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن حكيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وعدنان من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

وأُم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وزهرة أخو جد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وقد تزوج بها عبدالله والد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأقام معها في بيت أهلها ثلاثة أيام، فلم تلبث أن حملت بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم تجد في حمله ثقلاً، ولا وحماً كما هو شأن المحصنات الصحيحات الأجسام.

وقد رأت أمه رؤيا لما حملت به، وقد مَرَّ ذِكْرُ الرؤيا في كلام سابق.

وقد ولدته أمه سَوِيّ الخلق، جميل الصورة، صحيح الجسم، وكانت ولادته عام الفيل الموافق للحادي والسبعين بعد الخمسمائة للميلاد.

وقد تُوفي والده وهو حَمْلٌ في بطن أمه، فكفله جده عبدالمطلب، وأرضعته أمه ثلاثة أيام ثم عهد جده بإرضاعه إلى امرأة يقال لها حليمة السعدية.

وكان من عادة العرب أن يسترضعوا لأولادهم في البوادي؛ حيث تتوافر أسباب النشأة البدنية السليمة.

ولقد رأت حليمة السعدية من أمر هذا الرضيع عجباً، ومن ذلك: أنها أتت مع زوجها إلى مكة على أتان هزيلة بطيئة السير، وفي طريق العودة من مكة، وهي تضع الرضيع في حجرها كانت الأتان تعدو عَدْواً سريعاً، وتُخَلِّف وراءها كل الدواب، مما جعل رفاق الطريق كلهم يتعجبون.

وتُحدِّث حليمة بأن ثديها لم يكن يُدِرُّ شيئاً من الحليب، وأن طفلها الرضيع كان دائم البكاء من شدة الجوع، فلما ألقمت الثدي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دَرَّ غزيراً، فأصبحت ترضعه وترضع طفلها حتى يشبعا.

وتُحدِّث حليمة عن جدب أرض قومها ديار بني سعد، فلما حظيت بشرف رضاعة هذا الطفل أنتجت أرضها، وماشيتها، وتَبَدَّلت حالها من بؤس وفقر، إلى هناء ويسر.

وبعد سنتين عادت به حليمة إلى أمه وجده في مكة، لكن حليمة أَلَحَّتْ على أمه أن توافق على بقائه عندها مرة ثانية؛ لِمَا رأت من بركته عليها، فوافقت أُمُّه آمنة، فعادت حليمة بالطفل مرة أخرى إلى ديارها والفرحة تملأ قلبها.

وبعد سنتين عادت به حليمة إلى أمه، وعمره آنذاك أربع سنوات، فحضنته أمه إلى أن توفيت، وكان له من العمر ست سنين، فكفله جده

عبدالمطلب سنتين ثم توفي، وقبل وفاته أوصى به ابنه أبا طالب عمَّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحاطه بعنايته كما يحوط أهله وولده.

إلا أنه كان لفقره يعيش عيش الشظف؛ فلم يتعود ـ صلى الله عليه وسلم ـ نعيم الترف، ولعلَّ ذلك من عناية الله بهذا النبي الكريم.

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أَلِفَ رعي الغنم مع إخوانه من الرضاع لما كان في بادية بني سعد، فصار يرعى الغنم لأهل مكة؛ فيكفي نفسه بما يأخذه على ذلك من الأجرة، ولا يرهق عمه بالنفقة.

ثم سافر مع عمه أبي طالب في تجارة إلى الشام، وله من العمر اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام، وهناك رآه (بحيرا) الراهب، وبشَّر به عمَّه أبا طالب، وحذَّره من عدوان اليهود عليه بعد أن رأى خاتم النبوة بين كتفيه.

ثم إنه سافر مرة أخرى مُتَّجراً بمالٍ لخديجة بنت خويلد، فأعطته أفضل مما كانت تعطي غيره؛ إذ جاءت تلك التجارة بأرباح مضاعفة، بل جاءت بسعادة الدنيا والآخرة.

وكانت خديجة هذه أعقل وأكمل امرأة في قريش، حتى كانت تدعى في الجاهلية: الطاهرة؛ لِما لها من الصيانة، والعفَّة، والفضائل الظاهرة.

ولما حدَّثها غُلامها ميسرةُ بما رأى من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في رحلته معه إلى الشام، من الأخلاق العالية، والفضائل السامية، وما قاله (بحيرا) الراهب لعمه أبي طالب في رحلته الأولى إلى الشام

ـ تعلقت رغبتها به؛ وبأن تتخذه زوجاً لها، وكانت قد تزوجت من قبل، وتوفي عنها زوجها؛ فتمَّ ذلك الزواج الميمون، وكان عمره آنذاك خمسة وعشرين سنة، وعمرها قريب من أربعين سنة.

ولم يتزوج عليها طيلة حياتها، ولا أحب مثلها، وتوفيت بعد البعثة النبوية بعشر سنين، فكان كثيراً ما يذكرها، ويتصدق عنها، ويهدي لصاحباتها، وهي الزوجة التي رُزِق منها جميع أولاده عدا إبراهيم؛ فإنه من زوجته ماريا القبطية.

هذه بعض أخباره وسيرته قبل النبوة، وبدء الوحي على سبيل الإجمال.

ثالثاً: بدء الوحي

بَلَغَ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشُدَّه وقَرُب من الأربعين، واكتملت قواه العقلية والبدنية، وكان أول ما بدأ به من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مِثْلَ فَلَق الصبح واضحة كما رآها في منامه.

ثم بعد ذلك حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يخلو بنفسه في غار حراء في مكة، فيتعبد الله الليالي ذوات العدد، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بالطعام والشراب، حتى جاءه الحق، وهو على هذا الشأن بنزول القرآن عليه في شهر رمضان، وذلك بأن تَمَثَّل له المَلَكُ جبريل، ولقَّنَه عن

ربِّه أول ما نزل من القرآن، فقال: ﴿اقْرأْ﴾ فقال: «**ما أنا بقارىء**»، فقال له: ﴿اقْرأْ﴾ فقال: «**ما أنا بقارىء**»، فقال: ﴿اقْرأْ﴾ فقال: «**ما أنا بقارىء**»، وكان جبريل بعد كل جواب من الأجوبة الثلاثة يضمه على صدره، ويعصره حتى يبلغ منه الجهد.

ولما تركه جبريل في المرة الثالثة ألقى عليه أول آيات أُنزلت من القرآن، وهي: ﴿اقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ③ الَّذي عَلَّمَ بالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ [العلق].

بهذه الآيات العظيمة التي تأمر بالعلم، وتبيِّن بداية خلق الإنسان ـ بدأ نزول الوحي على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرجع النبي إلى زوجته خديجة يرجف فؤاده، ولكنه حفظ رشاده، فقال: «**زملوني زملوني**»، يعني: لففوني بالثياب، ففعلوا، حتى إذا ذهب عنه الروع، أخبر خديجة الخبر، وقال: «**لقد خشيت على نفسي**».

فقالت خديجة ـ رضي الله عنها ـ: «كلا والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضعيف، وتعين على نوائب الحق».

وهكذا استدلت هذه المرأة العاقلة على أن من كان هذا شأنه في محبة الخير للناس فلن يخذله الله؛ فسنَّة الله تقتضي بأن الجزاء من جنس العمل.

ثم انطلقت بعد ذلك خديجة بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى أتت ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان قد تنصَّر في الجاهلية، ويكتب

الإنجيل بالعبرانية، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة له: إسمع من محمد ما يقول، فقال ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره ـ صلى الله عليه وسلم ـ خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً ـ أي: شاباً ـ ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك.

فقال له الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**أَوَمُخْرِجِيَّ هم؟**» قال: نعم؛ لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودِيَ، وإن يدركني يومك أَنْصُرْكَ نصراً مؤزراً، ثم توفي ورقة، وفتر الوحي.

واستمرت فترة الوحي ثلاث سنين، قوي فيها استعداد النبي، واشتدَّ شوقه وحنينه.

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**بينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني في حراء**».

وذكر أنه رعب منه، ولكن ذلك دون الرَّعبة الأولى، فرجع إلى أهله فتزَمَّلَ، وتَدَثَّرَ (أي: تغطى بالثياب).

ثم أنزل الله عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥**﴾ [المدثر].

أي: يا أيها الذي تدثر بثيابه قم فأنذر الناس بالقرآن، وبلغهم دعوة الله، وطهر ثيابك وأعمالك من أدران الشرك، واهجر الأصنام، وتبرأ من أهلها.

ثم حمي الوحي بعد ذلك، وتتابع، وبلَّغ ـ صلى الله عليه وسلم ـ

دعوة ربه، حيث أمره وأوحى إليه بأن يدعو الناس إلى عبادة الله وحده، وإلى دين الإسلام الذي ارتضاه الله، وختم به الأديان؛ فقام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

فاستجاب له أول من استجاب: خديجة من النساء، وأبو بكر الصديق من الرجال، وعلي بن أبي طالب من الصبيان، ثم توالى دخول الناس في دين الله، فاشتدَّ عليه أذى المشركين، وأخرجوه من مكة، وآذوا أصحابه أشدَّ الأذى، فهاجر إلى المدينة، وتتابع عليه نزول الوحي، واستمر في دعوته، وجهاده، وفتوحاته، حتى عاد إلى مكة ظافراً فاتحاً.

وبعد ذلك أكمل الله له الدين، وأقـرَّ عينه بعز الإسلام وظهور المسلمين، ثم توفاه الله وعمره ثلاث وستون سنة، أربعون منها قبل النبوة وثلاث وعشرون نبياً رسولاً.

وبه ختم الله الرسالات السماوية، وأوجب طاعته على الجن والإنس؛ فمن أطاعه سعد في الدنيا، ودخل الجنة في الآخرة، ومن عصاه شقي في الدنيا، ودخل النار في الآخرة.

وبعدما توفاه الله ـ عز وجل ـ تابع أصحابه مسيرته، وبلَّغوا دعوته، وفتحوا البلدان بالإسلام، ونشروا الدين الحق حتى بلغ ما بلغ من الليل والنهار.

ودينه ـ صلى الله عليه وسلم ـ باقٍ إلى يوم القيامة.

فما القول في أميّ نشأ بين أميين، قام بذلك الإصلاح الذي تغيَّر

به تاريخ البشر أجمعين، في الشرائع، والسياسات، وسائر أمور الدنيا والدين؟ وامتدَّ مع لغته في قرن واحد من الحجاز إلى آخر حدود أوربا وأفريقيا من الغرب، وإلى حدود الصين من جهة الشرق حتى خضعت له الأمم، ودانت له الدول، وأقبلت إليه الأرواح قبل الأشباح، وكانت تتبعه في كل فتوحه الحضارة والمدنية، والعدل والرحمة، والعلوم العقلية والكونية على أيدي تلك الأمة الحديثة العهد بالأمية، التي زكَّاها القرآن، وعلَّمها أن إصلاح الإنسان يتبعه إصلاح الأكوان؛ فهل يمكن أن يكون هذا إلا بوحي من لدن حكيم عليم، وتأييد سماوي من الإله العزيز القدير الرحيم؟

رابعاً: من أخلاق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكرم الخلق أخلاقاً، وأعلاهم فضائل وآداباً، امتاز بذلك في الجاهلية قبل عهد النبوة فكيف بأخلاقه بعد النبوة؟.

وقد خاطبه ربُّه ـ تبارك وتعالى ـ بقوله له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

لقد أدَّبهُ ربُّه، فأحسن تأديبه، وربَّاه فأحسن تربيته، فكان خُلُقهُ القرآن الكريم، يتأدب به، ويؤدب الناس به، فمن أخلاقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان أحلم الناس، وأعدلهم، وأعفَّهم، وأسخاهم.

وكان يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويعين أهله في المنزل، ويقطع اللحم معهن، وكان أشد الناس حياءً، لا يثبت بصره في وجه أحد.

وكان يجيب الدعوة من أي أحد، ويقبل الهدية ولو قلَّت، ويكافىء عليها، وكان يغضب لربِّه، ولا يغضب لنفسه، وكان يجوع أحياناً فيعصب الحجر على بطنه من الجوع، ومرة يأكل ما حضر، ولا يرد ما وجد، ولا يعيب طعاماً قط، إن وجد تمراً أكله، وإن وجد شواءً أكله، وإن وجد خبزَ برٍّ أو شعير أكله، وإن وجد حلواً أو عسلاً أكله، وإن وجد لبناً دون خبز اكتفى به، وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكله.

وكان يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس.

وكان أشد الناس تواضعاً، وأسكنهم من غير كِبْر، وأبلغهم من غير تطويل، وأحسنهم بشراً، لا يهوله شيء من أمور الدنيا.

وكان يلبس ما وجد، فمرة شملة، ومرة جبة صوف، فما وجد من المباح لبس.

يركب ما أمكنه، مرة فرساً، ومرة بعيراً، ومرة بغلة شهباء، ومرة حماراً، أو يمشي راجلاً حافياً.

يجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف في البر لهم، ويصل ذوي الرحم من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم.

لا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه، يمزح ولا يقول إلا

حقاً، يضحك من غير قهقهة، يسابق أهله، ترفع الأصوات عليه فيصبر.

وكان لا يمضي عليه وقت في غير عمل لله ـ تعالى ـ أو فيما لابد له منه من صلاح نفسه.

لا يحتقر مسكيناً لفقره وزمانته، ولا يهاب مَلِكاً لمُلكِهِ، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستوياً، قد جمع الله له السيرة الفاضلة، والسياسة التامة، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب.

نشأ في بلاد الفقر والصحاري في فقره، وفي رعاية الغنم يتيماً، لا أب له، فعلمه الله ـ تعالى ـ جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة، وأخبار الأولين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة، والغبطة والخلاص في الدنيا.

ما كان يأتيه أحد إلا قام معه في حاجته، ولم يكن فظاً، ولا غليظاً، ولا صخَّاباً في الأسواق، وما كان يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح.

وكان من خُلُقه أن يبدأ من لقيه بالسلام، ومَنْ قادَمَهُ لحاجةٍ صابره حتى يكون القادم هو المنصرف.

وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر.

وكان إذا لقي أحداً من أصحابه بدأه بالمصافحة، ثم أخذ بيده فشابكه، ثم شدَّ قبضته عليه.

وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعاً، ويمسك بيديه عليهما، ولم يكن يُعْرَفُ مجلسُهُ من مجلس أصحابه؛ لأنه كان يجلس حيث

انتهى به المجلس.

وما رُئِيَ قط ماداً رجليه بين أصحابه؛ حتى لا يضيقَ بهما على أحد إلا أن يكون المجلس واسعاً لا ضيق فيه.

وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه قرابة يُجْلِسه عليه.

وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته، فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل.

وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه؛ وكان يعطي من جلس إليه نصيبه من وجهه، وسمعه، وحديثه، ولطيف محاسنه، وتوجيهه.

ومَجْلسُه مع ذلك مجلسُ حياء، وتواضع، وأمانة.

وكان يدعو أصحابه بكناهم؛ إكراماً لهم، واستمالة لقلوبهم، وكان يكني من لم تكن له كنية، وكان يكني النساء اللاتي لهن أولاد، واللاتي لم يلدن يبتدىء لهن الكنى، وكان يكني الصبيان فيستلين قلوبهم.

وكان أبعد الناس غضباً، وأسرعهم رضاً، وكان أرأف الناس بالناس، وخير الناس للناس، وأنفع الناس للناس.

وكان يحب اليسر، ويكره العسر، ولا يشافه أحد بما يكره، ومن رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه.

هذه بعض أخلاقه وشمائله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

شهادة الفيلسوف الإنجليزي توماس كارليل على صدق رسالة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

كل عاقل منصف لا يسعه إلا التصديق برسالة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك أن الأمارات الكثيرة شاهدة ناطقة بصدقه.

ولا ريب أن شهادة المخالف لها مكانتها؛ فالفضل ـ كما قيل ـ ما شهدت به الأعداء.

وفيما يلي شهادة للفيلسوف الإنجليزي الشهير «توماس كارليل» الحائز على جائزة نوبل، حيث قال في كتابه «الأبطال» كلاماً طويلاً عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخاطب به قومه النصارى، ومن ذلك قوله: «لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خدّاع مزوِّر.

وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة؛ فإن الرسالة التي أدَّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟!

أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل هذا القبول،

فما الناس إلا بُلْهٌ مجانين، فوا أسفا! ما أسوأ هذا الزعم، وما أضعف أهله، وأحقهم بالرثاء والرحمة.

وبعد، فعلى من أراد أن يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات ألا يصدق شيئاً البتة من أقوال أولئك السفهاء؛ فإنها نتائج جيل كفر، وعصر جحود وإلحاد، وهي دليل على خبث القلوب، وفساد الضمائر، وموت الأرواح في حياة الأبدان.

ولعل العالَم لم ير قط رأياً أكفر من هذا وألأَم، وهل رأيتم قط معشر الإخوان، أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً وينشره علناً؟

والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب؛ فهو إذا لم يكن عليماً بخصائص الجير، والجص، والتراب، وما شاكل ذلك ـ فما ذلك الذي يبنيه ببيت، وإنما هو تل من الأنفاق، وكثيب من أخلاط المواد.

نعم، وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه، فينهدم؛ فكأنه لم يكن».

إلى أن قال: «وعلى ذلك، فلسنا نَعُدُّ محمداً هذا قط رجلاً كاذباً متصنعاً، يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيته، ويطمح إلى درجة ملك أو سلطان، أو إلى غير ذلك من الحقائر.

وما الرسالة التي أدَّاها إلا حق صراح، وما كلمته إلا قول صادق.

كلا، ما محمد بالكاذب، ولا المُلفِّق، وهذه حقيقة تدفع كل باطل، وتدحض حُجة القوم الكافرين.

ثم لا ننسى شيئاً آخر، وهو أنه لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً، وكانت صناعة الخط حديثه العهد إذ ذاك في بلاد العرب ـ وعجيب وأيم الله أُمِّيَّةَ العرب ـ ولم يقتبس محمد من نور أي إنسان آخر، ولم يغترف من مناهل غيره، ولم يكن إلا كجميع أشباهه من الأنبياء والعظماء، أولئك الذين أشبِّههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور.

وقد رأيناه طول حياته راسخ المبدأ، صادق العزم بعيداً، كريماً بَرًّا، رؤوفاً، تقياً، فاضلاً، حراً، رجلاً، شديد الجد، مخلصاً، وهو مع ذلك سهل الجانب، ليِّـن العريكة، جم البشر والطلاقة، حميد العشرة، حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب، وكان ـ على العموم ـ تضيء وجهه ابتسامةٌ مشرقة من فؤاد صادق؛ لأن من الناس من تكون ابتسامته كاذبة ككذب أعماله وأقواله».

إلى أن قال: «كان عادلاً، صادق النية، كان ذكي اللـب، شهم الفؤاد، لوذعياً، كأنما بين جنبيه مصابيح كل ليل بهيم، ممتلئاً نوراً، رجلاً عظيماً بفطرته، لم تثقفه مدرسة، ولا هذبه معلم، وهو غني عن ذلك.

ويزعم المتعصبون من النصارى والملحدين أن محمداً لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية، ومفاخر الجاه والسلطان.

كلا ـ وأيم الله ـ لقد كان في فؤاد ذلك الرجل ابن القفار والفلوات، المتوقد المقلتين، العظيم النفس، المملوء رحمة وخيراً وحكمة، وحِجَى ـ أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه، وكيف

لا، وتلك نفس صامتة كبيرة، ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين؛ فبينما ترى آخرين يرضون الاصطلاحات الكاذبة، ويسيرون طبق الاعتبارات الباطلة إذ ترى محمداً لم يرض أن يَتَلَفَّع بمألوف الأكاذيب، ويتوشح بمبتدع الأباطيل.

لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة، وبحقائق الأمور والكائنات، لقد كان سرُّ الوجود يسطع لعينيه ـ كما قلت ـ بأهواله، ومخاوفه، وروانقه، ومباهره، ولم يكن هناك من الأباطيل ما يحجب ذلك عنه، فكان لسان حال ذلك السر الهائل يناجيه: ها أنا ذا، فمثل هذا الإخلاص لا يخلو من معنى إلهي مقدس، فإذا تكلم هذا الرجل فكل الآذان برغمها صاغية، وكل القلوب واعية، وكل كلام ما عدا ذلك هباء، وكل قول جفاء».

إلى أن قال: «إذاً فلنضرب صفحاً عن مذهب الجائرين أن محمداً كاذب، ونعد موافقتهم عاراً، وسبة، وسخافة، وحمقاً؛ فلنربأ بأنفسنا عنه».

إلى أن قال: «وإن ديناً آمن به أولئك العرب الوثنيون، وأمسكوه بقلوبهم النارية لجدير أن يكون حقاً، وجدير أن يصدق به.

وإنما أودع هذا الدين من القواعد هو الشيء الوحيد الذي للإنسان أن يؤمن به.

وهذا الشيء هو روح جميع الأديان، وروح تلبس أثواباً مختلفة، وأثواباً متعددة، وهي في الحقيقة شيء واحد.

وباتباع هذه الروح يصبح الإنسان إماماً كبيراً لهذا المعبد الأكبر ـ

الكون ـ جارياً على قواعد الخالق، تابعاً لقوانينه، لا مجادلاً عبثاً أن يقاومها ويدافعها.

لقد جاء الإسلام على تلك الملل الكاذبة، والنحل الباطلة، فابتلعها، وحق له أن يبتلعها؛ لأنه حقيقة، وما كان يظهر الإسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب، وجدليات النصرانية، وكل ما لم يكن بحق؛ فإنها حطب ميت».

إلى أن قال: «أيزعم الأفّاكون الجهلة أنه مشعوذ ومحتال؟

كلا، ثم كلا، ما كان قط ذلك القلب المحتدم الجائش كأنه تَنور فِكْر يضور ويتأجج ـ ليكون قلب محتال ومشعوذ، لقد كانت حياته في نظره حقاً، وهذا الكون حقيقة رائعة كبيرة».

إلى أن قال: «مثل هذه الأقوال، وهذه الأفعال ترينا في محمد أخ الإنسانية الرحيم، أخانا جميعاً الرؤوف الشفيق، وابن أمنا الأولى، وأبينا الأول.

وإنني لأحب محمداً لبراءة طبعه من الرياء والتصنع، ولقد كان ابن القفار رجلاً مستقل الرأي، لا يقول إلا عن نفسه، ولا يدّعي ما ليس فيه، ولم يكن متكبراً، ولكنه لم يكن ذليلاً ضَرِعاً، يخاطب بقوله الحرّ المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم، يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة، وللحياة الآخرة، وكان يعرف لنفسه قدرها، ولم تخل الحروب الشديدة التي وقعت له مع الأعراب من مشاهد قوة، ولكنها كذلك لم تخل من دلائل رحمة وكرم وغفران، وكان محمد لا يعتذر

من الأولى، ولا يفتخر بالثانية».

إلى أن قال: «وما كان محمد بعابث قط، ولا شابَ شيئاً من قوله شائبةُ لعبٍ ولهوٍ، بل كان الأمر عنده أمر خسران وفلاح، ومسألة فناء وبقاء، ولم يكن منه بإزائها إلا الإخلاص الشديد، والجد المرير.

فأما التلاعب بالأقوال، والقضايا المنطقية، والعبث بالحقائق ـ فما كان من شأنه قط، وذلك عندي أفظع الجرائم؛ إذ ليس هــو إلا رقدة القلب، ووسن العين عن الحق، وعيشة المرء في مظاهر كاذبة.

وفي الإسلام خَلَّة أراها من أشرف الخلال وأجلها، وهي التسوية بين الناس، وهذا يدل على أصدق النظر وأصوب الرأي؛ فنفس المؤمن رابطة بجميع دول الأرض، والناس في الإسلام سواء».

إلى أن قال: «وسع نوره الأنحاء، وعمَّ ضوؤه الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب، والمشرق بالمغرب، وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل في الهند، ورجل في الأندلس، وأشرقت دولة الإسلام حقباً عديدة، ودهوراً مديدة بنور الفضل والنبل، والمروءة، والبأس، والنجدة، ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة».

وبعد أن تبين لك أيها القارىء شيء من سيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعوته، وأخلاقه، إليك هذه الصفحات التي تعرفـك بدين الإسلام الذي جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.



من خصائص دين الإسلام

الإسلام دين الفطرة، ودين السلام والأمـانِ، والبشريةُ لن تجد الراحة، ولن تحقق السعادة إلا بالأخذ بالإسلام، وتطبيقه في شتى الشؤون.

ومما يؤكد عظمة دين الإسلام ما يتميز به من خصائص لا توجد في غيره من المذاهب والأديان.

ومن تلك الخصائص التي تثبت تَمَيُّزَ الإسلام، ومدى حاجة الناس إليه مايلي:

١- أنه جاء من عند الله: والله ـ عز وجل ـ أعلم بما يصلح عباده، قال ـ تعالى ـ: ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك: ١٤].

٢- أنه يبين بداية الإنسان ونهايته، والغاية التي خُلق من أجلها: قال ـ تعالى ـ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً**﴾ [النساء: ١]، وقال: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ**﴾ [طه: ٥٥]، وقال: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦].

٣- أنه دين الفطرة: فلا يتنافى معها، قال ـ تعالى ـ: ﴿**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ [الروم: ٣٠].

٤- أنه يعتني بالعقل ويأمر بالتفكر: ويذم الجهل، والتقليد الأعمى، والغفلة عن التفكير السليم، قال ـ تعالى ـ: ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: ٩]، وقال: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ**

السَّمَوَات وَالأَرْضِ وَاخْتلاف اللَّيْلِ وَالنَّهَار لآيَات لأُوْلِي الأَلْبَاب (١٩٠) الذين يَذْكُرُونَ اللَّهَ قيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

٥- الإسلام عقيدة وشريعة: فهو كامل في عقيدته وشرائعه؛ فليس ديناً فكرياً فحسب، أو خاطرة تمر بالذهن، بل هو كامل في كل شيء، مشتمل على العقائد الصحيحة، والمعاملات الحكيمة، والأخلاق الجميلة، والسلوك المنضبط؛ فهو دين فرد وجماعة، ودين آخرة وأولى.

٦- أنه يعتني بالعواطف الإنسانية: ويوجهها الوجهة الصحيحة التي تجعلها أداء خير وتعمير.

٧- أنه دين العدل: سواء مع العدو، أو الصديق، أو القريب، أو البعيد، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدلُوا اعْدلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

٨- الإسلام دين الأُخُوَّة الصادقة: فالمسلمون إِخْوةٌ في الدين، لا تفرقهم البلاد، ولا الجنس، ولا اللون، فلا طبقية في الإسلام، ولا عنصرية، ولا عصبية لجنس أو لون أو عِرق، ومعيارُ التفاضل في الإسلام إنما يكون بالتقوى.

٩- الإسلام دين العلم: فالعلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، والعلم يرفع صاحبه إلى أعلى الدرجات، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

١٠- أن الله تكفل لمن أخذ بالإسلام وطبّقه بالسعادة، والعزة، والنصرة فرداً كان أم جماعة: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الذينَ آمَنُوا منكُمْ وَعَملُوا الصَّالحَات لَيَسْتَخْلفَنَّهُمْ في الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الذينَ من قَبْلهمْ وَلَيُمَكّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمُ الذي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدّلَنَّهُم مّنْ بَعْد خَوْفهمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَني لا يُشْرِكُونَ بي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، وقال: ﴿مَنْ عَملَ صَالحًا مّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

١١- في الإسلام حل لجميع المشكلات: لاشتمال شريعته وأصولها على أحكام ما لا يتناهى من الوقائع.

١٢- أن شريعته أحكم ما تساس به الأمم: وأصلح ما يقضى به عند التباس المصالح، أو التنازع في الحقوق.

١٣- الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان، وأمة وحال، بل لا تصلح الدنيا بغيره: ولهذا كلما تقدمت العصور، وترقت الأمم ظهر برهان جديد على صحة الإسلام، ورفعة شأنه.

١٤- الإسلام دين المحبة، والاجتماع، والألفة، والرحمة: قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**».

وقال: «**الراحمون يرحمهم الرحمن؛ ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**».

١٥- الإسلام دين الحزم والجد والعمل: قال النبي ـ صلى الله

عليه وسلم ـ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، احرص على ما ينفعك ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل**».

١٦ - الإسلام أبعد ما يكون عن التناقض: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾ [النساء: ٨٢].

١٧ - أنه يحمي معتنقيه من الفوضى والضياع والتخبط: ويكفل لهم الراحة النفسية والفكرية.

١٨ - الإسلام واضح ميسور: وسهل الفهم لكل أحد.

١٩ - الإسلام دين مفتوح: لا يغلق في وجه من يريد الدخول فيه.

٢٠ - الإسلام يرتقي بالعقول، والعلوم، والنفوس، والأخلاق: فأهله المتمسكون به حق التمسك هم خير الناس، وأعقل الناس، وأزكى الناس.

٢١ - الإسلام يدعو إلى أحسن الأخلاق والأعمال: قال ـ تعالى ـ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)﴾ [فصلت: ٣٤].

٢٢ - الإسلام يحفظ العقول: ولهذا حرَّم الخمر، والمخدرات، وكل ما يؤدي إلى فساد العقل.

٢٣ - الإسلام يحفظ الأموال: ولهذا حثَّ على الأمانة، وأثنى على أهلها، ووعدهم بطيب العيش، ودخول الجنة، وحرَّم السرقة، وتوعد

فاعلها بالعقوبة، وشرع حد السرقة وهو قطع يد السارق؛ حتى لا يتجرأ أحد على سرقة الأموال؛ فإذا لم يرتدع خوفاً من عقاب الآخرة، ارتدع خوفاً منن قطع اليد؛ ولهذا يعيش أهل البلاد التي تطبق حدود الشرع آمنين على أموالهم، بل إن قطع اليد قليل جداً؛ لقلة من يسرق.

ثم إن قطع يد السارق فيه حكمة الزجر للسارق من معاودة السرقة، وردع أمثاله عن الإقدام عليها، وهكذا تحفظ الأموال في الإسلام.

٢٤- الإسلام يحفظ الأنفس: ولهذا حرَّم قتل النفس بغير الحق، وعاقب قاتل النفس بغير الحق بأن يقتل؛ ولأجل ذلك يقل القتل في بلاد المسلمين، التي تطبق شرع الله؛ فإذا علم الإنسان أنـه إذا قَتَل شخصاً سيُقتل به كفَّ عن القتل، وارتاح الناس من شر المقاتلات.

٢٥- الإسلام يحفظ الصحة: فالإشارات إلى هذا المعنى كثيرة جداً سواء في القرآن أو السنة النبوية، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف: ٣١].

قال العلماء: إن هذه الآية جمعت الطبَّ كلَّه؛ ذلك أن الاعتدال في الأكل والشرب من أعظم أسباب حفظ الصحة.

ومن الإشارات لحفظ الصحة أن الإسلام حرَّم الخمر، ولا يخفى ما في الخمر من أضرار صحية كثيرة، فهي تضعف القلب، وتفري الكلى، وتمزق الكبد إلى غير ذلك من أضرارها المتنوعة.

ومن ذلك: أن الإسلام حرَّم الفواحش من زناً ولواط، ولا يخفى ما فيهما من الأضرار الكثيرة، ومنها الأضرار الصحية التي عُرِفَتْ أكثر

ما عُرِفَتْ في هذا العصر من: زهري، وسيلان، وهربس، وإيدز ونحوها.

ومن حِفظ الإسلام للصحة أنه حرَّم لحم الخنزير، الذي عُرِفَ الآن أنه يولِّد في الجسم أدواءً كثيرة، ومن أخصِّها الدودة الوحيدة، والشعرة الحلزونية، وعملهما في الإنسان شديد، وكثيراً ما يكونان السبب في موته.

ومن الإشارات في هذا الصدد ما عُرف من أسرار الوضوء، وأنه يمنع من أمراض الأسنان، والأنف، بل هو من أهم الموانع للسل الرئوي؛ إذ قال بعض الأطباء: إن أهم طريق لهذا المرض الفتاك هو الأنف، وإن أنوفاً تُغسَلُ في اليوم خمس عشرة مرة لجديرة بألا تبقى فيها جراثيم هذا الداء الوبيل، ولذا كان هذا المرض في المسلمين قليلاً وفي الإفرنج كثيراً.

والسبب أن المسلمين يتوضؤون للصلاة خمس مرات في اليوم، وفي كل وضوء يغسل المسلم أنفه مرة أو مرتين أو ثلاثاً.

٣٦- الإسلام يتفق مع الحقائق العلمية: ولهذا لا يمكن أن تتعارض الحقائق العلمية الصحيحة مع النصوص الشرعية الصريحة.

وإذا ظهر في الواقع ما ظاهره المعارضة فإما أن يكون الواقع مجرد دعوى لا حقيقة لها، وإما أن يكون النص غير صريح في معارضته؛ لأن النص وحقائق العلم كلاهما قطعي، ولا يمكن تعارض القطعيين.

ولقد قرر هذه القاعدة كثير من علماء المسلمين، بل لقد قررها كثير من الكُتَّاب الغربيين المنصفين، ومنهم: الكاتب الفرنسي المشهور

(موريس بوكاي) في كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن)، حيث بيَّن في هذا الكتاب أن التوراة المحرَّفة، والإنجيل المحرَّف الموجودين اليوم يتعارضان مع الحقائق العلمية، في الوقت الذي سجل فيه هذا الكتاب شهادات تفوق للقرآن الكريم سبق بها القرآنُ العلمَ الحديثَ.

وأثبت الكاتب من خلال ذلك أن القرآن لا يتعارض أبداً مع الحقائق العلمية، بل إنه يتفق معها تمام الاتفاق.

ولقد تضافرت البراهين الحسيَّة، والعلميَّة، والتجريبيَّة على صدْق ما جاء به الإسلام حتى في أشد المسائل بُعداً عن المحسوس، وأعظمها إنكاراً في العصور السابقة.

خذ على سبيل قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً أُولاهنَّ بالتراب**».

ولقد جاء الطب باكتشافاته ومكبراته فأثبت أن في لعاب الكلب ميكروباتٍ وأمراضاً فتَّاكة لا يزيلها الماء وحده، وأظهرت البحوث العلمية الحديثة أنه يحصل من إنقاء التراب لهذه النجاسة ما لا يحصل بغيره.

وجاء ـ أيضاً ـ أن شرب الكلب في الإناء يسبب أمراضاً خطيرة، فالكلب كثيراً ما تكون فيه ديدان مختلفة الأنواع، ومنها: دودة شريطية صغيرة جداً، فإذا شرب في إناء، أو لمس إنسان جسد الكلب بيده أو بلباسه انتقلت بويضات هذه الديدان إليه، ووصلت إلى معدته في أكله، أو شربه، فتثقب جدرانها، وتصل إلى أوعية الدم، وتصل إلى الأعضاء

الرئيسة، فتصيب الكبد، وتصيب المخ، فينشأ عنه صداع شديد، وقيءٌ متوالٍ، وفقد للشعور، وتشنجات، وشلل في بعض الأعضاء، وتصيب القلب، فربما مزَّقته، فيموت الشخص في الحال.

ثم إن العلوم الطبيعية تؤيد الإسلام، وتؤكد صحته على غير علم من ذويها.

مثال ذلك: تلقيح الأشجار الذي لم يُكتَشف إلا منذ عهد قريب، وقد نصَّ عليه القرآن الذي أُنزل على النبي الأمي منذ أربعة عشر قرناً في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]، وكذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧]، وقوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]، وقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ [يس: ٣٦].

فهذا كلام رب العالمين في القرآن قبل أن تبيَّن لنا العلوم الطبيعية أن في كل نبات ذكراً وأنثى.

ولقد اعتنق بعض الأوربيين الإسلام لما وجد وصف القرآن للبحر وصفاً شافياً مع كون النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يركب البحر طول عمره، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ [النور: ٤٠].

٢٧- الإسلام يكفل الحريات ويضبطها: فحرية التفكير في الإسلام مكفولة، وقد منح الله الإنسان الحواس من السمع، والبصر، والفؤاد؛

ليفكر، ويعقل، ويصل إلى الحق، وهو مأمور بالتفكير الجاد السليم، ومسؤول عن إهمال حواسه وتعطيلها، كما أنه مسؤول عن استخدامها فيما يضر.

والإنسان في الإسلام حُرٌّ في بيعه، وشرائه، وتجارته، وتنقلاته، ونحو ذلك ما لم يتعد حدود الله في غش، أو خداع، أو إفساد.

والإنسان في الإسلام حُرٌّ في الاستمتاع بطيبات الحياة الدنيا من: مأكول، أو مشروب، أو مشموم، أو ملبوس، ما لم يرتكب محرماً يعود عليه أو على غيره بالضرر.

ثم إن الإسلام يضبط الحريات؛ فلا يجعلها مطلقة سائمة في مراتع البغي والتعدي على حريات الآخرين؛ فالشهوة على سبيل المثال لو أطلقت لا ندفع الإنسان وراء شهوته، التي تكون سبباً في هلاكه؛ لأن طاقته محدودة، فإذا استُنفِذت في اللهو والعبث والمجون ـ لم يبق فيها ما يدفعها إلى الطريق الجاد، ويدلها على مسالك الخير؛ فليس من الحرية ـ إذاً ـ أن يسترسل في شهواته وملذاته غير مبالٍ بحلال أو حرام، وغير ناظر في العواقب.

إن نهايته ستكون وخيمة في العاجل قبل الآجل؛ إن ثرواته ستتبدد، وإن قواه ستنهار، وصحته ستزول، وبالتالي سيكون تعيساً محسوراً.

ثم هب أن الإنسان أطلق لشهواته العنان، هل سيجد الراحة والطمأنينة؟

الجواب: لا؛ وإذا أردت الدليل على ذلك فانظر إلى عالمنا المعاصر بحضارته المادية؛ لما أطلق حرية العبث والمجون، ولم يُحسن استخدامها ـ

حدثت القلاقل، والمصائب، والأمراض الجسدية والنفسية، وشاع القتل، والنهب، والسلب، والانتحار، والقلق، وأمراض الشذوذ.

وليست الحرية ـ أيضاً ـ بالسير وراء الأطماع التي لا تقف عند حد دونما مبالاة في آثارها على الآخرين؛ فهل يعد من الحرية ما يقوم به الأقوياء من سطو على الضعفاء، واستخفاف بحقوقهم، ومصادرة لآرائهم كما هي حال الدول الكبرى في عالمنا المعاصر؟

الجواب: لا؛ فالحرية الحقة هي ما جاء به الإسلام، وهي الحرية المنضبطة التي تحكم تصرفات الإنسان، والتي يكون فيها الإنسان عبداً لربه وخالقه؛ فذلك سر الحرية الأعظم؛ فالإنسان إذا تعلق بربه خوفاً، وطمعاً، وحباً، ورجاء، وذلاً، وخضوعاً ـ تحرر من جميع المخلوقين؛ ولم يعد يخاف أحداً غير ربه، ولا يرجو سواه، وذلك عين فلاحه وعزته.

وبالجملة، فالإسلام دين الكمال والرفعة، ودين الهداية والسمو.

وإذا رأينا من بعض المنتمين إليه وَهَناً في العزم، أو بُعداً عن الهدى ـ فالتبعة تعود على أولئك، لا على الدين؛ فالدين براء، والتبعة تقع على من جهل الإسلام، أو نبذ هدايته وراء ظهره.



من محاسن الدين الإسلامي

مرَّ بك في الفقرة السابقة ذكْرٌ لبعض خصائص الدين الإسلامي، والحديث في هذه الفقرة قريب من الحديث السابق أو إكمالٌ له، وسيتضح لك فيما يلي شيء من محاسن الدين الإسلامي، وأنه دين السعادة والفلاح، وأنه لم يَدَعِ الإنسان في خاصة نفسه أو مع أهله، أو مع جيرانه، أو أهل ملَّته، أو الناس أجمعين ـ إلا علَّمه من دقائق الآداب، ومحاسن المعاملات ما يصفو به عيشه، ويتم سروره.

ولا يَريبَنَّك ما عليه كثير من المسلمين من سوء الحال؛ فإن ذلك بمقتضى أهوائهم لا من طبيعة دينهم.

ومحاسن الدين الإسلامي تتجلى بوضوح من خلال النظر في أوامر الإسلام ونواهيه؛ فإليك نبذة عن ذلك فيما يلي من أسطر:

أولاً: من أوامر الإسلام: الإسلام يأمر بأوامر عظيمة تنتظم بها الأمور المدنية، وتصلح بها حالة المعاش؛ فالإسلام في ذلك الشأن هو البحر الذي لا يدرك غوره، والغاية التي ليس بعدها أمل لآمل، ولا زيادة لمستزيد.

وهذه الأوامر حثَّ عليها الإسلام بأبلغ العبارات، وأقربها إلى الأفهام، وتوعد على الخروج عن هذه الجادة بالعقاب، ووعد من أخذ بها بجزيل الثواب.

فمن تلك الأوامر العظيمة التي جاء بها الإسلام ما يلي:

١- الإسلام يأمرك بما تكون به كبير النفس عن التشبه بما دونك من أنواع الحيوانات، رفيعَ القدر عن أن تكون عبداً لشهواتك وحظوظك، عالي المنزلة عن أن تعظم غير ربك، أو تخضع لغير حكمه.

٢- الإسلام يأمرك بما يشعرك أنك عضو نافع عامل تأنف أن تقلد غيرك، أو تكون عالة على سواك.

٣- الإسلام يأمرك باستعمال عقلك، وجوارحك فيما خُلِقْتَ له، من العمل النافع في أمر دينك ودنياك.

٤- الإسلام يأمرك بالتوحيد الخالص، والعقيدة الصحيحة التي لا يقبل العقل غيرها، ولا تطمئن القلوب إلا بها؛ فالعقيدة التي أمرك الإسلام بها تجعلك عظيماً كبيراً، وتشعر قلبك العزة، وتذيقك حلاوة الإيمان.

٥- الإسلام يأمرك بستر عورات المسلمين، واتقاء مواضع التهم.

٦- الإسلام يأمرك بالسعي لقضاء حاجات المسلمين، وتنفيس كرباتهم.

٧- الإسلام يأمرك بالبدء بالسلام على كل مسلم، وأن تنصر أخاك المسلم في غيبته.

٨- الإسلام يأمرك بعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، وزيارة القبور، والدعاء لإخوانك المسلمين.

٩- الإسلام يأمرك بإنصاف الناس من نفسك، وأن تحب لهم ما تحبه لنفسك.

١٠- الإسلام يأمرك بالسعي في طلب الرزق، وأن تعز نفسك، وأن

ترفعها عن مواطن الذل والهوان.

١١- الإسلام يأمرك بالرحمة بالخَلق، والعطف عليهم، وحُسن رعايتهم ومداراتهم، والسعي في نفعهم، وجلب الخيرات لهم، ودفع المضرات عنهم.

١٢- الإسلام يأمرك ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وإكرام الجار، والرفق بالحيوان.

١٣- الإسلام يأمرك بالوفاء للأصحاب، وحُسن المعاملة للزوج والأبناء.

١٤- الإسلام يأمرك بالحياء، والحلم، والسخاء، والكرم، والشجاعة، والغيرة على الحق.

١٥- ويأمرك بالمروءة، وحسن السمت، والحزم، والحكمة في الأمور.

١٦- ويأمرك بالأمانة، وإنجاز الوعد، وحُسن الظن، والأناة في الأمور، والمبادرة في فعل الخير.

١٧- ويأمرك بالعفة، والاستقامة، والشهامة، والنزاهة.

١٨- الإسلام يأمرك بشكر الله، ومحبته، وخوفه، ورجائه، والأنس به، والتوكل عليه.

إلى غير ذلك من المعاني الجميلة العظيمة.

ثانياً: من نواهي الإسلام: فمن أعظم محاسن الإسلام ما جاء به من النواهي التي تحذر المسلم من الوقوع في الشر، وتنذره سوء العاقبة التي تترتب على الأفعال القبيحة؛ فمما نهى الإسلام عنه مايلي:

١- نهى عن الكفر، والفسوق، والعصيان، واتباع الهوى.

٢- ونهى عن الكِبْر، والحقد، والعجب، والحسد، والشماتة بالمبتلين.
٣- ونهى عن سوء الظن، والتشاؤم، واليأس، والبخل، والتقتير، والإسراف، والتبذير.
٤- ونهى عن الكسل، والخور، والجبن، والضعف، والبطالة، والعجلة، والفظاظة، وقلة الحياء، والجزع، والعجز، والغضب، والطيش، والتسخط على ما فات.
٥- ونهى عن العناد، وعن قسوة القلب التي تمنع صاحبها من إغاثة الملهوف والمضطر.
٦- ونهى عن الغيبة وهي ذكرك أخاك بما يكره، وعن النميمة وهي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد.
٧- ونهى عن كثرة الكلام بلا فائدة، وعن إفشاء السر، والسخرية بالناس، والاستهزاء بالآخرين.
٨- ونهى عن السب، واللعن، والشتم، والتعبير بالعبارات المستقبحة، والتخاطب بالألقاب السيئة.
٩- ونهى عن كثرة الجدال، والخصومة، وعن المزاح البذيء الذي يجر إلى الشر والتطاول.
١٠- ونهى عن الكلام فيما لا يعني.
١١- ونهى عن كتمان الشهادة، وعن شهادة الزور، وعن قذف المحصنات، وسب الأموات، وكتم العلم.

١٢- ونهى عن السفاهة، والفُحش، وعن المن بالصدقة، وعن ترك الشكر لمن أسدى إليك معروفاً.

١٣- ونهى عن الاستطالة في الأعراض، وانتساب المرء إلى غير أبيه، وعن ترك النصيحة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٤- ونهى عن الخيانة، والمكر، وإخلاف الوعد، والفتنة التي توقع الناس في اضطراب.

١٥- ونهى عن عقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، وإهمال الأولاد، وأذية الجار.

١٦- ونهى عن التجسس، والتحسس، وتتبع عورات الناس.

١٧- ونهى عن تشبه الرجال بالنساء، وعن تشبه النساء بالرجال، وعن إفشاء سر الزوج.

١٨- ونهى عن شرب الخمر، وتعاطي المخدرات، وعن المقامرة التي تعرض المال للمخاطرة.

١٩- ونهى عن ترويج السلعة بالحلف الكاذب، وعن بخس الكيل والوزن، وعن إنفاق المال بالمحرمات.

٢٠- ونهى عن السرقة، والغصب، وخطبة الإنسان على خطبة أخيه، وشرائه على شراء أخيه.

٢١- ونهى عن خيانة أحد الشريكين لشريكه، وعن استعمال العارية بغير ما أذن بها صاحبها، وعن تأخير أجرة الأجير، أو منعه منها بعد فراغه من عمله.

٢٢- ونهى عن الإكثار من الطعام بحيث يضر صاحبه.
٢٣- ونهى عن التهاجر، والتشاحن، والتدابر، وحذَّر أن يهجر المسلم أخاه فوق ثلاث ليال.
٢٤- ونهى عن الضرب لأحد بغير مسوغ شرعي، وعن ترويع الناس بالسلاح.
٢٥- ونهى عن الزنا، واللواط، وقتل النفوس التي حرَّم الله قتلها.
٢٦- ونهى عن قبول القاضي هديةً من أحد لم يكن له عادة بإهدائها له قبل توليه، وعن قبول الضيافة الخاصة.
٢٧- ونهى عن أخذ الرشوة من محق أو مبطل، وعن دفع الرشوة من محق أو مبطل، إلا من محق مضطر إلى دفعها.
٢٨- ونهى عن خذلان المظلوم مع القدرة على نصره.
٢٩- ونهى عن اطِّلاع المرء على دار غيره بغير إذنه ولو من ثقب، وعن التسمع لحديث قوم يكرهون سماعه.
٣٠- ونهى عن كل ما يضر بالهيئة الاجتماعية، أو النفس، أو العقل، أو الشرف، أو العرض.

هذه نبذة موجزة عن أوامر الإسلام ونواهيه، وبسط ذلك وذكر أدلته يحتاج إلى مجلدات ضخام.



أركان الإسلام

أركان الإسلام هي أسُسه التي يبنى عليها، وهي خمسة أركان:

١- شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

٢- إقام الصلاة.

٣- إيتاء الزكاة.

٤- صيام رمضان.

٥- حج بيت الله الحرام.

شرح أركان الإسلام

١- شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله: معنى هذه الشهادة الاعتقاد الجازم المُعَبِّر عنه باللسان بأن الله هو المعبود الحق وحده لا شريك له، وأن محمداً هو الرسول المبلِّغ عن الله.

وجُعِلت هاتان الشهادتان ركناً واحداً مع تعدد المشهود به؛ لأن هاتين الشهادتين أساس صحة الأعمال؛ فلا يقبل إسلام، ولا عمل إلا بالإخلاص لله، والمتابعة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ومعنى ذلك ألا يُعْبَدَ إلا الله وحده، ولا يُعْبَدَ إلا بما شرعه على لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

فبالأخلاص تتحقق شهادة أن لا إله إلا الله، وبالمتابعة تتحقق

شهادة أن محمداً رسول الله.

ومما يمكن أن يتضح به معنى الشهادتين أن يقال: إن معنى (لا إله إلا الله): هو أن ينطق بها الإنسان معتقداً أن الله هو المعبود الحق وحده؛ ولا يكفي مجرد النطق بها، بل لابد من العمل بمقتضاها من القبول، والانقياد، والصدق، والإخلاص، والمحبة.

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

هذا وللشهادتين ثمرات عظيمة منها: تحرير القلب والنفس من الرق للمخلوقين، والاتباع لغير المرسلين.

٢- **إقام الصلاة**: وهو التعبد لله بفعل الصلاة على وجه الاستقامة والتمام في أوقاتها وهيئاتها.

والصلوات المفروضة في الإسلام خمس في اليوم والليلة، وهي: صلاة الفجر، وصلاة الظهر، وصلاة العصر، وصلاة المغرب، وصلاة العشاء.

ومن ثمرات الصلاة: أنها سبب لانشراح الصدر، وقرة العين، وقوة العقل، وحصول النشاط، وطرد الكسل، والانزجار عن الفحشاء والمنكر، وحصول الترابط بين المسلمين.

٣- **إيتاء الزكاة**: وهو التعبد لله ببذل القدر الواجب من الأموال الزكوية لمستحقيها، بحيث يُخْرِج المسلم قدراً يسيراً محدداً من ماله، ويدفعه إلى مستحقيه من الفقراء، والمساكين، ونحوهم.

ومن ثمرات الزكاة: تطهير النفس من البخل، وزيادة المال، ونماؤه، وسد حاجة المسلمين، وشيوع المحبة بينهم، والتخلص من الأثرة والاستبداد، والسلامة من الحسد، وحصول التواضع والرحمة، والشعور بالآخرين.

٤- صوم رمضان: وهو التعبد لله بالإمساك عن المفطرات نهار رمضان.

وذلك بأن يدع المسلم الطعام، والشراب، والجماع، ونحوها من المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس طيلة شهر رمضان؛ تعبداً لله ـ عز وجل ـ.

ومن ثمرات الصيام: تزكيةُ الروح، وتهذيب النفس، وترفعها عن الدنايا، وترويضها على ترك المحبوبات طلباً لمرضاة الله، وتعويدها على الصبر وتحمُّل المصاعب.

ومن ثمراته ـ أيضاً ـ: تنمية الإخلاص ومراقبة الله، ورعايةُ الأمانة، والشعور بالآخرين، وطرد الفردية، وحصول الصحة العامة للبدن.

٥- حج البيت: وهو التعبد لله بقصد البيت الحرام للقيام بشعائر الحج ولو مرة واحدة في العمر لمن استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ومن ثمرات الحج: تذكر الآخرة، وترويض النفس على بذل الجهد المالي والبدني؛ تقرباً لله.

ومن ثمراته: حصول التعارف، والتوادد بين المسلمين.

هذه هي أركان الإسلام، وهذه ثمراتها على سبيل الإجمال، وإلا

فتفاصيل ثمراتها لا تُعد ولا تحصى.

فهذه الأركان تجعل من الأمة أمة إسلامية طاهرة، نقية، تدين بدين الحق، وتعامل الخلق بالعدل والصدق، لأن ما سوى ذلك من شرائع الإسلام يصلح بصلاح هذه الأسس، والأمة تصلح بصلاح أمر دينها، ويفوتها من صلاح أحوالها بقدر ما فاتها من صلاح أمور دينها.



أسس العقيدة الإسلامية

الدين الإسلامي عقيدة وشريعة، وقد مرَّ فيما سبق الإشارة إلى شيء من شرائعه، ومرَّ الحديث عن أركانه التي هي أساس لشرائعه.

أما العقيدة الإسلامية فهي تشمل الإيمان بكل ما جاء عن الله، وعن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأخبار، والأحكام القطعية، والغيبيات، ونحو ذلك.

وأسس العقيدة هي أركان الإيمان الستة، وهي:

١- الإيمان بالله.

٢- الإيمان بالملائكة.

٣- الإيمان بالكتب.

٤- الإيمان بالرسل.

٥- الإيمان باليوم الآخر.

٦- الإيمان بالقدر خيره وشره.

وإليك فيما يلي بعض التفصيل حول هذه الأركان.

شرح أسس العقيدة الإسلامية
أولاً: الإيمان بالله

الإيمان بالله ـ عز وجل ـ أصل الأصول، وأهم المهمات، وأشرف العلوم.

والإيمان بالله هو التصديق الجازم بوجود الله، وبأنه رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق وحده، المدبر للكون كله، وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وأنه متصف بصفات الكمال والجلال، وأنه منزه عن كل عيب، ونقص، ومماثلة للمخلوقين.

وهذا الإيمان مستقر في فطرة كل إنسان؛ فكل واحد من البشر مفطور على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عن ذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

ومعنى فطرة الله: الإسلام؛ ولهذا فإن كل إنسان مفطور على اللجوء إلى ربه ـ تعالى ـ عند الشدائد؛ فإذا وقع الإنسان ـ أي إنسان حتى الكافر والملحد ـ في شدة أو أحدق به خطر ـ فإن الخيالات والأوهام تتطاير من ذهنه، ويبقى ما فطره الله عليه؛ فيلجأ إلى ربه؛ ليفرج كربته.

والمراد بكون الإنسان يولد على الفطرة أنه يولد مجبولاً على حب خالقه، وإقراره بوجوده وعبوديته؛ فلو خلي وفطرتَه لم يَعْدِلِ عن ذلك إلى غيره؛ فكما أنه يولد مفطوراً على ما يلائم بدنه من الأغذية والأشربة

فكذلك يولد مفطوراً على ما يلائم قلبه، وروحه من التوجه إلى الله، والإقرار به.

ولهذا قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**»، أي: أن المولود يولد على الفطرة، وهي الإسلام، ولهذا لم يقل أو يسلمانه؛ فاعتناق غير الإسلام يعد خروجاً عن الأصل والقاعدة بأسباب خارجة؛ فالأبوان قد يصرفان المولود عن أصل فطرته إلى اليهودية، أو النصرانية، أو المجوسية، أو غير ذلك مما يخالف الفطرة.

ثم إن العقل السليم يؤيد الفطرة السليمة؛ فالعقل يدل أعظم الدلالة على الإيمان بالله؛ فمن نظر إلى هذا العالم، وما أودع الله فيه من المخلوقات المتنوعة من أرض، وسماء، وجبال، وبحار، وإنسان، وحيوان، وجماد، وزروع، ونحو ذلك ـ أدرك أن لهذا الكون خالقاً وهو الله ـ عز وجل ـ فالقسمة العقلية في هذا الصدد لا تخرج عن ثلاثة أمور:

١ ـ إما أن تكون هذه المخلوقات وجدت صدفة من غير مُحْدِث ولا خالق: وهذا مُحال ممتنع يجزم العقل ببطلانه؛ لأن كل من له عقل يعلم أنه لا يمكن أن يوجد شيء من غير مُحْدِث ولا مُوجد؛ ولأن وجود هذه المخلوقات على هذا النظام البديع المتَّسِق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب والمسببات، وبين الكائنات بعضها مع بعض ـ يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة.

٢- وإما أن تكون هذه المخلوقات هي الخالقة لنفسها: وهذا محال ممتنع؛ فكل عاقل يجزم أن الشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم؛ فكيف يكون خالقاً؟.

وإذا بطل هذان القسمان تعين الثالث وهو:

٣- أن هذه المخلوقات لها خالق خلقها، ومُحْدِث أوجدها: وهو الله الخالق لكل شيء، الذي لم يسبق بعدم، ولا ينتهي بفناء.

وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ هذا الدليل العقلي القاطع في القرآن الكريم فقال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم خلقوا أنفسهم؛ فتعين أن يكون خالقهم هو الله؛ فالمخلوق لابد له من خالق، والأثر لابد له من مُؤَثِّر، والمُحْدَث لابد له من مُحْدِث، والمصنوع لابد له من صانع، والمفعول لابد له من فاعل.

هذه قضايا واضحة، تعرف في بداهة العقول، ويشترك في إدراكها والعلم بها جميع العقلاء، وهي أعظم القضايا العقلية؛ فمن ارتاب فيها فقد دلَّ على اختلال عقله، وبرهن على سفهه، وفساد تصوره.

وهذه الحقائق معروفة لدى العقلاء من غير المسلمين، ومن نظر في كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) وقد كتبه ثلاثون من علماء الفلك والطبيعة ممن انتهـت إليهم الرياسة في هذه العلوم ـ أدرك أن العَالِمَ الحقيقيَّ لا يكون إلا مؤمناً، والعامي لا يكون إلا مؤمناً، وأن الإلحاد والكفر إنما يبدوان من أنصاف العلماء، وأرباع العلماء ممن تعلَّم قليلاً،

وخسر بذلك الفطرة المؤمنة، ولم يصل إلى الحق الذي يدعو إليه الإيمان.

وقريب من الكتاب السابق كتاب آخر اسمه (الإنسان لا يقوم وحده) وترجم للعربية بعنوان: (العلم يدعو للإيمان).

ومؤلف هذا الكتاب هو (كريسي موريسون) الرئيس السابق لأكاديمية العلوم في نيويورك، ورئيس المعهد الأمريكي لمدينة نيويورك، وعضو المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي في الولايات المتحدة، والزميل في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، وعضو مدى الحياة للمعهد الملكي البريطاني.

ومما قاله (موريسون) في كتابه الآنف الذكر: «إن تقدم الإنسان من الوجهة الخلقية، وشعوره بالواجب إنما هو أثر من آثار الإيمان بالله».

وقال: «إن غزارة التدين لتكْشِفُ عن روح الإنسان، وترفعه خطوة خطوة حتى يشعر بالاتصال بالله، وإن دعاء الإنسان الغريزي لله بأن يكون في عونه ـ هو أمر طبيعي، وإن أبسط صلاة تسمو به إلى مقربة من خالقه».

وقال: «إن الوقار، والكرم، والنبل، والفضيلة، والإلهام ـ لا تنبعث عن الإلحاد».

وقال: «بدون الإيمان كانت المدنية تفلس، وكان النظام ينقلب فوضى، وكان كل ضابط، وكل كبح يضيع، وكان الشر يسود العالم؛ فعلينا أن نَثْبُتَ على اعتقادنا بوجود الله وعلى محبته».

وقال: «وما دامت عقولنا محدودة فإننا لا نقدر أن ندرك ما هو

غير محدود، وعلى ذلك لا نقدر إلا أن نؤمن بوجود الخالق المدبر الذي خلق الأشياء بما فيها تكوين الذرات، والكواكب، والشمس».

وقال: «إن كون الإنسان في كل مكان، ومنذ بدء الخليقة حتى الآن قد شعر بحافز يحفزه إلى أن يستنجد بمن هو أسمى منه، وأقوى، وأعظم - يدل على أن الدين فطري، ويجب أن يقر العلم بذلك».

ومن الأدلة على وحدانية الله، والإيمان به - دلالة الحسن، والأدلة الحسية على ذلك لا تكاد تحصى، ومن الأمثلة الحسية الدالة على الإيمان بالله إجابة الدعوات؛ فكم من الداعين الملهوفين الذين يتوجهون إلى الله بالدعاء فيستجيب دعاءهم، ويفرِّج كرباتهم، ويدفع عنهم السوء.

والأمثلة على إجابة الدعوات كثيرة جداً، بل كل مسلم يعرف ذلك من نفسه، قال - تعالى -: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]، وقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

ومن الأمثلة على ذلك: ما جاء في القرآن الكريم من ذكر لإجابة دعوات الأنبياء، قال - تعالى -: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

وجاء في السنة النبوية أدلة كثيرة على إجابة دعوات الداعين، ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - «أن أعرابياً دخل يوم الجمعة، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب، فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال؛ فادع الله لنا، فرفع النبي يديه، ودعا، فثار السحاب أمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره حتى

رأيت المطر يتحادر من لحيته».

وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره، فقال: يا رسول الله، تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا، فما يشير بيده إلى ناحية إلا انفرجت**».

ومن الأدلة الحسية - أيضاً - آيات الأنبياء التي تسمى المعجزات، وهي أمور خارقة للعادة، خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله على أيدي أنبيائه تأييداً لهم، وتصديقاً لما جاءوا به من الحق.

فالمعجزات برهان قاطع على وجود من أرسلهم.

* مثال ذلك: **آيات موسى**، ومنها: أنه - عليه السلام - لما ذهب بأتباعه المؤمنين لحق به فرعون وجنوده، فلما وصل موسى وأتباعه البحر قال أصحابه: ﴿**إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾ [الشعراء: ٦١]، أي: سوف يدركنا فرعون وجنوده، فقال موسى - عليه السلام -: ﴿**كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين**﴾ [الشعراء: ٦٢] فأوحى الله إلى موسى ﴿**أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ**﴾ [الشعراء: ٦٣] فلما ضرب موسى البحر بعصاه، صار في البحر اثنا عشر طريقاً يابساً فعبره موسى وأتباعه، ولما لحق به فرعون وتمكن في البحر هو وجنوده أطبق عليهم البحر، فنجا موسى وأتباعه، وأدرك فرعون وجنوده الغرقُ.

* ومن ذلك: **آية عيسى** - عليه السلام - حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله.

أما معجزات النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - فكثيرة جداً،

منها نبع الماء بي أصابعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

* وكذلك لما طلب كفار مكة منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ آية، فأشار إلى القمر، فانفلق فرقتين، فرآه الناس؛ فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تأييداً لرسله تدل دلالة قاطعة على وجود من أرسلهم.

ويكفي من المعجزات معجزة القرآن الكريم.

ومن الأدلة على وحدانية الله ـ عز وجل ـ ووجوب الإيمان به صدق الرسل: فالرسل جاءوا بدعوى النبوة، وتلك الدعوى لا يدَّعيها إلا أصدق الناس أو أكذبهم؛ فالأنبياء أصدق الناس، ومدعو النبوة أكذب الناس؛ فالأنبياء والرسل جاءوا بالوحي من عند الله، فأيَّدهم الله، ونصرهم، وأعلى شأنهم، وأجاب دعاءَهم، وأهلك عدوهم؛ فلو كانوا كاذبين لأهلكهم، ولخذلهم، ولجعل الدائرة عليهم كما هي الحال مع مدعي النبوة، فتأييد الله للرسل دليل على صدقهم، وصدقهم دليل على أنهم مبعوثون من عند الله الحق، وأن مرسلهم حق، وعبادته حق.

ومن الأدلة على وحدانية الله ـ عز وجل ـ هداية المخلوقات، فلقد هدى الله الحيوان ناطقه، وبهيمه، وطيره، ودوابه، وفصيحه، وأعجمه إلي ما فيه صلاح معاشه وحاله؛ فمن الذي هدى الطفل ساعة ولادته إلى أن يلتقم ثدي أمه؟ ومن الذي أودع فيه معرفة عملية الرضاع، تلك العملية الشاقة التي تتطلب انقباضات متوالية في عضلات الوجه، واللسان، والعنق، وحركات متواصلة للفك الأسفل، والتنفس من طريق الأنف،

كل ذلك يتم بهداية تامة، وبدون سابق علم أو تجربة؟ فمن الذي ألهمه ذلك؟.

إنه الله ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

ومن الذي أعطى الإنسان القوة، والعقل، وعلَّمه ما لم يكن يعلم؟ إنه الله الخالق المستحق للعبادة.

أما هداية الطير، والوحش، والدواب فحدِّث ولا حرج؛ فلقد هداها الله إلى الأفعال العجيبة التي يعجز عنها الإنسان.

وإذا أردت الدليل فانظر إلى حياة النحل، أو النمل، أو الحمام أو غيرها فسترى العجب العجاب الذي يدعوك إلى الإيمان برب الأرباب.

والمجال لا يتسع للتفصيل في هذا الأمر.



ثانياً: الإيمان بالملائكة

وهذا هو الركن الثاني من أركان الإيمان:

والملائكة: عالم غيبي، مخلوقون، عابدون لله ـ تعالى ـ وليس لهم من خصائص الربوبية، ولا الألوهية شيء، أي أنهم لا يخلُقون، ولا يَرزُقون، ولا يجوز أن يعبدوا مع الله.

وقد منحهم الله ـ عز وجل ـ الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه.

والملائكة عددهم كثير، ولا يحصيهم إلا الله، والإيمان بهم يتضمن مايلي:

١- الإيمان بوجودهم.

٢- الإيمان بما علمنا اسمه منهم باسمه كجبريل، ومن لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالاً، أي نؤمن بأن لله ملائكة كثيرين، ولا يلزم معرفة أسمائهم.

٣- الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبريل؛ فقد أخبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه رآه على صفته التي خلقه الله عليها، وله ستمائة جناح قد سدَّ الأُفق.

وقد يتحول الملك بأمر الله إلى هيئة رجل، كما حصل لجبريل حين أرسله الله إلى مريم أم المسيح ـ عليهما السلام ـ ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] وحين جاء إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو جالس بين أصحابه، حيث جاء جبريل بصورة رجل شديد بياض الثياب،

شديد سواد الشعر، لا يُرَى عليه أثرُ السفر، ولا يعرفه أحدٌ من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجلس إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأسند ركبتيه إلى ركبته، ووضع كفيه على فخذيه، وسأل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وأماراتها، فأجابه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال بعد أن ولَّى: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله إلى إبراهيم ولوط على هيئة رجال.

٤- **الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها**، كتسبيح الله، وعبادته ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة، كـ «جبريل» الأمين على وحي الله يرسله الله بالوحي إلى الأنبياء والرسل، ومثل «ميكائيل» الموكل بالقطر أي النبات، ومثل «مالك» الموكل بالنار، ومثل الملائكة الموكلين بحفظ بني آدم.

والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

١- **العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه**: فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

٢- **شكر الله على عنايته ببني آدم** حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقومون بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

٣- **التقرب إلى الله بحب الملائكة** على ما قاموا به من مراضي الله.

ثالثاً: الإيمان بالكتب

فهذا هو الركن الثالث من أركان الإيمان.

والمراد بالكتب: هي الكتب التي أنزلها الله على رسله؛ رحمة بالخلق، وهداية لهم؛ ليصلوا إلى سعادة الدنيا والآخرة.

والغاية التي أنزلت من أجلها الكتب: هي أن يُعْبَد الله وحده لا شريك له، ولتكون منهج حياة للبشر تقودهم بما فيها من هداية إلى كل خير، وتحيي نفوسهم، وتنير لهم دروب الحياة.

والإيمان بالكتب يتضمن مايلي:

١- الإيمان بأنها منزلة من عند الله حقاً.

٢- الإيمان بما علمنا اسمه منها كالقرآن الذي نزل على محمد، والإنجيل الذي نزل على عيسى، والتوراة التي أنزلت على موسى، والزبور الذي أوتيه داود، وما لم نعلمه نؤمن به إجمالاً.

٣- تصديق ما صح من أخبارها، والعمل بآخرها وهو القرآن؛ لأنه آخرها، ولأنه ناسخ لها.

والكتب السماوية تتفق في أمور: فتتفق في وحدة المصدر؛ فكلها من عند الله، وتتفق في وحدة الغاية، وفي مسائل الاعتقاد، وأنها تدعو إلى العدل، والقسط، ومكارم الأخلاق، ومحاربة الظلم، والفساد، والانحراف، وتتفق في كثير من التشريعات، وتختلف في بعض التشريعات وتفاصيلها؛ فلكل أمة شريعة تلائمها وتناسبها.

منزلة القرآن الكريم من الكتب السماوية

القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، وخاتمها، وأطولها، وأشملها، وهو الحاكم عليها؛ فهو مشتمل على ما اشتملت عليه الكتب السماوية السابقة، ويزيد عليها من المطالب الإلهية، والأخلاق النفسية.

والقرآن فيه نبأ السابقين، واللاحقين، وفيه الحكم، والحكمة، والأحكام.

والقرآن هو الحاكم المهيمن على الكتب السابقة؛ فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما حكم عليه بالرد فهو مردود قد دخله التحريف والتبديل.

والقرآن جاء في الذروة من الفصاحة والبلاغة والإعجاز؛ فهو معجز في لفظه، ومعناه، وفي فصاحته، وإخباره عن الغيوب السابقة واللاحقة، وهو معجز في حكمه وأحكامه وفي كل ما جاء به.

ولهذا يخضع له كل متمسك بالكتب المتقدمة؛ لأنها دلَّت عليه، وبشَّرت به.

فالعمل ـ إذاً ـ يكون بالقرآن، ولا يُقبل من أحد دينٌ إلا ما جاء في هذا القرآن؛ فهو رسالة الله الأخيرة للبشرية، بل هو عامٌّ للجن والإنس؛ بخلاف الكتب السماوية الأخرى التي كانت خاصة بأقوام معينين، وفترات معينة.

ثم إن القرآن محفوظ من الزيادة، والنقص، والتحريف؛ فلقد تكفل

الله ـ سبحانه ـ بحفظه، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والذكر هو القرآن، والسنة النبوية.

والقرآن له أثر عظيم في القلوب؛ فما يسمعه أحد وهو ملقٍ سمعه إلا يجد أن له تأثيراً عظيماً في نفسه، ولو لم يفهم معانيه أو دلالاته، حتى ولو لم يكن يعرف اللغة العربية.

وهذا سرٌّ من أسرار القرآن التي تبيِّن عظمته.

ثم إن القرآن له أبلغ الأثر في رُقي الأمم وفلاحها؛ فهو الذي أخرج الله به من أمة العرب أعلام الحكمة والهدى، وجعلهم خير أمة أُخرجت للناس، بعد أن كانوا يتخبطون في دياجير الجهالة.

ومن خصائص القرآن: أن عجائبه لا تنقضي، وأنه لا يَخْلَق من كثرة الرد؛ فكلما أكثر الإنسان من قراءته زادت حلاوته مرة بعد مرة.

ومن خصائصه: أن الله يسَّر تعلمه وحفظه؛ ولهذا فإن كثيراً من أطفال المسلمين يحفظونه كاملاً عن ظهر قلب.

ومن خصائصه: أنه مشتمل على أعدل الأحكام، وأعظمها، وأشرفها، وأشملها، فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وأحاط بها إجمالاً وتفصيلاً، ويشهد بذلك كل منصف عاقل، حتى ولو لم يكن مسلماً.

يقول السير «وليم مور» في كتابه المسمى (حياة محمد): «إن القرآن ممتلىء بأدلة من الكائنات المحسوسة والدلائل العقلية على وجود الله ـ تعالى ـ وأنه الملك القدوس، وأنه سيجزي المرء بعمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وأن اتباع الفضائل، واجتناب الرذائل فرض على العالمين،

وأن الواجب على كل مكلف أن يعبد الله ـ تعالى ـ وهي علة سعادته».

ويقول جيون: «إن أوامر القرآن ليست محصورة في الفروض الدينية والأدبية فقط، إن القرآن عليه مدار الأمور الأخروية والدنيوية من الفقه، والتوحيد، والأحكام الحقوقية، والجزائية، وما به انتظام الكون، وقمع الظالم، وصيانة الحقوق، وذلك أمر إلهي لا مرية فيه.

وبعبارة أخرى: إن القرآن المجيد هو الدستور العمومي لكل العالم الإسلامي، وهو دستور الدين الإسلامي، فهو نظام الكون في المعاش والمعاد، وبه النجاة الأبدية، وحفظ الصحة البدنية، والمصالح العمومية والشخصية، وما يترتب على ذلك من الفضائل الأدبية، والإجراءات الجزائية الدنيوية والأخروية، وكل ذلك منظم في القرآن المجيد».

وبالجملة فالشهادات في هذا السياق كثيرة جداً، ولو استمر الكاتب في سردها لطال به المقام.



السنة النبوية

السنة النبوية: هي كل ما ورد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قول، أو فعل، أو وصف، أو تقرير.

والسنة شقيقة القرآن، تفسره، وتبينه، وتعبر عنه، وتدل عليه، وتفصِّل مجمله، وتدل على أحكام سكت عنها القرآن، فهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهي من الذكر الذي تكفل الله بحفظه.

والأحاديث التي جاءت عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيرة جداً، ولقد اعتنى بها العلماء غاية العناية، حيث ميزوا صحيحها من ضعيفها، ونقلوها إلينا بالأسانيد من طريق الرواة الثقاة العدول.

ثمرات الإيمان بالكتب:

١ - **العلم بعناية الله**: حيث أنزل على كل قوم كتاباً يهديهم.

٢ - **العلم بحكمة الله**: حيث شرع لكل قوم ما يلائمهم.

٣ - **التحرر من الهوى والنقص الذي يعتري أفكار البشر وتشريعاتهم.**



رابعاً: الإيمان بالرسل

هذا هو الركن الرابع من أركان الإيمان، والرسل: جمع رسول، وهو كل من أوحي إليه بشرع وأُمِر بتبليغه.

وأول الرسل نوح، وآخرهم محمد عليهم الصلاة والسلام.

ولم تَخْلُ أمةٌ من الأمم من رسول، يبعثه الله بشريعة مستقلة إلى قومه، أو نبي يوحي إليه بشرعة مَنْ قبله، ليجددها.

والرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، ولهذا تلحقهم خصائص البشرية من المرض والموت والحاجة إلى الطعام والشراب.

والرسالة اصطفاء من الله، واختيار، ولا تأتي بالاكتساب، والمجاهدة.

والرسل خير البشر، وصفوتهم، وخلاصتهم.

والإيمان بالرسل يتضمن مايلي:

١ - **الإيمان بأن رسالتهم حق**؛ فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالرسل جميعاً، فالذي يكذب بعيسى أو موسى أو محمد أو غيرهم من الرسل فهو مكذب بجميع الرسل.

وعلى هذا فالذين يؤمنون بعيسى، ويكذبون بمحمد ـ عليهما السلام ـ هم مكذبون بعيسى غير متبعين له؛ لأنه بَشَّرَ بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا معنى لبشارته لهم إلا أنه رسول إليهم ينقذهم الله به من الضلالة، ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

٢- الإيمان بما علمنا اسمه منهم باسمه كإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وما لم نعلمه نؤمن به إجمالاً؛ أي نؤمن بأن لله رسلاً قد بعثهم إلى أممهم، ولا يلزم أن نعرفهم بأسمائهم.

٣- تصديق ما صح من أخبارهم.

٤- العمل بشريعة خاتمهم الذي أُرسل إلى الناس جميعاً وهو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

من ثمرات الإيمان بالرسل:

١- العلم برحمة الله، وعنايته بعباده: حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله، ويسيرون على طريق مستقيمة في هذه الحياة؛ لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

٢- شكر الله على هذه النعمة.

٣- محبة الرسل، وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله، ولأنهم قاموا بعبادة الله، وتبليغ دعوته، والنصح لعباده، ولأنهم خير البشر، وصفوتهم، وأحسنهم أخلاقاً، وأعظمهم عبادة.



خامساً: الإيمان باليوم الآخر

اليوم الآخر: هو يوم القيامة الذي يُبعث الناس فيه للحساب والجزاء؛ وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده؛ حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

ومعنى الإيمان باليوم الآخر: التصديق الجازم بإتيانه، والعمل بموجب ذلك.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

١ - **الإيمان بالبعث**: وهو إحياء الموتى؛ حيث ينفخ في الصور، وهو قرن ينفخ فيه الملك الموكل بذلك، ويقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غُرْلاً أي غير مختونين.

وهذا البعث مقتضى الحكمة؛ حيث تقتضي أن يجعل الله لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله.

٢- **الإيمان بالجزاء والحساب**: فيحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه؛ فمن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون.

والجزاء والحساب مقتضى الحكمة؛ فإن الله أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاء به الرسل، والعمل بما يجب العمل به.

فلو لم يكن هناك حساب ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الله عنه.

ثم إن العباد منهم البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فهل يليق بحكمة الله أن يكون هؤلاء سواء؟

الجواب: لا، قال ـ تعالى ـ: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ [القلم: ٣٥, ٣٦].

٣- **الإيمان بالجنة والنار:** وأنهما المآل الأبدي للخلق؛ فالجنة هي دار النعيم التي أعدَّها الله للمؤمنين المتقين الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسله، مخلصين لله، متبعين لرسوله.

وفي الجنة من أنواع النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

والناس في الجنة تتفاوت درجاتهم بحسب أعمالهم الصالحة.

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدَّها الله للكافرين الظالمين الذين كفروا به، وعصوا رسله.

وفيها من أنواع النكال والعذاب ما لايخطر على البال.

والنار دركات، وأهلها يتفاوتون في العذاب بحسب أعمالهم السيئة.

ومما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر: الإيمان بأشراط الساعة، وما في القيامة من الأهوال.

ويلتحق فيه ـ أيضاً ـ الإيمان بكل ما يكون بعد الموت من:

أ ـ فتنة القبر: وهي سؤال الميت بعد دفنه؛ حيث تُعادُ له الروح؛ فيُسأل عن ربه، ودينه، ونبيه؛ فيُثَبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد.

ويضل الله الظالمين، فيقول الكافر: هاه، هاه، لا أدري.

ويقول المنافق أو المرتاب: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

ب ـ عذاب القبر ونعيمه: فأما عذاب القبر، فيكون للظالمين من المنافقين والكافرين حيث يأتيهم من حَرِّ جهنم وعذابها ما يسوؤهم، ويضيِّق عليهم قبورهم.

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين، حيث يفتح لهم باب من أبواب الجنة، وتوسَّع عليهم قبورهم، ويأتيهم من نعيم الجنة ما تقر به عيونهم.

ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

١- **الرغبة في فعل الطاعات**، والحرص عليها؛ رجاء لثواب ذلك اليوم.

٢- **الرهبة من فعل المعاصي**، والحذر من الرضا بها؛ خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

٣- **تسلية المؤمن عما يفوته في الدنيا** بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

٤- **الصبر على الأذى**، والمصائب، واحتسابُ الأجر.

إنكار البعث بعد الموت والرد على هذا الزعم

أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن.

وهذا الزعم باطل من وجوه عديدة منها:

أ ـ الشرع: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [التغابن: ٧].

ب ـ أن الله هو الذي بدأ الخلق، والذي بدأه لا يعجزه إعادته.

جـ ـ الحس: فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، ومن ذلك أن قوم موسى ـ عليه السلام ـ حين قالوا: ﴿**لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ**﴾ [البقرة: ٥٥]، أماتهم الله، ثم أحياهم.

وفي قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل زمن موسى ـ عليه السلام ـ فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة، ويضربوه ببعضها؛ ليخبرهم بمن قتله، ففعلوا ذلك فأحياه الله، وأخبر بمن قتله، ثم مات.

وكذلك قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتواً ثم أحياهم.

وكذلك ما أعطاه الله عيسى ـ عليه السلام ـ من القدرة على إحياء الموتى بإذن الله، والأدلة على ذلك كثيرة جداً.



إنكار عذاب القبر ونعيمه والرد على هذا الزعم

ينكر بعض الناس عذاب القبر ونعيمه؛ بحجة أنه لو كُشِفَ عن الميت في قبره لَوُجِدَ كما كان، والقبر لم يتغير بسعة، ولا ضيق.

وهذا الزعم باطل من وجوه عديدة منها:

أ ـ الشرع: فأدلة الكتاب والسنة بيَّنت وقوع عذاب القبر ونعيمه، ولا تجوز معارضة هذه الأدلة بالرد والتكذيب.

ب ـ الحس: ومن الأدلة الحسية التي تقرب المعنى، وتدل على عذاب القبر: أن النوم أخو الموت، والنائم يرى في منامه أنه بمكان فسيح يُنَعَّمُ به، أو يرى أنه في مكان موحش يتألم منه، وربما يستيقظ أحياناً مما رأى، وهو مع ذلك على فراشه وفي حجرته على ما هو عليه.

ثم إن أحوال البرزخ في القبر لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمن بالغيب والجاحد في التصديق به.

ثم إن نعيم القبر وعذابه إنما يدركه الميت دون غيره، كما يرى النائم أنه في مكان موحش أو في مكان فسيح، وهو بالنسبة لغيره لم تتغير حاله، فهو يراه في منامه وبين فراشه وغطائه.

ثم إن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله من إدراكه، ولا يمكن أن يدركوا كل شيء؛ فكما أن أبصارهم وأسماعهم لها حد تقف عنده

فكذلك عقولهم ومداركهم لها حد تقف عنده.

ومما ينبغي أن يُعْلَم في هذه المسألة أن عذاب القبر ونعيمه لا يختص بمن مات ووضع في القبر، بل يشمل كل من مات، سواء وضع في قبره، أو كان في ثلاجة الموتى، أو كان في بطن سبع، أو كان في صحراء لم يدفن فيها، وإنما قيل عذاب القبر؛ لأن العادة جرت بدفن الموتى.



سادساً: الإيمان بالقدر

القدر: هو تقدير الله للكائنات حسب ما سبق به علمه، واقتضته حكمته.

وهو علم الله بالأشياء، وكتابته ومشيئته وخلقه لها.

ومعنى الإيمان بالقدر: أن يؤمن الإنسان بأن الله يعلم ما يكون وما كان، وما سيكون، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأه لا يكون، وأن الله كتب مقادير الخلائق؛ فلا يقع شيء إلا بعلم الله، وكتابته، ومشيئته وخلقه.

ويؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ويؤمن ـ مع ذلك ـ بأن الله قد أمر بطاعته، ونهى عن معصيته، فيفعل الطاعة؛ رجاء ثواب الله، ويترك المعصية؛ خوفاً من عقابه؛ فإذا أحسن حمد الله، وإذا أساء استغفر الله.

ومن تمام الإيمان بالقدر: أن يأخذ الإنسان بالأسباب، ويسعى في مصالحه الدنيوية، ويسلك الطرق الصحيحة الموصلة إليها، فيضرب في الأرض، ويسعى لطلب الرزق؛ فإن أتت الأمور على ما يريد حمد الله، وإن أتت على خلاف ما يريد تعزى بقدر الله.

والإيمان بالقدر على هذا النحو، يثمر سكون القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال، وترك التحسر على ما فات، ويورث الإنسان الشجاعة، والإقدام، وطرد اليأس، وقوة الاحتمال.

ولهذا يجد المؤمنون بالقضاء والقدر راحة، وطمأنينة لا يجدها غيرهم ممن لا يؤمنون بقضاء الله وقدره.

ولهذا يشيع الانتحار في البلاد الكافرة التي لا يؤمن أهلها بالله وقدره؛ فتراهم لا يحتملون أدنى مصيبة تنزل بهم.

أما المؤمنون بالقدر فلا تكاد توجد عندهم أدنى نسبة للانتحار؛ بسبب أنهم يؤمنون بأن ما أصابهم إنما هو بقضاء الله وقدره، ويؤمنون بأن الله لا يُقَدِّر لعبده المؤمن إلا الخير، حتى وإن كان القضاء مراً؛ فإن عاقبته حميدة للمؤمن إن رضي بقدر الله.



العبادة في الإسلام

تعريفها: العبادة في الإسلام هي: التقرب إلى الله ـ عز وجل ـ بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

وهي شاملة لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وروح العبادة، ولبها، وحقيقتها تحقيق الحب والخضوع لله ـ تعالى ـ.

شروط العبادة: لا تقبل العبادة إلا إذا اجتمع فيها شرطان:

١- الإخلاص لله.

٢- المتابعة لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ومعنى ذلك: أنه لابد من أن تكون العبادة خالصة لله، وأن تكون موافقة لما جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يعبد إلا الله، ولا يعبد إلا بما شرع.

فالصلاة على سبيل المثال عبادة لا تصرف إلا لله، أي لا تُصلَّى إلا لله، وبهذا يتحقق الإخلاص.

ولا يصلى إلا كما جاء عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من كيفية الصلاة، وبهذا تتحقق الموافقة والمتابعة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ولسائل أن يسأل: ما الحكمة من اشتراط هذين الشرطين لصحة العبادة؟.

والجواب عن ذلك من عدة وجوه:

١- **أن الله أمر بإخلاص العبادة له وحده**؛ فعبادة غيره معه شرك به، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

٢- **أن الله ـ تعالى ـ اختص نفسه بالتشريع**؛ فهو حقه وحده، ومن تعبد بغير ما شرع الله فقد شارك الله في تشريعه.

٣- **أن الله أكمل لنا الدين**، فالذي يخترع عبادة من عنده يكون مستدركاً على الدين، متهماً له بالنقص.

٤- **أنه لو جاز للناس أن يتعبدوا بما شاءوا كيفما شاءوا ـ لأصبح لكل إنسان طريقته الخاصة بالعبادة**، ولأصبحت حياة الناس جحيماً لا يُطاق؛ إذ يسود التناحر والتنافر؛ لاختلاف الأذواق، والدين إنما يأمر بالاتفاق والائتلاف.

أنواع العبادة: أنواع العبادة كثيرة كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإماطة الأذى عن الطريق، والإحسان إلى الأيتام والمساكين وابن السبيل والحيوان، وغير ذلك.

ومن أنواع العبادة: الذكر، والدعاء، والاستعاذة بالله، والاستعانة به، والتوكل عليه، والتوبة، والاستغفار.

ومنها: الصبر، والشكر، والرضا، والخوف، والمحبة، والرجاء، والحياء.

فضائل العبادة: العبادة في الإسلام هي الغاية المحبوبة لله، والمرضية له، التي خلق لأجلها الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وهي التي مدح القائمين بها، وذم المستكبرين عنها.

والعبادة في الإسلام لم تشرع للتضييق على الناس، ولا لإيقاعهم في الحرج، وإنما شرعت لحِكَمٍ عظيمة، ومصالح كثيرة، لا يحاط بعدّها وحصرها.

فمن فضائل العبادة: أنها تزكي النفوس، وتطهرها، وتسمو بها إلى أعلى درجات الكمال الإنساني.

ومن فضائلها: أن الإنسان محتاج إليها أعظم الحاجة، بل هو مضطر لها أشد الضرورة؛ فالإنسان بطبعه ضعيف، فقير إلى الله، وكما أن جسده بحاجة إلى الطعام والشراب ـ فكذلك قلبه وروحه بحاجة إلى العبادة والتوجه إلى الله، بل إن حاجة قلبه وروحه إلى العبادة أعظم بكثير من حاجة جسده إلى الطعام والشراب؛ فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، ولا صلاح لهما إلا بالتوجه إلى الله بالعبادة؛ فلا تطمئن النفوس في الدنيا إلا بذكر الله وعبادته، ولو حصل للعبد لذَّات أو سرور بغير الله فلا يدوم، وقد يكون ذلك الذي يتلذذ به لا لذة فيه ولا سرور أصلاً.

أما السرور بالله والأُنس به ـ عز وجل ـ فهو سرور لا ينقطع ولا يزول؛ فهو الكمال، والجمال، والسرور الحقيقي؛ فمن أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية لله وحده؛ ولهذا فإن أهل العبادة الحقة هم أسعد الناس، وأشرحهم صدراً.

ولا يوجد ما يسكن إليه العبد ويطمئن به، ويتنعم بالتوجه إليه حقاً إلا الله.

ومن فضائل العبادة: أنها تسهل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات، وتسليه عند المصائب، وتخفف عليه المكاره، وتهون الآلام، فيتلقاها بصدر منشرح، ونفسٍ مطمئنة.

ومن فضائلها: أن العبد يتحرر بعبوديته لربه من رق المخلوقين، والتعلق بهم، وخوفهم، ورجائهم؛ وبهذا يكون عزيز الجانب، مرفوع الرأس، عالي القدر.

وأعظم فضائلها: أنها هي السبب الأعظم لنيل رضا الله، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.



مكانة المرأة في الإسلام

لقد رفع الإسلام مكانة المرأة، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه؛ فالنساء في الإسلام شقائق الرجال، وخير الناس خيرهم لأهله؛ فالمسلمة في طفولتها لها حق الرضاع، والرعاية، وإحسان التربية، وهي في ذلك الوقت قرة العين، وثمرة الفؤاد لوالديها وإخوانها.

وإذا كبرت فهي المعززة المكرمة، التي يغار عليها وليها، ويحوطها برعايته، فلا يرضى أن تمتد إليها أيد بسوء، ولا ألسنة بأذى، ولا أعين بخيانة.

وإذا تزوجت كان ذلك بكلمة الله، وميثاقه الغليظ؛ فتكون في بيت الزوج بأعز جوار، وأمنع ذمار، وواجب على زوجها إكرامها، والإحسان إليها، وكف الأذى عنها.

وإذا كانت أماً كان برُّها مقروناً بحق الله ـ تعالى ـ وعقوقها والإساءة إليها مقروناً بالشرك بالله، والفساد في الأرض.

وإذا كانت أختاً فهي التي أُمر المسلم بصلتها، وإكرامها، والغيرة عليها.

وإذا كانت خالة كانت بمنزلة الأم في البر والصلة.

وإذا كانت جدة، أو كبيرة في السن زادت قيمتها لدى أولادها، وأحفادها، وجميع أقاربها؛ فلا يكادر يرد لها طلب، ولا يُسَفَّه لها رأي.

وإذا كانت بعيدة عن الإنسان لا يدنيها قرابة أو جوار كان له حق

الإسلام العام من كف الأذى، وغض البصر ونحو ذلك.

وما زالت مجتمعات المسلمين ترعى هذه الحقوق حق الرعاية، مما جعل للمرأة قيمة واعتباراً لا يوجد لها عند المجتمعات غير المسلمة.

ثم إن للمرأة في الإسلام حق التملك، والإجارة، والبيع، والشرء، وسائر العقود، ولها حق التعلم، والتعليم، بما لا يخالف دينها، بل إن من العلم ما هو فرض عين يأثم تاركه ذكراً أم أنثى.

بل إن لها ما للرجال إلا بما تختص به من دون الرجال، أو بما يختصون به دونها من الحقوق والأحكام التي تلائم كُلاً منهما على نحو ما هو مفصل في مواضعه.

ومن إكرام الإسلام للمرأة أن أمرها بما يصونها، ويحفظ كرامتها، ويحميها من الألسنة البذيئة، والأعين الغادرة، والأيدي الباطشة؛ فأمرها بالحجاب والستر، والبعد عن التبرج، وعن الاختلاط بالرجال الأجانب، وعن كل ما يؤدي إلى فتنتها.

ومن إكرام الإسلام لها: أن أمر الزوج بالإنفاق عليها، وإحسان معاشرتها، والحذر من ظلمها، والإساءة إليها.

بل ومن المحاسن ـ أيضاً ـ أن أباح للزوجين أن يفترقا إذا لم يكن بينهما وفاق، ولم يستطيعا أن يعيشا عيشة سعيدة؛ فأباح للزوج طلاقها بعد أن تخفق جميع محاولات الإصلاح، وحين تصبح حياتهما جحيماً لا يطاق.

وأباح للزوجة أن تفارق الزوج إذا كان ظالماً لها، سيئاً في معاشرتها،

فلها أن تفارقه على عوض تتفق مع الزوج فيه، فتدفع له شيئاً من المال، أو تصطلح معه على شيء معين ثم تفارقه.

ومن إكرام الإسلام للمرأة: أن أباح للرجل أن يعدد، فيتزوج بأكثر من واحدة، فأباح له أن يتزوج اثنتين، أو ثلاثاً، أو أربعاً، ولا يزيد عن أربع بشرط أن يعدل بينهن في النفقة، والكسوة، والمبيت، وإن اقتصر الزوج على واحدة فله ذلك.

هذا وإن في التعدد حكماً عظيمة، ومصالح كثيرة لا يدركها الذين يطعنون في الإسلام، ويجهلون الحكمة من تشريعاته، ومما يبرهن على الحكمة من مشروعية التعدد مايلي:

١ - **أن الإسلام حرم الزنا، وشدَّد في تحريمه**؛ لما فيه من المفاسد العظيمة التي تفوق الحصر والعد، والتي منها: اختلاط الأنساب، وقتل الحياء، والذهاب بالشرف وكرامة الفتاة؛ إذ الزنا يكسوها عاراً لا يقف حده عندها، بل يتعداه إلى أهلها وأقاربها.

ومن أضرار الزنا: أن فيه جناية على الجنين الذي يأتي من الزنا؛ حيث يعيش مقطوع النسب، محتقراً ذليلاً.

ومن أضراره: ما ينتج عنه من أمراض نفسية وجسدية يصعب علاجها، بل ربما أودت بحياة الزاني كالسيلان، والزهري، والهربس، والإيدز، وغيرها.

والإسلام حين حرَّم الزنا وشدَّد في تحريمه فتح باباً مشروعاً يجد فيه الإنسان الراحة، والسكن، والطمأنينة ألا وهو الزواج، حيث

شرع الزواج، وأباح التعدد فيه كما مضى.

ولا ريب أن منع التعدد ظلم للرجل وللمرأة؛ فمنعه قد يدفع إلى الزنا؛ لأن عدد النساء يفوق عدد الرجال في كل زمان ومكان، ويتجلى ذلك في أيام الحروب؛ فَقَصْر الزواج على واحدة يؤدي إلى بقاء عدد كبير من النساء دون زواج، وذلك يسبب لهن الحرج، والضيق، والتشتت، وربما أدى بهن إلى بيع العرض، وانتشار الزنا، وضياع النسل.

٢- **أن الزواج ليس متعة جسدية فحسب:** بل فيه الراحة، والسكن، وفيه ـ أيضاً ـ نعمة الولد، والولد في الإسلام ليس كغيره في النظم الأرضية؛ إذ لوالديه أعظم الحق عليه؛ فإذا رزقت المرأة أولاداً، وقامت على تربيتهم كانوا قرة عين لها؛ فأيهما أحسن للمرأة: أن تنعم في ظل رجل يحميها، ويحوطها، ويرعاها، وترزق بسببه الأولاد الذين إذا أحسنت تربيتهم وصلحوا كانوا قرة عين لها؟ أو أن تعيش وحيدة طريدة ترتمي هنا وهناك؟!.

٣- **أن نظرة الإسلام عادلة متوازنة:** فالإسلام ينظر إلى النساء جميعهن بعدل، والنظرة العادلة تقول بأنه لابد من النظر إلى جميع النساء بعين العدل.

إذا كان الأمر كذلك؛ فما ذنب العوانس اللاتي لا أزواج لهن؟ ولماذا لا ينظر بعين العطف والشفقة إلى من مات زوجها وهي في

مقتبل عمرها؟ ولماذا لا ينظر إلى النساء الكثيرات اللواتي قعدن بدون زواج؟.

أيهما أفضل للمرأة: أن تنعم في ظل زوج معه زوجة أخرى، فتطمئن نفسها، ويهدأ بالها، وتجد من يرعاها، وترزق بسببه الأولاد، أو أن تقعد بلا زواج البتة؟.

وأيهما أفضل للمجتمعات: أن يعدد بعض الرجال فيسلم المجتمع من تبعات العنوسة أو ألا يعدد أحد، فتصطلي المجتمعات بنيران الفساد؟.

وأيهما أفضل: أن يكون للرجل زوجتان أو ثلاث أو أربع أو أن يكون له زوجة واحدة وعشر عشيقات، أو أكثر أو أقل؟.

٤- **أن التعدد ليس واجباً:** فكثير من الأزواج المسلمين لا يعددون؛ فطالما أن المرأة تكفيه، أو أنه غير قادر على العدل فلا حاجة له في التعدد.

٥- **أن طبيعة المرأة تختلف عن طبيعة الرجل:** وذلك من حيث استعدادها للمعاشرة؛ فهي غير مستعدة للمعاشرة في كل وقت، ففي الدورة الشهرية مانع قد يصل إلى عشرة أيام، أو أسبوعين كل شهر.

وفي النفاس مانع ـ أيضاً ـ والغالب فيه أنه أربعون يوماً، والمعاشرة في هاتين الفترتين محظورة شرعاً، لما فيها من الأضرار التي لا تخفى.

وفي حال الحمل قد يضعف استعداد المرأة في معاشرة الزوج، وهكذا.

أما الرجل فاستعداده واحد طيلة الشهر، والعام؛ فبعض الرجال إذا منع من التعدد قد يؤول به الأمر إلى الزنا.

٦- **قد تكون الزوجة عقيماً لا تلد:** فيُحْرَمُ الزوج من نعمة الولد، فبدلاً من تطليقها يبقي عليها، ويتزوج بأخرى ولود.

وقد يقال: وإذا كان الزوج عقيماً والزوجة ولوداً؛ فهل للمرأة الحق في الفراق؟.

والجواب: نعم فلها ذلك إن أرادت.

٧- **قد تمرض الزوجة مرضاً مزمناً:** كالشلل وغيره، فلا تستطيع القيام على خدمة الزوج؛ فبدلاً من تطليقها يبقي عليها، ويتزوج بأخرى.

٨- **قد يكون سلوك الزوجة سيئاً:** فقد تكون شرسة، سيئة الخلق لا ترعى حق زوجها؛ فبدلاً من تطليقها يبقي الزوج عليها، ويتزوج بأخرى؛ وفاء للزوجة، وحفظاً لحق أهلها، وحرصاً على مصلحة الأولاد من الضياع إن كان له أولاد منها.

٩- **أن قدرة الرجل على الإنجاب أوسع بكثير من قدرة المرأة:** فالرجل يستطيع الإنجاب إلى ما بعد الستين، بل ربما تعدى المائة وهو في نشاطه وقدرته على الإنجاب.

أما المرأة فالغالب أنها تقف عن الإنجاب في حدود الأربعين، أو تزيد عليها قليلاً؛ فمنع التعدد حرمان للأمة من النسل.

١٠- **أن في الزواج من ثانية راحة للأولى:** فالزوجة الأولى ترتاح قليلاً أو كثيراً من أعباء الزوجية؛ إذ يوجد من يعينها ويأخذ عنها نصيباً من أعباء الزوج.

ولهذا، فإن بعض العاقلات إذا كبرت في السن وعجزت عن القيام بحق الزوج أشارت عليه بالتعدد.

١١- **التماس الأجر:** فقد يتزوج الإنسان بامرأة مسكينة لا عائل لها، ولا راع، فيتزوجها بنيَّة إعفافها، ورعايتها، فينال الأجر من الله بذلك.

١٢- **أن الذي أباح التعدد هو الله ـ عز وجل ـ:** فهو أعلم بمصالح عباده، وأرحم بهم من أنفسهم.

وهكذا يتبين لنا حكمة الإسلام، وشمول نظرته في إباحة التعدد، ويتبين لنا جهل من يطعنون في تشريعاته.

ومن إكرام الإسلام للمرأة أن جعل لها نصيباً من الميراث؛ فللأم نصيب معين، وللزوجة نصيب معين، وللبنت وللأخت ونحوها نصيب على نحو ما هو مُفَصَّل في موضعه.

ومن تمام العدل أن جعل الإسلام للمرأة من الميراث نصف ما للرجل، وقد يظن بعض الجهلة أن هذا من الظلم؛ فيقولون: كيف يكون للرجل مثل حظ الأنثيين من الميراث؟ ولماذا يكون نصيب المرأة نصف نصيب الرجل؟.

والجواب أن يقال: إن الذي شرع هذا هو الله الحكيم العلم بمصالح عباده.

ثم أي ظلم في هذا؟ إن نظام الإسلام متكامل مترابط؛ فليس من العدل أن يؤخذ نظام، أو تشريع، ثم ينظر إليه من زاوية واحدة دون ربطه بغيره، بل ينظر إليه من جميع جوانبه؛ فتتضح الصورة، ويستقيم الحكم.

ومما يتبين به عدل الإسلام في هذه المسألة: أن الإسلام جعل نفقة الزوجة واجبة على الزوج، وجعل مهر الزوجة واجب على الزوج ـ أيضاً ـ.

ولنفرض أن رجلاً مات، وخلَّف ابناً، وبنتاً، وكان للابن ضعف نصيب أخته، ثم أخذ كل منهما نصيبه، ثم تزوج كل منهما؛ فالابن إذا تزوج فإنه مطالب بالمهر، والسكن، والنفقة على زوجته وأولاده طيلة حياته.

أما أخته فسوف تأخذ المهر من زوجها، وليست مطالبة بشيء من نصيبها لتصرفه على زوجها، أو نفقة بيتها أو على أولادها؛ فيجتمع لها ما ورثته من أبيها، مع مهرها من زوجها، مع أنها لا تُطَالب بالنفقة على نفسها وأولادها.

أليس إعطاء الرجل ضعف ما للمرأة هو العدل بعينه إذاً؟

هذه هي منزلة المرأة في الإسلام؛ فأين النظم الأرضية من نظم الإسلام العادلة السماوية، فالنظم الأرضية لا ترعى للمرأة كرامتها،

حيث يتبرأ الأب من ابنته حين تبلغ سن الثامنة عشرة أو أقل؛ لتخرج هائمة على وجهها تبحث عن مأوى يسترها، ولقمة تسد جوعتها، وربما كان ذلك على حساب الشرف، ونبيل الأخلاق.

وأين إكرام الإسلام للمرأة، وجعلها إنساناً مكرماً من الأنظمة التي تعدها مصدر الخطيئة، وتسلبها حقها في الملكية والمسؤولية، وتجعلها تعيش في إذلال واحتقار، وتعدها مخلوقاً نجساً؟.

وأين إكرام الإسلام للمرأة ممن يجعلون المرأة سلعة يتاجرون بجسدها في الدعايات والإعلانات.

وأين إكرام الإسلام لها من الأنظمة التي تعد الزواج صفقة مبايعة تنتقل فيه الزوجة؛ لتكون إحدى ممتلكات الزوج؟ حتى إن بعض مجامعهم انعقدت؛ لتنظر في حقيقة المرأة وروحها أهل هي من البشر أو لا؟!.

وهكذا نرى أن المرأة المسلمة تسعد في دنياها مع أسرتها وفي كنف والديها، ورعاية زوجها، وبر أبنائها سواء في حال طفولتها، أو شبابها، أو هرمها، وفي حال فقرها أو غناها، أو صحتها أو مرضها.

وإن كان هناك من تقصير في حق المرأة في بعض بلاد المسلمين أو من بعض المنتسبين إلى الإسلام ـ فإنما هو بسبب القصور والجهل، والبُعد عن تطبيق شرائع الدين، والوزر في ذلك على من أخطأ ـ والدين براء من تبعة تلك النقائص.

وعلاج ذلك الخطأ إنما يكون بالرجوع إلى هداية الإسلام وتعاليمه؛ لعلاج الخطأ.

هذه هي منزلة المرأة في الإسلام على سبيل الإجمال: عفة، وصيانة، ومودة، ورحمة، ورعاية، وتذمم إلى غير ذلك من المعاني الجميلة السامية.

أما الحضارة المعاصرة فلا تكاد تعرف شيئاً من تلك المعاني، وإنما تنظر للمرأة نظرة مادية بحتة، فترى أن حجابها وعفتها تخلف ورجعية، وأنها لابد أن تكون دمية يعبث بها كل ساقط؛ فذلك سر السعادة عندهم.

وما علموا أن تبرج المرأة وتهتكها هو سبب شقائها وعذابها.

وإلا فما علاقة التطور والتعليم بالتبرج وإظهار المفاتن، وإبداء الزينة، وكشف الصدور، والأفخاذ، وما هو أشد؟!.

وهل من وسائل التعليم والثقافة ارتداء الملابس الضيقة والشفافة والقصيرة؟!.

ثم أي كرامة حين توضع صور الحسناوات في الإعلانات والدعايات؟!

ولماذا لا تروج عندهم إلا الحسناء الجميلة، فإذا استنفذت السنوات جمالها وزينتها أهملت ورميت كأي آلة انتهت مدة صلاحيتها؟!.

وما نصيب قليلة الجمال من هذه الحضارة؟ وما نصيب الأم المسنة، والجدة، والعجوز؟.

إن نصيبها في أحسن الأحوال يكون في الملاجىء، ودور العجزة والمسنين؛ حيث لا تُزار ولا يُسأل عنها.

وقد يكون لها نصيب من راتب تقاعد، أو نحوه، فتأكل منه حتى تموت؛ فلا رحم هناك، ولا صلة، ولا ولي حميم.

أما المرأة في الإسلام فكلما تقدم السن بها زاد احترامها، وعظم حقها، وتنافس أولادها وأقاربها على برها ـ كما سبق ـ لأنها أدَّت ما عليها، وبقي الذي لها عند أبنائها، وأحفادها، وأهلها، ومجتمعها.

أما الزعم بأن العفاف والستر تخلف ورجعية ـ فزعم باطل، بل إن التبرج والسفور هو الشقاء والعذاب، والتخلف بعينه، وإذا أردت الدليل على أن التبرج هو التخلف فانظر إلى انحطاط خصائص الجنس البشري في الهمج العراة الذين يعيشون في المتاهات والأدغال على حال تقرب من البهيمية؛ فإنهم لا يأخذون طريقهم في مدارج الحضارة إلا بعد أن يكتسوا.

ويستطيع المراقب لحالهم في تطورهم أن يلاحظ أنهم كلما تقدموا في الحضارة زادت نسبة المساحة الكاسية من أجسادهم، كما يلاحظ أن الحضارة الغربية في انتكاسها تعود في هذا الطريق القهقرى درجة درجة حتى تنتهي إلى العري الكامل في مدن العراة التي أخذت في الانتشار بعد الحرب العالمية الأولى، ثم استفحل داؤها في السنوات الأخيرة.

وهكذا تبين لنا عظم منزلة المرأة في الإسلام، ومدى ضياعها وتشردها إذا هي ابتعدت عن الإسلام.

تساؤل

وبعد أن تبيَّن لك أيها القارىء الكريم من خلال الصفحات الماضية عظمةُ دين الإسلام، وشموله، وعدله، ومدى حاجة البشرية إليه ـ قد يخطر ببالك تساؤل فتقول:

إذا كان الإسلام بهذه العظمة والشموع والعدل ـ فلماذا لا نرى أهله في مقدمة الأمم في هذا العصر؟ ولماذا نرى كثيراً منهم بعيداً عن الاتصاف بما يأمر به الدين؟ وما مدى صحة ما يقال بأن الإسلام دين تطرف، وإرهاب؟.

والجواب عن ذلك يسير بحمد الله، وذلك من عدة وجوه:

١ - أن حال المسلمين في عصورهم المتأخرة لاتمثل حقيقة الإسلام: فمن الظلم وقصور النظر أن تُجْعَلَ حالُ المسلمين في هذه العصور المتأخرة ـ هي الصورة التي تمثل الإسلام، فيُظنَّ أن الإسلام لم يَرْفَعْ عنهم الذلة، ولا التفرق، ولا الفقر؛ فعلى من يريد الحقيقة بعدل وإنصاف أن ينظر إلى دين الإسلام من خلال مصادره الصحيحة من كتاب الله، وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما كان عليه سلف الأمة الصالح، وأن ينظر إلى الإسلام من خلال الكتب التي تتحدث عنه بعدل وعلم، فسيتبين له أن الإسلام يدعو إلى كل صلاح ديني ودنيوي، وأنه يحث على الاستعداد لتعلم العلوم النافعة، وأنه يدعو إلى تقوية العزائم، وجمع الكلمة.

ثم إن انحرافات بعض المنتسبين إلى الإسلام ـ قَلَّتْ أو كثرت ـ لا يجوز بحال من الأحوال أن تحسب على الدين، أو أن يعاب بها، بل هو براء منها، وتبعة الانحراف تعود على المنحرفين أنفسهم؛ لأن الإسلام لم يأمرهم بذلك؛ بل نهاهم وزجرهم عن الانحراف عما جاء به.

ثم إن العدل يقتضي بأن يُنظر في حال القائمين بالدين حق القيام، والمنفذين لأوامره وأحكامه في أنفسهم وفي غيرهم؛ فإن ذلك يملأ القلوب إجلالاً ووقاراً لهذا الدين وأهله؛ فالإسلام لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من الإرشاد والتهذيب إلا حثَّ عليها، ولا رذيلة أو مفسدة إلا صدَّ عن سبيلها، وبذلك كان المعظمون لشأنه، المقيمون لشعائره في أعلى طبقة من أدب النفس، وتربيتها على محاسن الشيم، ومكارم الأخلاق، يشهد لهم بذلك القريب والبعيد، والموافق والمخالف.

أما مجرد النظر إلى حال المسلمين المفرِّطين في دينهم، الناكبين عن صراطه المستقيم ـ فليس من العدل في شيء، بل هو الظلم بعينه.

٢- **أن تأخر المسلمين سببه البعد عن الدين:** فلم يتأخر المسلمون عن ركب الحضارة، ولم يتفرقوا ويُستْذلوا إلا عندما فرطوا في دينهم، ونسوا حظاً مما ذُكِّروا به.

فالإسلام دين الرقي، والتقدم، والزكاء، وعندما كان المسلمون متمسكين بدينهم حق التمسك دانت لهم أمم الأرض قروناً متطاولة، فنشروا فيها لواء الحكمة، والعدل، والعلم.

وهل ترقت أمم الأرض، وبزَّت غيرها في الصناعات والاختراعات

المذهلة إلا بعد أن استنارت عقول أهليها بعلوم المسلمين بعد الحروب الصليبية؟.

ألم تكن تلك الأمم في القرون التي يسمونها القرون المظلمة في غاية الجهل، والهمجية؟.

ألم يكن المسلمون هم سادة الخلق آنذاك؟.

ألم تكن مدنية الإسلام هي المدنية الزاهرة الحقيقية؛ حيث كان روحها الدين والعدل، والرحمة، حتى لقد شملت بظلها الظليل، وإحسانها المتدفق جميع الناس حتى المخالفين والأعداء؟.

فهل أخَّر المسلمين دينُهم الحقُّ؟ وهل منعهم من الرُّقي الحقيقي؟ وهل نفع الآخرين كُفْرُهم بالله في تلك القرون الطويلة؛ إذ كانوا هم الأذلين المخذولين؟.

ثم لما قصَّر المسلمون في التمسك بدينهم، وقصَّروا في الأخذ بالأسباب الموصلة إلى خيري الدنيا والآخرة ـ حلَّ بهم التفكك والدمار.

ثم إن التقدم المادي لا يكفي وحده، بل لابد معه من الدين الحق الذي يزكي النفوس، ويرتقي بالأخلاق؛ فها هي أمم الكفر لما ارتقت في علوم المادة وأغفلت جانب الروح ـ ها هي تتخبط في تيهها وضلالها؛ فهل أغنت عنها تلك المدنية المادية فتيلاً؟

ألم تكن حضارتها قائمة على الظلم، والجشع، والاستبداد، والاستعباد، والتسلط على الأمم الضعيفة؟

ألم ينتشر فيهم الخيانة، والسرقة، والانتحار، والقتل، والأمراض النفسية، والجنسية وغيرها؟.

فهذا أكبر برهان على أن الرقي المادي ينقلب ضرراً على أهله إذا خلا من الدين الحق الذي تستنير به العقول، وتزكو به النفوس.

٣- أن القول بأن الإسلام دين تطرف وإرهاب مردود على من قاله: فهو محض افتراء، ومحاولة للصد عنه؛ فالإسلام دين الرحمة، والرفق، والتسامح، وما السيف الذي يأمر الإسلام بانتضائه للجهاد في سبيل الله إلا كمبضع طبيب ناصح يشرط به جسم العليل؛ لينزف دمه الفاسد؛ حرصاً على سلامته؛ فليس الغرض من الجهاد في الإسلام سفك الدماء، وإزهاق الأرواح، وإنما الغرض منه إعلاء كلمة الله، وتخليص البشرية من عبادة البشر، ودلالتهم على عبادة رب البشر، كي يعيشوا حياة كريمة.

وأمة الإسلام خير أمة أُخْرِجَت للناس، وخير أمة جاهدت في سبيل الله فانتصرت، وغلبت فرحمت، وحكمت فعدلت، وساست فأطلقت الحرية من عقالها، وفجَّرت ينابيع الحكمة بعد نضوبها.

واسأل التاريخ؛ فإنها قد استودعته من مآثرها الغُرِّ ما بَصُرَ بضوئه الأعمى، وازدهر في الأرض ازدهار الكواكب في كبد السماء.

فماذا فعل المسلمون حين انتصروا على خصومهم؟ هل تكبَّروا، وتسلطوا، واستبدوا؟ وهل انتهكوا الأعراض، وقتلوا الشيوخ، والنساء، والأطفال؟.

ماذا فعل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما انتصر على خصومه الذين كانوا يؤذونه أشد الأذى؟ ألم يكن يصفح عنهم؟ ويمنَّ عليهم بالسبي والأموال؟.

وماذا فعل المسلمون عندما انتصروا على كسرى وقيصر؟ هل خانوا وغدروا؟ هل تعرَّضوا للنساء؟ وهل أساءوا للرهبان في الأديرة؟ وهل عاثوا في الأرض فساداً؟ وهل هدموا المنازل، وقطعوا الأشجار؟.

وماذا فعل صلاح الديـن لما انتصر على الصليبيين الذين فعلوا بالمسلمين الأفاعيل، ونكَّلوا بهم أيَّما تنكيل؟ فماذا فعل بهم صلاح الدين لما انتصر عليهم؟ ألم يصفح عن قائدهم؟ ويعالجـه؟ ويطلق سراحه؟.

فهذه المواقف النبيلة وأمثالها كثير في تاريخ المسلمين، مما كان له أبلغ الأثر في محبة الناس للإسلام، والدخول فيه عن قناعة ويقين.

أفغير المسلمين يقوم بهذا؟ آلغرب يقدم مثل هذه النماذج؟.

الجواب ما تراه، وتسمعه؛ فمن أين خرج هتلر، وموسوليني، ولينين، وستالين، ومجرمو الصرب؟ أليست أوربا هي التي أخرجت هؤلاء وأمثالهم من الشياطين الذين قتلوا الملايين من البشر، ولاقت منهم البشرية الويلات إثر الويلات؟.

ألا يعد أولئك هم طلائع حضارة أوربا؟ فَمَنِ الهمج القساة العتاة إذاً؟.

ومن المتطرفون الإرهابيون حقيقة؟.

ثم من الذين صنعوا القنابل النووية، والعنقودية، والذرية، والجرثومية، وأسلحة الدمار الشامل؟.

ومن الذين لوّثوا الهواء بالعوادم، والأنهار بالمبيدات؟.

ومن الذين يسلكون الطرق القذرة التي لا تمت إلى العدل، ولا إلى شرف الخصومة بشيء؟.

من الذين يُعَقِّمون النساء؟ ويسرقون أموال الشعوب وحرياتهم، ومن الذين ينشرون الإيدز؟.

أليس الغرب، ومن يسير في ركابهم؟.

ومن الذي يدعم اليهود وهم في قمة التسلط والإرهاب؟.

هذه هي الحقيقة الواضحة، وهذا هو الإرهاب والتسلط.

أما جهاد المسلمين لإحقاق الحق، وقمع الباطل، ودفاعهم عن دينهم، وأنفسهم وبلادهم فليس إرهاباً، وإنما هو العدل بعينه.

وما يحصل من بعض المسلمين من الخطأ في سلوك سبيل الحكمة فقليل لا يكاد يذكر بجانب وحشية الغرب، وتبعته تعود على من أخطأ السبيل ولا تعود على الدين، ولا على المسلمين.

وقد يكون لهذا مسوغاته في بعض الأحيان؛ فظلم الكفار عليهم قد يوجد مثل هذه التصرفات.

وهكذا ينبغي للعاقل المنصف؛ أن ينظر إلى الأمور كما هي بعيداً عن الظلم والتزوير والنظرة القاصرة.

وبعد هذا فإن كان للإنسان عجب من شيء فإن عجبه من الأوربيين، والأمريكان؛ حيث لم يكتشفوا حقيقة الدين الإسلامي فيما اكتشفوه، وهو أجلُّ من كل ما اكتشفوه، وأضمن للسعادة الحقيقية من كل ما وصلوا إليه؛ فهل هم جاهلون بحقيقة الإسلام حقاً؟ أو أنهم يتعامون ويصدون عنه؟!.



خاتمة ودعوة

وبعد أن تبيَّن لك عظمة دين الإسلام، وأنه الطريق الوحيد للنجاة عند الله ـ عز وجل ـ وأن الدخول فيه واجب على كل أحد ـ هذه دعوة لك بدخول دين الإسلام، ولك أن تسأل عن كيفية الدخول فيه، والجواب عن ذلك أن الإنسان يدخل في الإسلام بفطرته، وأصل خلقته؛ فكل مولود على وجه الأرض يولد على الفطرة، وهي دين الإسلام؛ فالمولود يولد مقراً بخالقه، محباً له، متوجهاً إليه.

فإذا بقي على هذه الفطرة فهو مسلم على الأصل، ولا يحتاج إلى تجديد الدخول في الإسلام إذا بلغ وعقل.

أما إذا نشأ بين أبوين غير مسلمين، واعتنق دينهما الباطل، أو كان معتنقاً أي دين غير الإسلام كان واجباً عليه أن يتخلى عن دينه السابق، ويدخل في دين الإسلام؛ فيشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ثم يبدأ بتعلم ما يقيم به شعائر دينه من إقامة الصلاة ونحو ذلك مما مضى ذكره سابقاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



الرسالة التاسعة

كلمات في المحبة والخوف والرجاء



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمات في المحبة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد: فإن المحبة ركن العبادة الأعظم، فالعبادة تقوم على أركان ثلاثة، هي المحبة، والخوف، والرجاء.

وإليك هذه الكلمات المختصرة في هذا الركن الأعظم، وهو المحبة.

تعريف المحبة وحدُّها:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «لا تُحَدُّ المحبةُ بحدٍّ أوضحَ منها؛ فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً، وجفاءً، فحدُّها وُجُودُها، ولا توصف المحبة بوصفٍ أظهرَ من المحبة.

وإنما يتكلم الناس في أسبابها، وموجباتها، وعلاماتها، وشواهدها، وثمراتها، وأحكامها؛ فحدودهم، ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات بحسب إدراك الشخص، ومقامه، وحاله، ومِلْكِهِ للعبارة»(١).

ومما قيل في حد المحبة وتعريفها ما يلي(٢):

١ ـ الميل الدائم بالقلب الهائم.

٢ ـ إيثار المحبوب على جميع المصخوب.

---

(١) انظر مدارج السالكين ٣/ ١١.

(٢) انظر: مدارج السالكين ٣/ ١٣-١٨ حيث ذكر ثلاثين حداً للمحبة.

٣ ـ موافقة الحبيب في المشهد والمغِيب.
٤ ـ مواطأة القلب لمرادات المحبوب.
٥ ـ استكثار القليل من جنايتك، واستقلال الكثير من طاعتك.
٦ ـ سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب.
٧ ـ ميلك للشيء بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك، وروحك، ومالك، ثم موافقتك له سراً، وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبه.
٨ ـ الدخول تحت رق المحبوب وعبوديته، والحرية من استرقاق ما سواه.
٩ ـ سفرُ القلب في طلب المحبوب، ولهجُ اللسان بذكره على الدوام.
١٠ ـ المحبة أن يكون كُلُّكَ بالمحبوب مشغولاً، وذلُّك له مبذولاً.

أقسام المحبة:

١ ـ محبة عبادة: وهي محبة التذلل، والتعظيم، وأن يقوم بقلب المُحبِّ من إجلال المحبوب، وتعظيمه ما يقتضي امتثال أمره، واجتناب نهيه.

وهذه المحبة أصل الإيمان والتوحيد، وهي التي يترتب عليها من الفضائل ما لا يمكن حصرُهُ وعدُّهُ.

ومَنْ صرف تلك المحبة لله فهو المؤمن الموحد، ومن صرفها لغير الله فقد وقع في المحبة الشركية؛ حيث أشرك بالله ـ عز وجل ـ.

وذلك كمحبة المشركين الذين يحبون آلهتهم، وأندادهم كمحبة

الله، من شجر، أو حجر، أو بشر، أو ملك أو غيرها ـ كمحبة الله أو أكثر؛ فهذه المحبة أصل الشرك، وأساسه.

٢ ـ محبة لله ـ عز وجل ـ: كمحبة ما يحبه الله من الأمكنة، والأزمنة، والأشخاص، والأعمال، والأقوال، ونحو ذلك؛ فهذه المحبة تابعة لمحبة الله.

٣ ـ المحبة الطبيعية: ويدخل تحت هذه المحبة ما يلي:

أ ـ محبة إشفاق ورحمة: كمحبة الوالد لولده، وكمحبة المرضى، والضعفاء.

ب ـ محبة إجلال وتعظيم دون عبادة: كمحبة الولد لوالده، وكمحبة التلميذ لمعلمه وشيخه، ونحو ذلك.

ج ـ محبة الإنسان ما يلائمه: كمحبة الطعام، والشراب، والنكاح، واللباس، والأصدقاء، والخلطاء، ونحو ذلك.

فهذه المحاب داخلة في المحبة الطبيعية المباحة، فإن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في باب الطاعة، وإن صدت عن محبة الله، وتُوَسِّل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات، وإن لم تُعِن على طاعة، ولا معصية فهي في دائرة المباحات.

فضائل محبة الله:

محبة الله ـ عز وجل ـ أشرف المكاسب، وأعظم المواهب، وفضائلها لا تُعد ولا تحصى، ومن تلك الفضائل ما يلي:

١ ـ أنها أصل التوحيد وروحه: قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ: «أصل التوحيد، وروحه إخلاص المحبة لله وحده، وهي أصل التألُّهِ، والتعبد، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبةُ العبد لربه، وتسبق جميعَ المحابِّ، وتَغْلِبها، ويكون لها الحكم عليها؛ بحيث تكون سائر محاب العبد تبعاً لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه»[١].

٢ ـ أن الحاجة إليها أعظم من الحاجة إلى الطعام، والشراب، والنكاح: قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «ففي قلوب بني آدم محبة لما يتألهونه ويعبدونه، وذلك قوام قلوبهم، وصلاح نفوسهم، كما أن فيهم محبةً لما يطعمونه، وينكحونه، وبذلك تصلح حياتهم، ويدوم شملهم.

وحاجتهم إلى التأله أعظم من حاجتهم إلى الغذاء؛ فإن الغذاء إذا فُقِد يَفْسُد الجسم، وبِفَقْدِ التأله تفسد النفس»[٢].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فكيف بالمحبة التي هي حياة القلوب، وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذة، ولا نعيم، ولا فلاح، ولا حياة إلا بها.

وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظمَ من ألم العينِ إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، والأنفِ إذا فقد شمّه، واللسان إذا فقد نُطْقَه؟!

---

(١) القول السديد ص١١٠.

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية ٢/ ٢٣٠.

بل فساد القلب إذا خلا من محبة فاطره، وبارئه، وإلهه الحق أعظم من فساد البدن إذا خلا من الروح.

وهذا الأمر لا يصدِّق به إلا مَنْ فيه حياةٌ، وما لِجُرْحٍ بميت إيلام»[1].

٣ ـ تسلي المحب عند المصائب: قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فإن المحب يجد من لذة المحبة ما ينسيه المصائب، ولا يجد مِنْ مسِّها ما يجد غيرُه، حتى كأنه قد اكتسى طبيعةً ثانيةً ليست طبيعةَ الخلق.

بل يَقْوَى سلطانُ المحبةِ حتى يلتذَّ المحبُّ بكثير من المصائب التي يصيبه بها حبيبه أعظم من التذاذ الخليِّ (العاري من المحبة) بحظوظه وشهواته.

والذوقُ، والوَجْدُ شاهد بذلك، والله أعلم»[2].

٤ ـ أنها من أعظم ما يحمل على ترك المعاصي: قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في معرض حديث له عن محبة الله: «وهي من أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته، ومعاصيه؛ فإن المحب لمن يحب مطيع، وكلما قوي سلطانُ المحبةِ في القلب كان اقتضاؤه للطاعة، وترك المخالفة أقوى.

وإنما تصدر المعصية والمخالفة مِنْ ضَعْفِ المحبة، وسلطانِها.

وفـرْقٌ بين من يحمله على ترك معصية سيده خَوْفُه من سوطه وعقوبتِهِ، وبين من يحمله على ذلك حبُّه لسيده».

---

(١) الجواب الكافي ص٥٤١ ـ ٥٤٢.

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٣٨.

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «فالمحب الصادق عليه رقيبٌ من محبوبه يرعى قَلْبَه، وجوارحَه.

وعلامةُ صدقِ المحبة شهودُ هذا الرقيبِ ودوامُه.

وها هنا لطيفة يجب التنبه لها، وهي أن المحبة المجردة لا توجب هذا الأثر ما لم تقترن بإجلال المحبوب وتعظيمه؛ فإذا قارنها الإجلال والتعظيم أوجبت هذا الحيـاءَ والطاعةَ، وإلا فالمحبة الخالية عنهما إنما توجب نوعَ أنسٍ، وانبساط، وتذكر، واشتياق.

ولهذا يتخلف أثرها ومُوجَـبُها، ويفتش العبد قلبه فيرى نوع محبة لله، ولكن لا تحمله على ترك معاصيه، وسبب ذلك تجرّدها عن الإجلال والتعظيم؛ فما عَمَرَ القلبَ شيءٌ كالمحبة المقترنة بإجلال الله وتعْظيمه.

وتلك من أفضل مواهب الله للعبد، أو أفضلُها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[(١)].

٥- أنها تقطع الوساوس: قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فبين المحبة، والوساوس تناقض شديد كما بين الذكر والغفلة؛ فعزيمة المحب تنفي تردد القلب بين المحبوب وغيره، وذلك سبب الوساوس.

وهيهات أن يجد المحب الصادق فراغاً لوسواس الغير؛ لاستغراق قلبه في حضوره بين يدي محبوبه.

وهل الوسواس إلا لأهل الغفلة والإعراض عن الله ـ تعالى ـ؟ ومن أين يجتمع الحبُّ والوسواس؟

---

(١) طريق الهجرتين ص٤٤٩ ـ ٤٥٠.

لا كـان مَـنْ لـسـواك فـيـه بـقـيـةٌ
فيـهـا يُـقَـسِّم فِـكْـرَهُ ويوسـوسُ[1]

٦ ـ **تمام النعيم، وغاية السرور**: فذلك لا يحصلُ إلا بمحبة الله ـ عز وجل ـ فلا يغني القلبَ، ولا يَسُدُّ خلَّته ولا يشبعُ جوعته إلا محبتُه، والإقبال عليه ـ عز وجل ـ ولو حصل له كل ما يلتذ به لم يأنس ولم يطمئن إلا بمحبة الله ـ عز وجل ـ.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وأما محبةُ الرب ـ سبحانه ـ فشأنها غير الشأن؛ فإنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها، وفاطرها، فهو إلهها، ومعبودها، ووليها، ومولاها، وربُّها، ومدبرها، ورازقها، ومميتها، ومحييها؛ فمحبته نعيم النفوس، وحياة الأرواح، وسرور النفوس، وقوتُ القلوب، ونور العقول، وقرة العيون، وعمارة الباطن؛ فليس عند القلوب السليمة، والأرواح الطيبة، والعقول الزاكية أحلى، ولا ألذُّ، ولا أطيبُ، ولا أسرُّ، ولا أنعمُ من محبته، والأنس به، والشوق إلى لقائه.

والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتمُّ من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة».

إلى أن قال: «ووجَدَانُ هذه الأمور، وذوقُها هو بحسب قوة المحبة، وضعفها، وبحسب إدراك جمال المحبوب، والقرب منه.

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٣٨.

وكلما كانت المحبةُ أكملَ، وإدراك المحبوب أتم، والقرب منه أوفر ـ كانت الحلاوةُ، واللذةُ، والنعيمُ أقوى.

فمن كان بالله ـ سبحانه ـ وأسمائه وصفاته أعرف، وفيه أرغب، وله أحب، وإليه أقرب ـ وجد من هذه الحلاوة في قلبه ما لا يمكن التعبير عنه، ولا يُعْرَف إلا بالذوق والوَجْد.

ومتى ذاق القلب ذلك لم يُمْكِنْهُ أن يقدِّم عليه حُبَّاً لغيره، ولا أنساً به.

وكلما ازداد له حباً ازداد له عبودية، وذلاً، وخضوعاً، ورِقَّاً له، وحرية من رق غيره»[1].

صفات المحبوبين لله:

الله ـ عز وجل ـ يُحِبُّ ويُحَبّ، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وإليك فيما يلي إجمالاً لبعض صفات الذين خصهم الله بالمحبة:

١- التــوابـون.

٢- المتــطهــرون.

٣- المـتـقـون.

٤- المحـسـنـون.

(١) إغاثة اللهفان ص٥٦٧.

٥- الصـابـرون.
٦- المتــوكـلـون.
٧- المقسطون.
٨- الذين يقاتلون في سبيله صفًّاً كأنهم بنيان مرصوص.
٩- الأذلــة عـلى المـؤمـنـين.
١٠- الأعـزة عـلى الـكافـريـن.
١١- المجـاهـدون في سبيـل الله.
١٢- الذين لا يخافون لومة لائم.
١٣- المتقربون بالنوافل بعد الفرائض.

الأسباب الجالبة لمحبة الله:

١ ـ قراءة القرآن بالتدبر، والتفهم لمعانيه، وما أريد به.
٢ ـ التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.
٣ ـ دوامُ ذكرِ الله على كل حال باللسان، والقلب، والعمل، والحال.
٤ ـ إيثارُ محابِّ الله على محابِّ النفس عند غلبات الهوى.
٥ ـ مطالعة القلب لأسماء الله وصفاته، ومشاهدتها، ومعرفتها.
٦ ـ مشاهدة برِّه، وإحسانه، وآلائه، ونعمه الظاهرة، والباطنة.
٧ ـ إنكسار القلب بكلِّيته بين يدي الله ـ تعالى ـ.
٨ ـ الخلوة بالله وقتَ النزولِ الإلهي؛ لمناجاته، وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب، والتأدب بآداب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

٩ ـ مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطايبُ الثمر، وألا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعَلِمْتَ أن فيه مزيداً لحالك، ومنفعة لغيرك.

١٠ ـ مباعدةُ كلِّ سببٍ يحول بين القلب، وبين الله ـ عز وجل ـ[1].

اللهم إنا نسألك حبك، وحبَّ من يحبك، وحبَّ العمل الذي يقربنا إلى حبِّك.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) انظر: مدارج السالكين ٣/ ١٨ ـ ١٩.

كلمات في الخوف [1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. . أما بعد:

فإن منزلة الخوف من أجلِّ منازل العبودية، وأنفعها، وهي فرض على كل أحد.

قال الله تعالى: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

تعريف الخوف:

١ ـ قيل: الخوف توقع العقوبة على مجاري الأنفاس.

٢ ـ وقيل: الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام.

٣ ـ وقيل: الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره.

٤ ـ وقيل: الخوف غمّ يلحق النفس؛ لتوقع مكروه.

أقوال في الخوف:

١ ـ قال أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد النيسابوري: الخوف سراج في القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر، وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله ـ عز وجل ـ فإنك إذا خفته هربت إليه. فالخائف من ربه هارب إليه.

---

(١) انظر تفصيل الحديث عن الخوف في مدارج السالكين لابن ١/ ٥٠٧-٥١٣، وشرح كتاب التوحيد باب «إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه».

٢ ـ وقال أبو سليمان: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب.

٣ ـ وقال إبراهيم بن سفيان: إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها، وطرد الدنيا عنها.

٤ ـ وقال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يَزُلْ عنهم الخوف؛ فإذا زال الخوف ضلّوا الطريق.

الخوف المحمود:

الخوف المحمود الصادق: هو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله ـ عز وجل ـ فإذا تجاوز ذلك خِيْفَ منه اليأس والقنوط.

قال أبو عثمان الحِيْري: صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهراً، وباطناً.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله.

الخوف الواجب والخوف المستحب:

الخوف الواجب: هو ما حمل على فعل الواجبات، وترك المحرمات.

والخوف المستحب: هو ما حمل على فعل المستحبات، وترك المكروهات.

الجمع بين الخوف والرجاء والحب:

لا بدّ للعبد من الجمع بين هذه الأركان الثلاثة؛ لأن عبادة الله بالخوف وحده طريقة الخوارج؛ فهم لا يجمعون إليه الحبَّ والرجاء؛

ولهذا لا يجدون للعبادة لذة، ولا إليها رغبة، فيجعلون الخالق بمنزلة سلطان جائر.

وهذا يورث اليأس والقنوط من رحمة الله، وغايتُه إساءةُ الظن بالله، والكفر به ـ سبحانه ـ.

وعبادة الله بالرجاء وحده طريقة المرجئة الذين وقعوا في الغرور والأماني الباطلة، وترك العملِ الصالحِ، وغايتُه الخروجُ من الملة.

وعبادة الله بالحب وحده طريقة غلاة الصوفية الذين يقولون: نعبد الله لا خوفاً من ناره، ولا طمعاً في جنته، وإنما حبّاً لذاته.

وهذه طريقة فاسدة، ولها آثار وخيمة، منها الأمن من مكر الله، وغايتُه الزندقةُ، والخروج من الدين.

ولهذا قال السلف ـ رحمهم الله ـ كلمة مشهورة وهي: «مَنْ عبدَ الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروريٌّ ـ أي خارجي ـ ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف والحب والرجاء فهو مؤمن موحِّد».

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «القلب في سيره إلى الله ـ عز وجل ـ بمنزلة الطائر؛ فالمحبة رأسه، والخوف، والرجاء جناحاه؛ فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيِّدُ الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائدٍ وكاسر».

أيهما يُغلَّب: الخوف أم الرجاء؟

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : «السلف استحبوا أن يُقَوِّي في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوي جناح الرجاء على جناح الخوف، هذه طريقة أبي سليمان وغيره.

وقال: ينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإذا غلب الرجاء فَسَدَ.

وقال غيره: أكمل الأحوال اعتدال الرجاء والخوف، وغلبةُ الحب؛ فالمحبة هي المرْكَبُ، والرجاء حادٍ، والخوف سائق، والله الموصل بمنِّه وكرمه».

أقسام الخوف:

١- **خوف السر**: وهو خوف التَّأَلُّه، والتعبد، والتقرب، وهو الذي يزجر صاحبه عن معصية مَنْ يخافه؛ خشيةً من أن يصيبه بما شاء من فقر، أو قتل، أو غضب، أو سلب نعمة، ونحو ذلك بقدرته ومشيئته.

فهذا القسم لا يجوز أن يصرف إلا لله ـ عز وجل ـ وصَرْفُه له يعد من أجل العبادات، ومن أعظم واجبات القلب، بل هو ركن من أركان العبادة، ومن خشي الله على هذا الوجه فهو مخلص موحِّد.

ومن صرفه لغير الله فقد أشرك شركاً أكبر؛ إذ جعل لله نِداً في الخوف، وذلك كحال المشركين الذين يعتقدون في آلهتهم ذلك الاعتقاد، ولهذا يُخَوِّفون بها أولياء الرحمن، كما قال قوم هود ـ عليه السلام ـ الذين ذكر الله عنهم أنهم خوفوا هوداً بآلهتهم فقالوا: ﴿إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ

بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: ٥٤].

وكحال عباد القبور؛ فإنهم يخافون أصحاب القبور من الصالحين، بل من الطواغيت كما يخافون الله، بل أشد؛ ولهذا إذا توجَّهَتْ على أحدهم اليمينُ بالله أعطاك ما شئت من الأيمان صادقاً أو كاذباً، فإن كانت اليمين بصاحب التربة لم يُقْدِم على اليمين إن كان كاذباً.

وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أخوف عنده من الله.

وكذا إذا أصاب أحداً منهم ظلمٌ لم يطلب كشفه إلا من المدفونين في التراب، وإذا أراد أحدهم أن يظلم أحداً فاستعاذ المظلوم بالله لم يُعذه، ولو استعاذ بصاحب التربة أو بتربته لم يُقْدِمْ عليه بشيء، ولم يتعرض له بالأذى.

٢ ـ **الخوف من وعيد الله**: الذي توعد به العصاة، وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، وهو درجات، ومقامات، وأقسام ـ كما مضى ذكره قبل قليل ـ.

٣- **الخوف المحرم**: وهو أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بغير عذر إلا لخوف الناس.

وكحال من يفر من الزحف؛ خوفاً من لقاء العدو؛ فهذا خوف محرم، ولكنه لا يصل إلى الشرك.

٤- **الخوف الطبيعي**: كالخوف من سَبُع، أو عدوٍّ، أو هدم، أو غرق، ونحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهري؛ فهذا لا يُذَمُّ، وهو الذي ذكره الله عن موسى ـ عليه السلام ـ في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿فَخَرَجَ

منْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: ٢١]، وقوله: ﴿ **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ** ﴾ [طه: ٦٧].

ويدخل في هذا القسم الخوف الذي يسبق لقاء العـدو، أو يسبق إلقاء الخطب في بداية الأمر؛ فهذا خوف طبيعي، ويحمد إذا حمل صاحبه على أخذ الأهبة والاستعداد، ويذم إذا رجع به إلى الانهزام وترْكِ الإقدام.

٥- **الخوف الوهمي**: كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً، أو له سبب ضعيف جداً؛ فهذا خوف مذموم، ويدخل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعوذ النبي ﷺ من الجبن؛ فهو من الأخلاق الرذيلة.

ولهذا كان الإيمان التام، والتوكل الصحيح أعظمَ ما يدفع هذا النوع من الخوف، ويملأ القلب شجاعة؛ فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه الخوف من غير الله، وكلما ضعف إيمانه زاد وقوي خوفه من غير الله.

ولهذا فإن خواص المؤمنين وأقوياءهم تنقلب المخاوف في حقهم أمناً وطمأنينة؛ لقوة إيمانهم، ولسلامة يقينهم، وكمال توكلهم ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ** ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كلمات في الرجاء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن الرجاء ركن من أركان العبادة؛ فالعبادة تقوم على الحب، والخوف، والرجاء.

والرجاء عمل عظيم من أعمال القلوب، والنصوص الشرعية متضافرة على ذكره، والثناء في أهله.

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿أُوْلَئِكَ الذينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

فابتغاء الوسيلة إليه طلب القرب منه بالعبودية والمحبة؛ فذكرَ مقاماتِ الإيمان الثلاثة الحب، والخوف، والرجاء.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّه فَإِنَّ أَجَلَ اللَّه لآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥].

وقال: ﴿أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّه وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وفي صحيح مسلم قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه**».

وفي الصحيح قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**يقول الله ـ عز وجل ـ: «أنا عند ظن عبدي، فليظن بي ما شاء»**».

*** حـد الرجـاء:**

١ ـ قيل: الرجاء حادٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب، وهو الله والدار الآخرة، ويُطَيِّب لها السير.

٢ ـ وقيل: هو الاستبشار بجود فضل الرب ـ تبارك وتعالى ـ والارتياح لمطالعة كرمه ـ سبحانه ـ.

٣ ـ وقيل: هو الثقة بجود الرب ـ تعالى ـ.

٤ ـ وقيل: هو النظر إلى سعة رحمة الله.

*** الجمع بين الخوف والرجاء والحب:**

لابدّ للعبد من سيره إلى الله من الجمع بين الأركان الثلاثة؛ فالحب بمنزلة الرأس للطائر، والخوف والرجاء جناحاه؛ فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قُطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقِد الجناحان فهو عرضة لكل صائدٍ وكاسر كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ.

*** أنـواع الرجـاء:**

أنواع الرجاء ثلاثة، نوعان محمودان، ونوعٌ غرور مذموم؛ فالأولان: رجاءُ رجلٍ عمل بطاعة الله على نور من الله؛ فهو راجٍ لثوابه، ورجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها، ـ فهو راجٍ لمغفرة الله ـ تعالى ـ وعفوه، وإحسانه، وجوده، وحلمه، وكرمه، فهذان النوعان محمودان.

والثالث: رجاء رجل متمادٍ في التفريط، والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل؛ فهذا هو الغرور، والتمني، والرجاء الكاذب.

*** الفرق بين الرجاء والتمني:**

الفرق بينهما أن التمني يكون مع الكسل، ولا يسلك صاحبه طريق الجد، والاجتهاد.

والرجاء يكون مع بذل الجهد، وحسن التوكل.

فالأول: كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها، ويأخذ زرعها.

والثاني: كحال من يشق أرضه، ويفلَحها، ويبذرها، ويرجو طلوع الزرع.

«**تساؤل**» أيهما أكمل: رجاءُ المحسنِ ثوابَ إحسانه، أو رجاء المسيء التائب مغفرةَ ربِّه، وعفوه؟.

والجواب: أن هذه المسألة وقع فيها خلاف؛ فطائفة رجَّحت رجاء المحسن؛ لقوة أسباب الرجاء معه، وطائفة رجّحت رجاء المذنب التائب؛ لأن رجاءه مُجَرَّدٌ عن علة رؤية العمل، مقرون بالانكسار، وذلة رؤية الذنب.

*** الرجاء لا يصح إلا مع عمل:**

فقد أجمع العلماء على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل.

أما ترك العمل، والتمادي في الذنوب؛ اعتماداً على رحمة الله، وحسن الظن به ـ عز وجل ـ فليس من الرجاء في شيء.

بل هو جهل، وسفه، وغرور؛ فرحمة الله قريب من المحسنين لا من المفرطين، المعاندين، المُصِرِّين.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في شأن المتمادين في الذنوب؛ اتكالاً

على رحمة الله: «وهذا الضرب في الناس قد تعلق بنصوص الرجاء، واتَّكل عليها، وتعلق بكلتا يديه، وإذا عوتب على الخطايا، والانهماك فيها ـ سرد لك ما يحفظه من سعة رحمة الله، ومغفرته، ونصوص الرجاء. وللجهال من هذا الضرب من الناس في هذا الباب غرائب وعجائب»[1].

ثم ساق ـ رحمه الله ـ أمثلة عديدة لما جاء عن أولئك.

*** ضابط حسن الظن:**

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فحسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة، وأما على انعقاد أسباب الهلاك فلا يتأتَّى إحسان الظن.

فإن قيل: بل يتأتى ذلك، ويكون مستندُ حسنِ الظنِّ سعةَ مغفرةِ الله، ورحمته، وعفوه، وجوده، وأنَّ رحمتَه سبقت غضبَه، وأنه لا تنفعه العقوبة، ولا يضره العفو.

قيل: الأمر هكذا، والله فوق ذلك أجلُّ، وأكرم، وأجود، وأرحم، وإنما يضع ذلك في محله اللائق به؛ فإنه ـ سبحانه ـ موصوف بالحكمة، والعزة، والانتقام، وشدة البطش، وعقوبة من يستحق؛ فلو كان مُعَوَّلُ حسنِ الظن على صفاته، وأسمائه لاشترك في ذلك البرُّ والفاجر، والمؤمن والكافر، ووليه وعدوُّه؛ فما ينفع المجرمَ أسماؤه، وصفاته، وقد باء بسخطه، وغضبه، وتعرض للعْنته، ووقع في محارمه، وانتهك حرماته؟!

بل حسن الظن ينفع مَنْ تاب، وندم، وأقلع، وبدَّل السيئة بالحسنة،

---

(١) الجواب الكافي لابن القيم ص٦٧ ـ ٦٨.

واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة، ثم حسَّن الظن بعدها؛ فهذا هو حسن الظن، والأول غرور، والله المستعان»[١].

فوائد الرجاء:

وبعد أن تبين لنا حدُّ الرجاء، وضوابُطه ـ فهذه نبذه عن فوائده، وفضائله؛ فالرجاء إذا كان في محله، وعلى وجهه الصحيح يثمر ثمراتٍ عظيمةً؛ فمن فضائل الرجاء، وثمراته ما يلي:

١- إظهار العبودية، والفاقة، والحاجة إلى ما يرجوه العبد من ربه، ويستشرفه من إحسانه، وأنه لا يستغني عن فضله، وإحسانه طرفة عين.

٢- أن الرجاء محبوبٌ لله؛ فالله ـ عز وجل ـ يحب من عباده أن يرجوه، ويأملوه، ويسألوه من فضله؛ لأنه الملك الحق الجواد؛ فهو أجود من سئل، وأوسع من أعطى.
وأحب ما إلى الجواد أن يُرجى، ويُؤمل، ويُسأل.

٣- التخلص من غضب الله؛ فمن لم يسأل الله يغضب الله عليه، والسائل راجٍ، وطالبٌ.

٤- أن الرجاء حادٍ يحدو بالعبد في سيره إلى الله، ويطيِّبُ له المسير، ويحثه عليه، ويبعثه على ملازمته؛ فلولا الرجاء لما سار أحد؛

---

(١) الجواب الكافي ص٧٦ ـ ٧٧.

فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحب، ويزعجه الخوف، ويحدوه الرجاء.

٥- أن الرجاء يطرحه على عتبة المحبة؛ فإنه كلما اشتدّ رجاؤه، وحصل له ما يرجوه ازداد حباً لله ـ تعالى ـ وشكراً له، ورضاً به، وعنه.

٦ ـ أنه يبعثه على أعلى المقامات، وهو مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية؛ فإنه إذا حصل له مرجوّه كان أدعى لشكره.

٧ ـ أنه يوجب له المزيد من معرفة الله، وأسمائه، ومعانيها، والتعلق بها؛ فإن الراجي متعلق بأسمائه الحسنى، متعبدٌ، وداعٍ بها.

٨ ـ أن المحبة لا تنفك عن الرجاء؛ فكل واحد منهما يمد الآخر، ويقويه.

٩ ـ أن الخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف؛ فكل راجٍ خائفٌ، وكل خائف راجٍ.

١٠ ـ أن العبد إذا تعلق قلبه برجـاء ربِّه، فأعطاه ما رجاه كان ذلك ألطفَ موقعاً، وأحلى عند العبد، وأبلغ من حصول ما لم يَرْجُه.

١١ ـ أن في الرجاء من الانتظار، والترقب، والتوقع لفضل الله ـ ما يوجب تعلق القلب بذكره، ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه، وصفاته، وتنقُّلُ القلب في رياضها الأنيقة، وأخذه بنصيبه مـن كل اسم، وصفة.

اللهم إنا نسألك حبك، وخوفك، ورجاءك، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد.



الرسالة العاشرة

الطـــــيرة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على خير الأنام نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فإن دين الإسلام دين الكمال والسمو، ودين العزة والسعادة؛ فما من خير إلا ودلَّ عليه وأمر به، وما من شر إلا وحذر منه، ونهى عن سلوك سبيله.

وإن مما دل عليه الإسلام، وأمر به ـ استعمالَ الفألِ، وتركَ الطيرة؛ ذلك أن الفأل مقوٍّ للعزائم، حاضٌّ على البغية، فاتحٌ أبوابَ الخير. بخلاف الطيرة؛ فهي تكسر النية، وتصد عن الوجهة، وتفتح أبواب الشر. بل هي نقص في العقل، وانحراف في المعتقد، وضلال عن سواء الصراط.

ومع أن الطيرة سنة جاهلية جاء الإسلام بنفيها، وإبطالها إلا أنها لا تزال باقية تعمل عملها، وتفري فريها في قلوب كثير من الناس.

وفيما يلي من صفحات جمع لبعض ما تناثر في باب الطيرة؛ رغبة في إلقاء الضوء حول هذه المسلك، وتبيان ضرره، وعلاجه؛ فـالله المستعان، وعليه التكلان.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

الزلفي ٢٣/٦/ ١٤٢٠هـ



تعريف الطـيَرَة

الطيرة، والتطير بمعنى واحد؛ فالتطير مصدر الفعل تطير يتطير، والطيرة اسم المصدر.

مثل تخير يتخير تخيراً، وخيرةً، ويقال: تطيَّرت من الشيء، وبالشيء[1].

والطيرة هي: التشاؤم من الشيء المرئي، أو المسموع[2].

والتشاؤم: هو عَدُّ الشيء مشؤوماً، أي يكون وجوده سبباً في وجود ما يحزن ويضر[3].

«اشتقاق الطيرة، وسبب تسميتها بذلك»

الطيرة مشتقة من أحد أمرين:

١- **إما من الطيران:** فكأن الذي يرى ما يكره أو يسمع ـ يطير، كما قال بعضهم:

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى
وصوَّت إنسان فكِدْتُ أطير

٢- **وإما من الطير:** وهذا هو الأصل، والمختار من الوجهين؛ إذ

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ٤/ ٥١٢-٥١٣.

(٢) انظر مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/ ٢٤٦، والآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٣٥٧-٣٦٣.

(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٥/ ٦٦.

كانت العرب تزجر الطير والوحش، أي تُنَفِّرها، وترسلها، وتتفاءل أو تتشاءم بها.

فمن قال بالأول احتج بأن الوحش يُتطيَّر به، وزُجِرت مع الطير.

ومن قال بالقول الثاني قال: إنما كان الأصل في الطير، ثم صار في الوحش، وقد يجوز أن يُغَلَّب أحد الشيئين على الآخر؛ فيذكر دونه، ويرادان جميعاً، كما قيل:

ما يعيف اليوم في الطير الرَّوَح   من غراب البين أو تيس برح

فجعل التيس من الطير؛ إذ قدم ذكر الطير، وجعله من الطير بمعنى التطير[1].

فالتطير ـ إذاً ـ مأخوذ من الطير في الأصل، ثم أطلق على كل ما يتوهم أنه سبب في لحاق الشر، سواءً كان مسموعاً، أو مرئياً، أو معلوماً، وسواء كان طيراً، أو حيواناً، أو جماداً، أو زماناً، أو مكاناً، أو شخصاً، أو نباتاً، أو عدداً، أو نحو ذلك.

قال العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ عن التطير: «هو تَفَعُّلٌ من اسم الطير، كأنهم صاغوه على وزن التفعل؛ لما فيه من تكلف معرفة حظ المرء بدلالة حركات الطير، أو هو مطاوعة[2]

(١) انظر العمدة لابن رشيق القيرواني ٢/ ٢٥٩-٢٦٤.

(٢) يقصد بقوله: مطاوعة: أن التاء في التطير هي تاء المطاوعة المعروفة عند النحاة، ومعنى المطاوعة: الموافقة، والتاء من أحرف الزيادة التي تعني عند زيادتها في الفعل حدوث الموافقة، مثل: عَلَّمته فتَعَلَّم، وكسَّرته فتكَسَّر.

سمي بها؛ لما يحصل من الانفعال من إثر طيران الطير»[١].

وقال: «إنما غلب لفظ الطيرة على التشاؤم؛ لأن للأثر الحاصل من دلالة الطيران على الشؤم دلالةً أشد على النفس؛ لأن توقع الضر أدخل في النفوس من رجاء الخير»[٢].

وقال في موضع آخر: «الطيرة في الأصل تكلف معرفة دلالة الطير على خير أو شر؛ من تَعَرُّض نوع الطير، من صفة اندفاعه، أو مجيئه، ثم أطلق على كل حدث يتوَهَّم منه أحدٌ أنه كان سبباً في لحاق شرٍّ به، فصار مرادفاً للتشاؤم»[٣].

«تعريف العيافة»

هي مصدر الفعل عاف يعيف، والمصدر عيافة.

والعيافة هي: زجر الطير، وتنفيرها، وإرسالها، والتـفـاؤل، أو التشاؤم بأسمائها، وأصواتها، وممراتها؛ فعن العيافة يكون الفأل، أو التشاؤم.

---

(١) التحرير والتنوير ٥/ ٦٥.

(٢) التحرير والتنوير ٥/ ٦٦ .

(٣) التحرير والتنوير ١١/ ٣٦٢.

فروق بين الطيرة والعيافة، وبين الطيرة والفأل

أولاً: فروق بين الطيرة والعيافة:

١- يختلفان في التعريف ـ كما مر ـ.

٢- **العيافة** قد ينشأ عنها تفاؤل وتَيَمُّنٌ، وقد ينشأ عنها تشاؤم، **أما الطيرة** فلا ينشأ عنها إلا تشاؤم.

٣- **العيافة** تكون بالطير فقط، **أما الطيرة** فتكون بالطير، والوحش، والزمان، والمكان، والأشخاص، والأرقام، وغير ذلك.

٤- **الطيرة** قد لا يعمد إليها الإنسان، بل قد توافيه، وتصادفه دون أن يعمد إليها، بخلاف العيافة؛ فإنها تقصد؛ حيث تُزْجَر الطيرُ، وينشأ عن ذلك ما ينشأ من تفاؤل، أو تشاؤم.

٥- العيافة والطيرة يتفقان في تأثيرهما في القلوب؛ فهما قد يوجبان إمضاءً أو رَدّاً.

ثانياً: فروق بين الطيرة والفأل[١]:

١- يتفقان بأن لهما تأثيراً في القلوب.

٢- يختلفان بالمقاصد، ويفترقان بالمذاهب؛ فما كان محبوباً تفاءلوا به، وسموه الفأل، وأحبوه، ورضوا به.

---

(١) انظر العمدة لابن رشيق ٢/ ٢٥٩ ومفتاح دار السعادة ٢/ ٢٤٥، والقول السديد لابن سعدي ص٨٩-٩٠.

وما كان مكروهاً قبيحاً منفراً تشاءموا به، وكرهوه، وتطيروا منه، وسموه طيرة؛ تَعْرِفَةً بين الأمرين، وتفصيلاً بين الوجهين.

٣- الفأل تقوية للعزائم، وتحضيض على البغية، وإطماع في النية، ورجاء للخير.

والطيرة تكسر النية، وتصد عن الوجهة، وتثني عن العزيمة، وتجلب سوءَ الظنِّ، وتوقُّعَ البلاء.

٤- أن الإنسان إذا استعمل الطيرة، فرجع بها من سفره، وامتنع بها مما عزم عليه فقد قرع باب الشرك، بل ولجه، وبرئ من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف، والتعلق بغير الله، فَيَفْسُد عليه قلبه، وإيمانه، وحاله، ويبقى هدفاً لسهام الطيرة، ويساق إليها من كل طريق، ويقيِّض له الشيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه، وكم هلك بذلك من هلك وخسر الدنيا والآخرة.

بخلاف الفأل الصالح، السار للقلوب، المؤيد للآمال، الفاتـح أبواب الرجاء، المسكن للخوف، الرابط للجأش، الباعث على الاستعانة بالله، والتوكل عليه، والاستبشارِ المقوي لأمله، السار لنفسه؛ فهذا ضد الطيرة؛ فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد.

والطيرةُ تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك؛ فلهذا استحـب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الفأل، وأبطل الطيرة.

❀ ❀ ❀

إبطال الإسلام للطيرة، وتحريمه لها

لقد جاء بنفي الطيرة، وتحريمها، وبيان ضررها، وبيان أنها من صنيع أعداء الرسل.

قال ـ تبارك وتعالى ـ عن قوم فرعون: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١)﴾ [الأعراف: ١٣١].

والمعنى: أن آل فرعون إذا أصابتهم الحسنة: أي الخِصَب، والسعة، والعافية ـ كما فسره مجاهد وغيره ـ قالوا: «لنا هذه» أي نحن الجديرون، والحقيقون به، ونحن أهله، وإن تصبهم سيئةٌ: أي بلاء، وقحط يطَّيروا بموسى، ومن معه، فيقولون: هذا بسبب موسى وأصحابه، أصابنا بشؤمهم.

فقال الله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: طائرهم ما قضى عليهم وقدَّر لهم.

وفي رواية: شؤمهم عند الله، ومن قِبَلِه: أي: إنما جاءهم الشؤم من قبله؛ بكفرهم، وتكذيبهم بآياته، ورسله.

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: أن أكثرهم جهال لا يدرون، ولو فهموا، وعقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى ـ عليه السلام ـ

إلا الخير، والبركة، والسعادة، والفلاح لمن آمن به[١].

قال الشيخ ابن عاشور ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية السابقة: «والمراد به ـ يعني التطير ـ في الآية أنهم يتشاءمون بموسى ومن معه، فاستعمل التطير في التشاؤم بدون دلالة من الطير؛ لأن قوم فرعون لم يكونوا ممن يزجر الطير فيما علمنا من أحوال تاريخهم، ولكنهم زعموا أن دعوة موسى فيهم كانت سبب مصائب حَلَّتْ بهم، فَعُبِّر عن ذلك بالتطير على طريقة التعبير العربي».

إلى أن قال: «فمعنى «**يطيروا بموسى**» يحسبون حلول ذلك بهم مُسَبَّباً عن وجود موسى ومن آمن به، وذلك أن آل فرعون كانوا متعلقين بضلال دينهم، وكانوا يحسبون أنهم إذا حافظوا على اتِّباعه كانوا في سعادة عيشٍ؛ فحسبوا وجودَ من يخالف دينهم بينهم سبباً في حلول المصائب، والإضرار بهم؛ فتشاءموا بهم، ولم يعلموا أن سبب المصائب هو كفرهم وإعراضهم؛ لأن حلول المصائب بهم يلزم أن يكون مُسَبَّباً عن أسباب فيهم لا في غيرهم.

وهذا من العماية في الضلالة، فيبقون منصرفين عن معرفة الأسباب الحقيقية، ولذلك كان التطير من شعار أهل الشرك، لأنه مبني عن نسبة المسببات لغير أسبابها، وذلك من مخترعات الذين وضعوا لهم ديانة الشرك وأوهامها»[١].

(١) انظر تفسير البغوي ٢/ ١٩٠، وفتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ٢/ ٥٠٦-٥٠٧.

(٢) التحرير والتنوير ٥/ ٦٦.

وقال ـ تعالى ـ في سورة يس عن أصحاب القرية التي جـاءهـا المرسلون: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٨ ، ١٩].

والمعنى ـ والله أعلم ـ: حظكم وما نابكم من شرٍّ بسبب أفعالكم، وكفركم، ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا، ولا بسببنا، بل ببغيكم، وعداوتكم؛ فطائر الباغي الظالم معه؛ فما وقع به من الشرور فهو سببه الجالب له، وذلك بقضاء الله، وقدره، وحكمته، وعدله كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥ ، ٣٦].

ويحتمل أن يكون المعنى: (**طائركم معكم**) أي: راجع عليكم؛ فالتطير الذي حصل لكم إنما يعود عليكم، وهذا من باب القصاص في الكلام، ونظيره قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم**» أخرجه البخاري، ومسلم(١).

وقوله: «**أئن ذكرتم**» أي: من أجل أنا ذكرناكم، وأمرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهذا الكلام ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

وقال قتادة: أئن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا؟(٢).

---

(١) البخاري (٦٢٥٨) و(٦٩٢٦)، ومسلم (٢١٦٣).

(٢) انظر فتح المجيد ٢/٥٠٧-٥٠٨.

*** أما الأحاديث النبوية التي تطرقت للحديث عن تحريم الطيرة، ونفيها، وبيان ضررها ـ فكثيرة جداً.**

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**لا عدوى ولا طيرة، وأحب الفأل الصالح**»[1].

ولهما عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل**».

قال: قيل: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الطيبة**»[2].

وفي رواية: «**الكلمة الحسنة، الكلمة الطيبة**».

وعن ابن مسعود مرفوعاً: «**الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل**»[3].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ: «وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من تعلق القلب على غير الله ـ تعالى»[4].

وقال: «قوله «**وما منا إلا**» قال أبو القاسم الأصبهاني، والمنذري:

---

(١) البخاري (٥٧٥٤ و ٥٧٥٥)، ومسلم (٢٢٢٣).

(٢) البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٣) رواه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٧، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٤) فتح المجيد ٢/ ٥٢٣.

في الحديث إضمارٌ، والتقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك. انتهى.

وقال الخلخالي: حذف المستثنى؛ لما يتضمنه من الحالة المكروهة، وهذا من أدب الكلام.

قوله: ولكن الله يذهبه بالتوكل: أي لما توكلنا على الله في جلب النفع، أو دفع الضر أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه وحده»[١].

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «**من ردَّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**».

قالوا: وما كفارة ذلك؟ قال: «**أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**»[٢].

ولقد شفى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمته في الطيرة؛ ففي صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «يا رسول الله! ومنا أناس يتطيّرون.

فقال: «**ذاك شيء يجدونه في صدورهم؛ فلا يصدَّنَّهم**»[٣].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فأخبر أن تَأَذِّيَهُ، وتشاؤمه بالتطير إنما هو في نفسه وعقيدته لا في المتطير به؛ فوهمه، وخوفه، وإشراكه هو

---

(١) فتح المجيد ٢/ ٥٢٣-٥٢٤.

(٢) أحمد ٢/ ٢٢٠، وفي إسناده ابن لهيعة، وبقية رجاله ثقات كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ١٠٥.

(٣) مسلم (٥٣٧).

الذي يُطَيِّره، ويصده، لا ما رآه وسمعه؛ فأوضح ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأمته الأمر، وبيَّن لهم فساد الطيرة؛ ليعلموا أن الله ـ سبحانه ـ لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة، ولا نصبها سبباً لما يخافون، ويحذرونه؛ لتطمئن قلوبهم، ولتسكن نفوسهم إلى وحدانيته ـ تعالى ـ»[١].

وقال: «وفي أثر: «**إذا تطيرت فلا ترجع**».

أي: امض لما قصدت، ولا يصدنك عنه الطيرة»[٢].

وقال ابن مفلح ـ رحمه الله ـ في الحديث السابق حديث معاوية بن الحكم: «ومعناه أن الطيرة شيءٌ تجدونه في نفوسكم ضرورةً، ولا تكليف به، لكنْ لا تمنعوا بسببه من التصرف؛ لأنه مكتسب، فيقع به التكليف»[٣].

وعن عروة بن عامر قال: ذُكرت الطيرة عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: «**أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً؛ فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»[٤].

قال عكرمة: كنا جلوساً عند ابن عباس فمر طائر يصيح، فقال

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٤.

(٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٠.

(٣) الآداب الشرعية ٣/ ٣٥٨.

(٤) رواه أبو داود (٣٧١٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦٤٤٣)، وصحح النووي إسناده في رياض الصالحين (٦٣٩).

رجل من القوم: خير، خير، فقال ابن عباس: لا خير، ولا شر.

فبادره ابن عباس بالإنكار عليه، لئلا يعتقد أن له تأثيراً في الخير، أو الشر.

وخرج طاووس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير، فقال طاووس: وأي خير عنده؟ والله لا تصحبني[1].



(١) انظر مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٥.

حد الطيرة المنهي عنها

جاء عند أحمد من حديث الفضل بن عباس - رضي الله عنهما - قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**»[١].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله - رحمه الله - في شرح هذا الحديث:

«هذا حد الطيرة المنهي عنها بأنها ما أوجب للإنسان أن يمضي لما يريده، ولو من الفأل؛ فإن الفأل إنما يستحب؛ لما فيه من البشارة والملاءمة للنفس.

فأما أن يعتمد عليه، ويمضي لأجله مع نسيان التوكل على الله - فإن ذلك من الطيرة المنهي عنها.

وكذلك إذا رأى، أو سمع ما يكره؛ فتشاءم به، أو رده عن حاجته - فإن ذلك - أيضاً - من الطيرة»[٢].

---

(١) أحمد ١/ ٢١٣، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية ٣/ ٣٥٨: «رواه أحمد من رواية محمد بن عبدالله بن علاثة، وهو مُخْتَلفٌ فيه، وفيه انقطاع».

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٤٤٠-٤٤١.

وجه كون الطيرة من الشرك

مرَّ شيء من بيان كون الطيرة من الشرك، ويمكن إجماله فيمايلي:

١- **أن فيها شركاً بالربوبية؛** لما فيها من ادعاء علم الغيب، ولما فيها من اعتقاد جلب النفع، ودفع الضر.

٢- **أن فيها شركاً في الألوهية؛** لما فيها من تعلق القلب بغيـر الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٣- **أنها تضعف قلب الإنسان،** وتفتح عليه باب الخوف من غير الله، وتقوده إلى الدجل والخرافة.

٤- **أن فيها اعتماداً على ما ليس سبباً لا شرعاً، ولا قدراً.**



الطيرة عند العرب وسبب اختلافهم فيها[1]

اشتهر العرب بالتطير في الجاهلية، واشتهر عندهم أناس كثيرون بالزجر، واشتهر عندهم أشياء يُتطير بها، واختلفت مذاهبهم في التشاؤم، والتفاؤل؛ حيث اختلفوا في مراتب الطيرة، ومذاهبها.

وسبب ذلك أنها كانت خواطرَ، وحدوساً، وتخميناتٍ لا أصل لها؛ فمن تبرك بشيء مدحه، ومن تشاءم بشيء ذمه.

ومَن اشتهر بإحسان الزجر عندهم، ووجوهه حتى قصده الناس بالسؤال عن حوادثهم، وما أمَّلوه من أعمالهم ـ سَمَّوه عائفاً، وعَرّافاً.

وممن اشتهر بذلك عرّاف اليمامة، والأبلق الأسدي، والأجلح، وعروة بن يزيد، وغيرهم؛ فكان العرب يحكمون بذلك، ويعملون به، ويتقدمون، ويتأخرون في جميع ما يتقلبون فيه، ويتصرفون؛ في حال الأمن، والخوف، والسعة، والضيق، والحرب، والسلم؛ فإن أنجحوا فيما يتفاءلون به مدحوه، وداوموا عليه، وإن عطبوا فيه تركوه وذموه.

❊ ❊ ❊

(١) انظر مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٢٩-٢٣٠.

أشياء يتطير بها قديماً وحديثاً[١]

اشتهرت العرب في الجاهلية بالتطير ـ كما مر ـ وكانوا يتطيرون من أشياء كثيرة، وسيرد فيما يلي ذكر لبعض ما يتطيرون به، كما سيرد ذكر لبعض ما يتطير به الناس إلى يومنا هذا؛ فمن ذلك:

١- العطـــاس: وسبب تطيرهم منه دابةٌ يكرهونها يقال لها العاطوس.

وكانوا إذا عطس من يحبونه قالوا: عُمْراً، وشبابــاً، وإذا عطس من يبغضونه قالوا: وَرْياً، وقُحاباً، والوري: داء يصيب الكبد فيفسدها، والقُحاب: كالسُّعال وزناً ومعنى.

وقد أبطل الإسلام هذا الدعاء، وشرع بأن يجعل مكانه الحمد من العاطس، والدعاء له ممن يسمع.

* قال امرؤ القيس متطيراً من العطاس:

وقد أغتدي قبل العطاس بهيكل   شديدٍ مِشَكِّ الجنب فَعْم المُنطَّقِ[٢]

أراد أنه ينتبه للصيد قبل أن ينتبه الناس من نومهم؛ لئلا يسمع عَطَّاساً، فيتشاءم بعطاسه.

وشَبَّه جواده بالهيكل المبني؛ لاستحكام خلقه.

٢- السانح. ٣- البارح. ٤- القعيد. ٥- الناطـح: وأصل ذلك أنهم يزجرون الطير، والوحش، ويثيرونها؛ فما تيامن منها وأخذ ذات اليمين

(١) انظر العمدة ٢/ ٢٦٠-٢٦٣، ومفتاح السعادة ٢/ ٢٢٩-٢٣٠، و٢٦١-٢٦٣.
(٢) ديوان امرؤ القيس، ص١٠٥.

سموه سانحاً، وما تياسر منها سموه بارحاً، وما استقبلهم منها فهو الناطح، وما جاءهم من خلفهم سموه القعيد.

فمن العرب من يتشاءم بالبارح، ويتبرك بالسانح، ومنهم من يرى خلاف ذلك.

قال المدائني: «سألت رؤبة بن العَجَّاج: ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه، قال: قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره، قال: والذي يجيء من قدامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقعيد.

وقال المفضل الضبي: البارح ما يأتيك عن اليمين يريد يسارك، والسانح ما يأتيك عن اليسار فيمر على اليمين»(١).

وقال ابن دريد: «السانح يتيمن به أهل نجد، ويتشاءمون بالبارح، ويخالفهم أهل العالية؛ فيتشاءمون بالسانح، ويتيمنون بالبارح»(٢).

٦- **الغراب:** وهو أعظم ما يتطيرون به، والقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد؛ فاسمه يوحي لهم بالغربة والبين، ويسمونه ـ أيضاً ـ حاتماً؛ لأنه يحتم عندهم بالفراق.

ويسمونه الأعور على جهة التطير بذلك؛ إذ كان أصح الطير بصراً، ويقال: سمي أعور؛ لقولهم: عوَّرت الرجل عن حاجته، إذا رددته عنها؛ فالغراب ـ على هذا ـ يعوِّر الحاجة، ويصد عن الوجهة.

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٢٩، وانظر العمدة ٢/ ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) العمدة ٢/ ٢٦٣.

* ومن أقوالهم التي يتطيرون فيها من الغراب قول النابغة الذبياني:

زعم البوارح أن رحلتنـا غـداً   وبذاك خبرنا الغـداف[١] الأسودُ

لا مرحـبـاً بغـدٍ ولا أهـلاً بـه   إن كان تفريق الأحبة في غَـدِ[٢]

ويروى الشطر الثاني من البيت الأول

. . . .   وبذاك تنعابُ الغرابِ الأسودِ[٣]

* وقال علقمة بن عبدة:

ومن تعرض للغربان يزجـرهـا   على سلامته لابـد مـشـؤوم[٤]

* وقال آخر:

يبشرني الغراب ببـيـن أهـلـي   فقلت له: ثكلتك من بـشـيـر

* وقال آخر:

مشائيم ليسوا مصلحين عشيـرة   ولا ناعـبٍ إلا ببين غرابـهـا[٥]

---

(١) الغداف: الغراب.

(٢) ديوان النابغة الذيباني ص١٠٥.

(٣) على الرواية الأولى يكون في البيت عيب عروضي وهو الإقواء، وهو الانتقال بحركة الروي المطلق من الكسر إلى الضم أو العكس، ويروى أن النابغة كان له قدر وجلالة في الجاهلية، فاستحيوا أن يواجهوه بخطئه، فلما قدم المدينة، أمروا جارية أن تنشد ذلك أمامه، ففطن لما وقع فيه، فغير في البيت حتـى أصبح مناسباً لما قبله وما بعده كما هو مذكور في الرواية الثانية.

(١) المفضليات للمفضل الضبي، تحقيق أحمد شاكر، وعبدالسلام هارون ص٤٠١.

(٢) هذا البيت يستشهد به النحاة على عطف التوهم، حيث جُرَّت كلمة «ناعب» المعطوفة على خبر ليس وهي كلمة (مصلحين) على توهم أن الباء دخلت على خبر ليس، فعطف بالجر على توهم ذلك.

وقد اعتذر أبو الشيص للغراب، وتطير بالإبل، فقال:

النـاس يَلْحَـون غـرا ... ب البـين لمـا جهلـوا

وما علـى ظهـر غـرا ... ب البـين تطـوى الرِّحَل

مـا فـرَّق الأحبـاب بعـ ... ـد الله إلا الإبـل

ومـا غـراب البيـن إلا ... نـاقـة أو جمـل[1]

٧- **الهامة**: فقد كان أهل الجاهلية يتشاءمون بها، وقد جاء الحديث عن مسعود مرفوعاً: «**لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر**»[2].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ: «قوله: «**ولا هامة**» بتخفيف الميم على الصحيح، قال الفراء: الهامة طير من طيور الليل. كأنه يعني البومة.

قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم، يقول: نَعَتْ إليَّ نفسي أو أحداً من أهل داري؛ فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله»[3].

٨- **الواق**: وهو الصرد، قال أحدهم يمدح منكر الطيرة:

وليس بهيـاب إذا شـد رحلـه ... يقول عدا في اليوم واق وحاتمُ

ولكنه يمضي على ذاك مقـدمـاً ... إذا حاد عن تلك الهِناتِ الختارمُ

(١) ديوان أبي الشيص ص٩٥-٩٦، صنعه عبدالله الجبوري، والعمدة ٢/ ٢٦١، والمحاسن والمساوئ لإبراهيم البيهقي ص٣٨١.

(٢) يأتي تخريجه بعد قليل.

(٣) فتح المجيد ٢/ ٥١٤-٥١٥.

ويعني بالواق: الصرد، والختارم: العاجز، الضعيـف الـرأي، المتطير[١].

٩- الثور المكسور القرن: قال الكميت ينفي الطيرة عن نفسه:

وما أنا ممن يزجر الطير هـمـه أصاح غراب أم تعرض ثعلـب
ولا السانحات البارحات عشيـة أمرَّ سليمُ القرن أم مرَّ أغضب[٢]

١٠- التطير ببعض الأسماء، وذوي العاهات: فبعضهم إذا سمع سفرجلاً، أو أهدي إليه تطير به: وقال: سفرٌ، وجلاءٌ، وإذا رأى ياسميناً، أو سمع اسمه تطير به، وقال: يأسٌ، ومَيْنٌ، وإذا رأى سوسنة، أو سمعها قال: سوءٌ يبقى سنة، وإذا خرج من داره فاستقبله أعور، أو أعمى، أو أشل، أو صاحب آفة تطير به، وتشاءم من يومه.

١١- التشاؤم بالأيام والشهور: حيث كان بعضهم يتشاءم ببعض الأيام كيوم الأربعاء، كما قال أحدهم:

يا للرجال ليـوم الأربـعـاء أمـا ينفك يحدث لي بعد النهى طربا

وكتشاؤم بعض العامة بالزواج ليلة الأحد؛ ولهذا يقل في بعض المناطق الزواج ليلة الأحد؛ لهذه الخرافة الدارجة؛ حيث يقولون: ليلة الأحد لا يريد أحداً أحدٌ .

ومن التطير بالأيام تطير بعض الناس في بعض المناطق باليوم الحادي

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٠ .

(٢) شرح هاشميات الكميت ص٤٤، ومفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٠ .

والعشرين من الشهر؛ حيث يزعمون أنه نكد على المسافر، أو مُؤْذِنٌ بموته، ويتطيرون بالمولود إذا ولد يوم الحادي والعشرين من الشهر زاعمين أنه شؤم يمحق المال والعيال، فيلقبونه: حادية؛ بمعنى أنـه يُهْلِكُ ما كان قِبَلَه، وكلما أصيب أحد والديه بمصيبة في نفس أو مال، أو عيال قال: من هذا الولد المشؤوم!.

ومن ذلك تطيرهم بكنس دار المسافر يوم سفره، أو سفر أحـد عياله، أو مواشيه؛ زاعمين أن ذلك سبب في هلاكه!

ويتطيرون بكنس الدار ليلاً أو نهاراً؛ زاعمين أن ذلك سبب في محق البركة والرزق[1].

ومن التشاؤم بالشهور تشاؤم أهل الجاهلية بشهر صفر، وبشهـر شوال في النكاح خاصة[2].

وقد أبطل الإسلام هذا الزعم، فعن ابن مسعود مرفوعاً «**لا عدوى ولا طيـرة، ولا هامة، ولا صفر، خلق الله كل نفـس، وكتب حياتها، ومصائبها، ورزقها**»[3].

---

(١) انظر الإيضاحات السلفية لبعض المنكرات والخرافات الوثنية للشيخ عبدالله بن سعدي الغامدي العبدلي ص٤٦-٤٧.

(٢) انظر لطائف المعارف لابن رجب ص١١٤.

(٣) رواه أحمد ١/ ٤٤٠، والترمذي (٢١٤٤)، وأبو يعلى في المسند (٥١٨٢)، وأخرجه أحمد من حديث أبي هريرة ٢/ ٣٢٧، وأصله عند البخاري (٥٧١٧-٥٧٧٠-٥٧٧٥)، ومسلم (٢٢٢٠).

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ: «قوله: **«ولا صفر»** بفتح الفاء، روى أبو عبيدة في غريب الحديث عن رؤبة أنه قال: هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وهي أعدى من الجرب عند العرب.

وعلى هذا فالمراد بنفيه: ما كانوا يعتقدونه من العدوى.

وممن قال بهذا سفيان بن عيينة، والإمام أحمد، والبخاري، وابن جرير.

وقال آخرون: المراد به شهر صفر، والنفي لِمَا كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفراً مكانه، وهو قول مالك.

وروى أبو داود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول: إن أهل الجاهليـة يتشاءمون بصفر، ويقولـون إنه شهر مشؤوم؛ فأبطـل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك[(١)].

قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال، والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بيوم مـن الأيـام كيوم الأربعاء، وتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح خاصة»[(٢)].

وكما أن هناك من يتطير بشهر صفر فهناك من يعكس ذلك، فتراه إذا ذكر شهر صفر قال: صفر الخير.

---

(١) أبو داود (٣٩١٥).

(٢) فتح المجيد ٢/ ٥١٥، وانظر لطائف المعارف ص٧٤.

والحقيقة أن الباطل لا يرد بباطل؛ فصفر كغيره لا يقال في حقه صفر الشر، ولا صفر الخير.

١٢- **التشاؤم ببعض الأرقام:** وهذا معروف عند المُحْدثين وخاصة عند الغربيين، حيث يتشاءمون من بعض الأرقام، وأشهر رقم يتشاءمون به هو الرقم (١٣) ولذلك حذفته بعض شركات الطيران من ترقيم المقاعد، وحذفته بعض العمارات من أرقام الشقق؛ لأن الناس يتشاءمون مــن ذلك الرقم.

ويقال: إن قصة ذلك سببها خرافة نصرانية تزعم أن حواريِّي عيسى ـ عليه السلام ـ عددهم اثنا عشر حوارياً، فانضم إليه يهوذا الأسخريوطي فصاروا ثلاثة عشر.

وهذا الأخير هو الذي وشى بعيسى ـ عليه السلام ـ وتسبب في صلبه؛ فلذلك يكرهون هذا الرقم، ويتشاءمون منه.

وهذه خرافة ظاهر بطلانها؛ ذلك أن الأرقام لا تقدم ولا تؤخر، ولأن عيسى ـ عليه السلام ـ لم يصلب، ولم يقتل، بل رفعه الله إليه.

* ومن الأرقام التي يتشاءم بها الجهلة الرقم (١٠) فالشيعة يكرهون التكلم بلفظ العشرة، أو فعل شيء يكون عشرة، حتى في البناء لا يبنون على عشرة أعمدة، ولا بعشرة جذوع ونحو ذلك؛ لكونهم يبغضون خيار الصحابة، وهم العشرة المشهود لهم بالجنة إلا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ.

ومعلوم أنه لو كان في العالم عشرة من أكفر الناس لم يجب هجر هذا الاسم لذلك السبب.

ومن العجب أنهم يوالون لفظ التسعة، وهم يبغضون التسعة من العشرة إلا علياً[(١)].

وفي مقابل ذلك نجد أن بعض الطوائف الضالة تعظم بعض الأرقام وتقدسها؛ فمن معتقدات الفرقة البابية الضالة تقديس الرقم (١٩) فهم يقدسونه، ويجعلون عدد الشهور ١٩ شهراً، وعدد أيام الشهر ١٩ يوماً.

والبابية تأمر معتنقيها بإبقاء الأموات في البيت ١٩ يوماً وليلة، وتفرض زيادة على ذلك ألا يبتعد عنها أحد من أهل بيتها.

والصلاة عندهم ١٩ ركعة، والصيام ١٩ يوماً من كل سنة في شهر العلاء، وحد السارق أن تحرم عليه زوجته ١٩ يوماً، ويدفع ١٩ مثقالاً من الذهب إلى علماء البابية؛ ليقدموها إلى المسروق منه.

والعيد عندهم هو عيد النيروز ومُدَّته ١٩ يوماً[(٢)].

١٣- فتح الآي: وهذا نوع من التطير، حيث يفتح أحدهم المصحف؛ فيتفاءل، أو يتشاءم بأول آية يراها؛ فإذا رأى آية وعيد وعذاب تشاءم، وإذا رأى آية رحمة أو جنة تفاءل.

قال الماوردي - رحمه الله -: «وحكي أن الوليد بن يزيد ابن عبدالملك

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٣٨.

(٢) انظر البابية للكاتب ص٢٥-٢٩.

تفاءل يوماً في المصحف، فخرج له قوله - تعالى -: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥] فمزَّق المصحف، وأنشأ يقول:

أتــوعِـدُ كــل جـبــار عــنــيــد فــهــا أنــذاك جـبــار عــنــيــد
إذا ما جئت ربك يــوم حــشــر فقل: يــا ربِّ مزقني الــولــيــد

فلم يلبث إلا أياماً حتى قُتل شر قتلة، وصلب رأسه على قصره، ثم على سور بلده، فنعوذ بالله من البغي، ومصارعه، والشيطان ومكائده، وهو حسبنا، وعليه توكلنا»[1].

١٤- **التطير بأهل الصلاح**: كحال كثير من أعداء الإسلام من الملحدين والمنافقين قديماً وحديثاً؛ حيث يظنون أن ما يصيبهم من بلاء وشر إنما هو بسبب أهل الخير والصلاح، كما أخبر الله - عز وجل - عن أوائلهم أنهم تطيروا بالمرسلين كما في قوله - تعالى - عن أصحاب القرية التي جاءها المرسلون: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٨ , ١٩] هذا وقد مر تفسير الآية عند الحديث عن إبطال الإسلام للطيرة.

١٥- **التطير بالمصائب والبلايا**: فمن الناس من إذا أصيب بمصيبة أو بلية مهما كان نوعها من مرض، أو خسارة، أو نحو ذلك ظن أنهــا قاصمة ظهره، وأنه ضربة لازب لن تبارحه.

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٣١٧.

وإذا أصيب بعض ولده بمرض ما ظن أن ذلك المرض لن يشفى منه، وقام في قلبه شعور أن الأيام ستسود في وجهه، وأن العـيـش سيضيق عليه، وأن الشفاء بعيد كل البعد عنه.

إلى غير ذلك من الأوهام التي تقوم في الأذهان الحائرة المبلبلة، فتصدها عن الخير، وتحول بينها وبين السعادة.

وإلا فإن العاقل الرشيد يعلم أن قدر الله نافذ، وأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، وأن الذي ابتلى بالضر قادر على كشفه.

١٦- **التشاؤم من أحوال المسلمين المزرية:** فمن الناس من إذا رأى ما عليه الباطل من صولة، وجولة، وما عليه أهل الحق من ضعـف وتخاذل، وحطة، وذلة، وتبعية للأعداء ـ تطير من ذلك، وتشاءم من المستقبل، ويأس من إصلاح الأحوال، وظن أن الباطل سيستمر وأن الحق وأهله إلى زوال واضمحلال.

وهذا المسلك جد خطير، وهو مما يعتري النفوس التي ضعف إيمانها، وقل يقينها.

وهو مخالف لما جاء به الشرع المطهر، ومناقض لما أخبر الله به من أن العاقبة للتقوى وللمتقين؛ فمن ظن تلك الظنون فقد ظن بربه السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بجلاله، وكماله، وصفاته؛ فإن حمده، وعزته، وحكمته، وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة والغلبة لأعدائه.

ومن ظن تلك الظنون فما عرف الله حقاً، ولا عرف ربوبيته، وملكه،

وعظمته؛ إذ لا يجوز في حقه شرعاً ولا عقلاً أن يظهر الباطل على الحق، بل إنه يقذف بالحق على الباطل فإذا هو زاهق.

فالمؤمن بالله وقدره، العالِمُ بسننه في كونه لا تراه إلا متفائلاً في جميع أحواله، منتظراً الفرج من ربه، عالماً بأن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسراً؛ فلا يتسلل اليأس إليه مهما احلولكت ظلمة الباطـل؛ فاعتماد القلب على قدرة الله، ولطفه، وكرمه يستأصل جراثيم اليأس، ومنابت الكسل، ويشد ظهر الأمل الذي يلج به الساعي أغوار البحار العميقة، ويقارع به السباع الضارية في فلواتها.

كيف لا وهو يعلم بأنه الله قد كتب النصر في الأزل، وأن كلمته قد سبقت بأن العاقبة للتقوى وللمتقين، وأن جنده هم الغالبون، وهم المنصورون، وأن الأرض يرثها عباده الصالحون!.

أما ما يُشاهد من تسلط الكـفار واستعلائهم فإنما ذلك استعـلاء استثنائي، وذلك استدراجاً وإملاءً من الله لهم، وعقوبة للأمة المسلمة؛ بسبب بعدها عن دينها.

ثم إن سنة الله ماضية فـ: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

وهذه الأمة تذنب، وتعاقب بذنوبها عقوبات متنوعة؛ كي تعود إلى رشدها، وتؤدب إلى ربها؛ فتأخذ مكانها اللائق بهـا ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وهذه الأمة أمة مرحومة؛ تعاقب في هذه الدنيا حتى يخف العذاب عنها في الآخرة، أو يغفر لها بسبب ما أصابها من بلاء.

إنكار الطيرة عند بعض العرب[1]

من العرب من أنكر الطيرة بعقله، وأبطل تأثيرها بنظره، وذمَّ من اغترَّ بها، واعتمد عليها، وتوهم تأثيرها.

* قال أحدهم:

ولقد غدوت وكنت لا ... أغدو على واقٍ وحاتم
فإذا الأشائم كالأيا ... منِ والأيامنُ كالأشائم
وكذاك لا خير ولا ... شر على أحد بدائم
لا يمنعنَّك من بغا ... ء الخير تعقاد التمائم
لا والتشاؤم بالعطا ... سِ ولا التيامنُ بالمقاسم
قد خط ذلك في السطو ... ر الأوَّلِيَّات القدائم[2]

* وقال جهم الهذلي:

ألم تر أن العائفين وإن جرت ... لك الطير عما في غدٍ عميانِ
يظنان ظنّاً مرة يخطيانه ... وأخرى على بعض الذي يصفان
قضى الله أنْ لا يعلم الغيب غيره ... ففي أي أمر الله يمتريان[3]

---

(١) انظرأدب الدنيا والدين ص٣١٥، والعمدة ٢/ ٢٦٢، ومفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٠.

(٢) العمدة ٢/ ٢٦٢ .

(٣) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٠ .

* وقال لبيد بن أبي ربيعة - رضي الله عنه -:

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع
سَلُوهُنَّ إن كذَّبتموني متى الفتى يذوق المنايا أو متى الغيثُ واقع[1]

* وقال آخر:

تَـعَـلَّـمْ أنـه لا طـيـر إلا على متـطـيـر وهـي الـثـبـور
بلى شيء يوافق بـعـض شـيء أحايـيـنـا وبـاطـلـه كـثـيـر[2]

* وقال آخر:

طيـرة الـنـاس لا تـرد قـضـاءً فاعذر الـدهـر لا تَشُـبْه بلـومِ
أي يـومٍ تـخـصـه بـسـعـود والمنايا ينـزلـن فـي كـل يـوم
ليـس يـوم إلا وفـيـه سـعـود ونحوس تجري لقـوم وقـوم[3]

* * *

(١) ديوان لبيد بن ربيعة ص ٩٠.
(٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣١ .
(٣) أدب الدنيا والدين ص ٣٥١.

التوجيه لما يقع من الطيرة [١]

فقد يقول قائل: إن هناك وقائع تدل على وقوع الطيرة لمن تَطَيَّر، أو تُطُيِّر له، فما التوجيه لذلك؟

والجواب: أن الوقائع التي تذكر، وتدل على وقوع الطيرة صحيحة كثيرة.

ولا ينكر موافقة القضاء لهذه الأسباب؛ وذلك لأن البلاء موكل بالمنطق، ولأن الطيرة على من تطير، والله ـ عز وجل ـ نصب لها أسباباً تدفعها من التوكل عليه، وحسن الظن به، وإعراض القلب عن غيره.

ثم إن أكثر ما يتطير به لا يقع، ولكن الناس ينقلون ما صح وما وقع، ويعتنون به؛ فيُرى كثيراً مع أن الكاذب أكثر من أن ينقل.



(١) انظر مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٦١.

التوجيه لحديث: «إذا كان الشؤم ففي ثلاث...»

قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**الشؤم في الدار، والمرأة، والفرس**» متفق عليه[1].

وفي لفظ في الصحيحين: «**لا عدوى، ولا طيرة، وإنما الشؤم في ثلاثة: المرأة، والفرس، والدار**»[2].

وجاء في الصحيحين ـ أيضاً ـ: «**إن يكن من الشؤم شيء حقاً ففي الفرس، والمرأة، والدار**»[3].

وقد وردت أحاديث كثيرة على هذا النحو، والأحاديث المذكورة جاءت على وجهين:

أحدهما: بالجزم كما في الحديث الأول والثاني.

وثانيهما: جاء بصيغة الشرط كما في الحديث الثالث.

وهذه الأحاديث لا تدل على الطيرة، ولا تعارض الأحاديث التي جاءت بنفي الطيرة.

*** ومما قاله العلماء في توجيه هذه الأحاديث ما يلي**[4]:

١ - قالت طائفة: شؤم الدار ضيقها ومجاورة جار السوء، وشؤم الفرس

---

(١) البخاري (٥٠٩٣) و (٥٧٧٢)، ومسلم (٢٢٢٥).

(٢) البخاري (٢٠٩٩)، و (٢٨٥٨)، و(٥٧٥٣)، ومسلم (٢٢٢٥).

(٣) البخاري (٥٠٩٣) ومسلم (٢٢٢٥).

(٤) انظر مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٥٣-٢٥٧، والآداب الشرعية ٣/ ٣٥٩

ألا يُغْزى عليها في سبيل الله، وقيل: حرانها، وغلاء ثمنها، وشؤم المرأة عدم ولادتها، وسلاطة لسانها، وسوء خلقها، وتعرضها للريب.

٢- **وقالت طائفة:** هذا مستثنى من الطيرة، أي أن الطيرة منهي عنها إلا أن يكون له دار يكره سكناها، أو امرأة يكره صحبتها، أو فـرس أو خادم؛ فليفارق الجميع بالبيع، والطلاق، ونحوه، ولا يقيم على الكراهة والتأذي؛ فإنه شؤم.

٣- **وقالت طائفة:** الشؤم في هذه الثلاثة إنما يلحق من تشاءم بها وتطير؛ فيكون شؤمها عليه، ومن توكل على الله، ولم يتشاءم، ولم يتطير - لم تكن مشؤومة عليه.

قالوا: ويدل عليه حديث أنس: «**الطيرة على من تطير**».

وقد يجعل الله تطير العبد وتشاؤمه سبباً لحلول المكروه كما يجعل الثقة به، والتوكل عليه، وإفراده بالخوف، والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر المتطير به.

٤- **وقالت طائفة:** معنى الحديث: إخباره عن الأسباب المثيرة للطيرة، الكامنة في الغرائز.

يعني أن المثير لغرائز الناس هي هذه الثلاثة؛ فأخبرنا بهذا؛ لنأخذ الحذر منها.

٥- **قال ابن القيم - رحمه الله -:** «وبالجملة فإخباره - صلى الله عليه وسلم - بالشؤم أنه يكون في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها.

وإنما غايته أن الله ـ سبحانه ـ قد يخلق منها أعياناً مشؤومة على من قاربها، وسكنها، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منه شؤم ولا شر.

وهذا كما يعطي ـ سبحانه ـ الوالدين ولداً مباركاً يريان الخير على وجهه، ويعطي غيرهما ولداً مشؤوماً نذلاً يريان الشر على وجهه.

وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية أو غيرها فكذلك الدار، والمرأة، والفرس.

والله ـ سبحانه ـ خالق الخير والشر، والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعوداً مباركة، ويقضي سعادة من قارنها، وحصول اليُمْن له، والبركة.

ويخلق بعض ذلك نحوساً يتنحس بها من قارنها.

وكل ذلك بقضاء الله وقدره؛ كما خلق الأسباب، وربطها بمسبباتها المتضادة المختلفة؛ فكما خلق المسك وغيره من حامل الأرواح الطيبة، ولَذَّذ بها من قارنها من الناس، خلق ضدها، وجعلها سبباً لإيذاء من قارنها من الناس.

والفـرق بين هذين النوعين يدرك بالحس؛ فكذلك في الديار، والنساء، والخيل؛ فهذا لون، والطيرة الشركية لون آخر»[1].

❀ ❀ ❀

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٥٧.

من الذي تضره الطيرة؟ ومن الذي يسلم منها؟

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «واعلم أن التطير إنما يضر من أشفق منه، وخاف.

وأما من لم يبال به ويعبأ به شيئاً لم يضره البتة، ولا سيما إذا قال عند رؤية ما يتطير به أو سماعه: «**اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**».

فالطيرة باب من الشرك، وإلقاء الشيطان، وتخويفه، ووسوسته يكبُر، ويعظُم شأنها على من أتبعها نفسه، واشتغل بها وأكثر العناية بها.

وتذهب وتضمحل عمن لم يلتفت إليها، ولا ألقى إليها بالَه، ولا شغل بها نفسَه وفكرَه».

إلى أن قال: «واعلم أن من كان معنياً بها، قائلاً بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتَّحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه، ويراه، ويعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينَه، وينكِّد عليه عيشَه».

إلى أن قال: «ومن كان هكذا فالبلايا إليه أسرع، والمصائب به أعلق، والمحن به ألزم، بمنزلة صاحب الدَّمَّلِ[1] والقُرحةِ الذي يُهدى

---

(١) الدمل: واحد دماميل، والدمل الخُرَّاج.

إلى قرحته كلُّ مؤذٍ، وكل مصادم؛ فلا يكاد يصدم من جسده، أو يصاب غيرها»[١].

وقال الماوردي ـ رحمه الله ـ: «واعلم أنه قلما يخلو من الطيرة أحد لاسيما من عارضته المقادير، وصدته عن طِلْبَته؛ فهو يرجو واليأس عليه أغلب، ويأمل والخوف إليه أقرب؛ فإذا عاقه القضــاءُ، وخانه الرجاء جعل الطيرةَ عُـذْرَ خيبتهِ، وغَفَـل عن قضاء الله ـ عز وجل ـ ومشيئته.

فإذا تطير أحجم عن الإقدام، ويئس من الظفر، وظن أن القياس فيه مطَّرد، وأن العبرة فيه مستمرة، ثم يصير ذلك له عادة؛ فلا ينجح له سعي، ولا يتم له قصد.

فأما من ساعدته المقادير، ووافقه القضاء فهو قليل الطيرة؛ لإقدامه؛ ثقة بإقباله، وتعويلاً على سعادته؛ فلا يصده خوف، ولا يكفه حزن، ولا يؤوب إلا ظافراً، ولا يعود إلا مُنْجِحاً؛ لأن الغُنْم بالإقدام، والخيبة مع الإحجام؛ فصارت الطيرة من سمات الإدبار، واطراحها من أمارات الإقبال؛ فينبغي لمن مُني بها وبُلي أن يصرف عن نفسه وساوس النوكى[٢]، ودواعي الخيبة، وذرائع الحرمان، ولا يجعل للشيطان سلطاناً في نقض عزائمه، ومعارضته خالقه، ويعلم أن قضاء الله ـ تعالى ـ عليه غالب،

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٠-٢٣١.

(٢) النوكى: جمع أنوك، وهو الأحمق؛ فالنوكى: الحمقى وزناً ومعنى.

وأن رزقه له طالب، إلا أن الحركة سبب؛ فلا يثنيه عنها ما لا يضر مخلوقاً، ولا يدفع مقدوراً، وليمض في عزائمه، واثقاً بالله ـ تعالى ـ إن أعطى، وراضياً به إن منع»[1].



---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٣١٥-٣١٦.

حالــة المتطــير

المتطير إنسان ضيِّق الصدر، مغلق النفس، فاتر الهمة، ثقيل الظل، كسول متبلد، لا تحدوه غاية، ولا يدفعه هدف.

والمتطير ضيق الأفق، جبان رعديد، يشتد فزعه من الحـوادث التافهة، ويغضب أشد الغضب لأدنى تصرف لا يروقه.

والمتطير يعيش في عالم الخيال، والأحلام والأوهام ويشعر دائماً بالخيبة، والخسارة والخذلان.

والمتطير مولع بالعبوس، مُغـرىً بالنكد؛ فإذا سمع كلمة سيئة أوّلها أسوأ تأويل، وحملها على أسوأ محمل، فتراه بعد ذلك وقـد اسودت الدنيا في نظره، ثم هو يسوِّدها على من حوله.

والمتطير لديه قدرة على المبالغة في الشر؛ فتراه يجعل من الحبة قبة، ومن البذرة شجرة، وليس عنده قدرة على الخير، ولا على تحرِّيه، فلا تراه يفرح بما أوتي ولو كان كثيراً، ولا ينعم بما نال ولو كان عظيماً.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «والمتطير متعب القلب، مُنَكَّد الصدر، كاسف البال، سيئ الخلق، يتخيل من كل ما يراه أو يسمعه، أشـدُّ الناس خوفاً، وأنكدهم عيشاً، وأضيق الناس صدراً، وأحزنهم قلباً، كثير الاحتراز والمراعاة لما لا يضره ولا ينفعه، وكم قد حرم نفسـه بذلك من حظ، ومنعها من رزق، وقطع عليها من فائدة»[١].

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣١.

نموذج من شعر التشاؤم عند المُحْدثين

يكثر في شعر المحدثين نزعة التشاؤم، والإغراق في النظر إلى الجانب المظلم من الحياة، وتظهر هـذه النزعة عنـد شعراء الاتجاه الرومانسي.

ومن اشتهر بهذه النزعة في العصر الحديث الشاعر حمد الحجي ـ رحمه الله ـ ومن قصائده في هذا الشأن قوله في هذه القصيدة التي يبين فيها ما جرَّه عليه التشاؤم من البؤس والشقاء، يقوله:

أأبقى على كرِّ الجديدين في جوىً ... ويسعـد أقـوامٌ وهم نـظـرائـي
ألست أخاهم قـد فُطِرنا سويـةً ... فكيف أتاني في الحياة شقائـي
أرى خَلقهم مثلي وخلْقيَ مثلهم ... وما قصَّرت بي همتي وذكائـي
يسيرون في درب الحياة ضواحكاً ... على حين دمعي ابتل منه ردائي
أكان لساني إذ نطقـت مُـلَعثَماً ... وكانوا إذا ناجوا من الفصحـاء
وهل كنت إما أشكل الأمر عاجزاً ... وكانوا لدى الجلَّى من الحكماء

إلى أن يقول:

وهل ضربوا في الأرض شرقاً ومغرباً ... وكنت مَلَلْتُ اليـومَ طولَ ثُوائي
وهل كلهم أوفوا بكل عهودهم ... ومن بينهم قد غاضَ ماءُ وفائي
بلى أخذوا يستبشرون بعيشهـم ... سواي فقد عاينت قـربَ بلائي
وهم نظروا في الكون نظرةَ عابرٍ ... يمر على الأشـيـاء دون عـنـاء
وأصبحت في هذ الحياة مفكراً ... فجانبت فيها لذتـي وهـنـائـي

ثم يقول بعدَ ذلك محذراً من التشاؤم، حاثاً على التفاؤل، والنظر إلى الجانب المشرق من الحياة:

ومن يطل التفكير يوماً بما أرى ... من الناس لم يَرْتَحْ ونال جزائي
ومن يمشِ فوق الأرض جذلان مظهراً ... بشاشته يَمْرُرْ بكل رُواءِ
تُغني على الدَّوح الوَريق حمامةٌ ... فيحسبه المحزون لَحْنَ بكاءِ
وتبكي على الغصن الرطيب يظنها ... حليف الهنا تُشجي الورى بغناءِ
ألا إنما بشر الحياة تفاؤلٌ ... تفاءلْ تَعِشْ في زمرة السعداء[1]

* ويقول في قصيدة أخرى:

يا إلهي أظلم الكون فلم ... تَرَ عيني في دجاه ألقا[2]
أمل يخبو وقلب يرتمي ... فوق أشواق الضنى منسحقا
ومساء ليس فيه نجمه ... وصباح نبعه ما اندفقا
ظلمات اليأس ما فيها سوى ... جمرة فيها فؤادي احترقا
أعشق الشمس فيا ويح فتى ... في بلادٍ للضحى قد عشقا
سوف يحيا في صراع والمنى ... والردى عن دربه ما افترقا
يا لعيني من تصاريف النوى ... يا لروحي من تباريح الشقا
كفني يا شمس مني هيكلاً ... كفنيه هيكلاً محترقا
وادفنيه جانب النهر فقد ... يتلقى الصبح غصناً مورقا

---

(١) الشاعر حمد الحجي. تأليف د. محمد بن سعد بن حسين ص ١٦-١٧.
(٢) الألق: الالتماع.

إيه يا دنيا اعبسي أو فابســمــي ... إن كأسـاً بالأسى قـد فَـهِقـا[1]
يا حياتي ما الذي فـيـك يـرى ... يبهج النفس ويغري بالـبـقـا[2]

* ويقول في قصيدة أخرى:

إن نظـرتُ الجمال غضـاً طرياً ... يتجلى في المنـظـر الـخـلاب
لاح لي أسود المصير كمـســو ... دِّ اللـيـالـي مُكَـشِّر الأنـيـاب

إلى أن يقول:

ألحظ القاتم المرير من العـيــ ... ـش وأبكي على الضياء الخابي
وإذا لاح لـيْ البهـاء وضـيـئـاً ... قلت: يا دهر ليس ذا من حسابي
وإذا أُعـجـب الأنـام بـشــيء ... بتُّ منه في موقف الـمـرتـابِ
هكذا أصحب الـحـيـاةَ فؤادي ... في عناء وللشقـا ذو تـصـابـي
إن تغنت حمائم ملت عـنـهـا ... ثم أرهفت مسمعي لـلـغـرابِ
لا أرى في الهضاب إلا وحوشاً ... أين مني ما يزدهي في الهضاب[3]

إلى آخر ما قال في قصيدته الطويلة التي يدور أكثرها حول هذه المعاني.

❀ ❀ ❀

---

(١) الفهق: الامتلاء.

(٢) الشاعر حمد الحجي ص٢٩-٣٠.

(٣) الشاعر حمد الحجي ص٤٢-٤٤.

حالــة المتفائــل

التفاؤل ـ كما مرَّ ـ يبعث الهمة، ويدعو إلى اطراح الكسل، وإلى الإقبال على الجد والعمل.

والمتفائل واسع النظرة، فسيح الصدر، عالي الهمة، موفور النشاط؛ فتفاؤله يزيده قوة إلى قوته؛ فيكون أقدر على الجد، وحسن الإنتاج، ومقابلة الصعاب من الرجل المتشائم المنقبض الصدر، الممتلئ بالهم، والغم.

والتجربة خير شاهد على أن المتفائلين خير الناس صحة، وأقدرهم على الجد والنشاط، وأقربهم إلى النجاح والفلاح، وأكثرهم سعادة، واستفادة مما في أيديهم ولو كان قليلاً.

فالتفاؤل يضيء الحياة، ويعين على احتمال متاعبها؛ فالعمل الشاق العسير يَخِفُّ حِمْلُه بالنفس المشرقة المتفائلة.

ومن النعم الكبرى على الإنسان أن يعتاد النظر إلى الجانب المشرق في الحياة لا المظلم منها، وأن يمنح القدرة على السرور والتفاؤل.

ثم إن المتفائلين ليسوا أسعد الناس حالاً لأنفسهم ومن حولهم فحسب، بل هم مع ذلك أقدر على العمل، وأكثر احتمالاً للمسؤولية، وأصلح لمواجهة الشدائد، ومعالجة الصعاب، وأجدر بالإتيان بعظائم الأمور التي تنفعهم وتنفع الناس؛ فذو النفس المشرقة يرى الصعاب، فيلذه التغلب عليها، ينظرها فيبتسم، ويعالجها فيبتسم، وينجح فيبتسم،

ويخفق بعد فعل الأسباب فيبتسم.

ومن أحكم ما قالته العرب:

ولربما ابتسم الكريم من الأذى وفـؤاده مـــن حَـــرِّهِ يـتـــأوَّهُ

والمتفائل رجل شجاع؛ فلا تراه يفكر في احتمال الشر كثيراً ثم إن وقع لم يطر له قلبه شعاعاً.

بل يصبر، ويتحمله بثبات، إن مرض لم يضاعف مرضه بوهمه، وإن نزل به مكروه قابله بجأش رابط فخفَّف حدَّته؛ فمن الحكمة والعقل ألا يجمع الإنسان على نفسه بين الألم بتوقع الشر، والألم بحصول الشر؛ فليسعد ما دامت أسباب الحزن بعيدة عنه، فإذا حدثت فليقابلها بشجاعة واعتدال.

قال أبو علي الشبل:

ودع التوقع لـلـحـوادث إنـهـا للحي من قبل الممات مـمـاتُ



عــلاج الطيــرة

الطيرة داء عضال، وسمٌّ قتَّال؛ لما لها من الأثر على عقل المتطير، ودينه، وخلقه.

ولكن علاجها ـ بحمد الله ـ ميسور لمن أراده، وسعى له سعيه.

ولقد مرَّ شيء من ذلك في ثنايا الصفحات الماضية، وفيما يلي ذكر لبعض العلاجات لمن وقع في الطيرة.

١- **استحضار ضرر الطيـرة:** فهي نقص في العقل، وفساد فـي التصور، وانحراف عن سوء الصراط.

وهي موجبة لانقباض النفس، وسوء الخلق، وفوات الخير.

وهي من كيد الشيطان، وتخويفه، ووسوسته، وإغوائه.

وهي مفسدة للتدبير، منغصة للعيش، مسببة للخذلان.

وأعظم من ذلك أن الطيرة باب إلى الشرك؛ إذ هي منازعة لله في شرعه وقدره، وهي مفضية إلى أبواب الدجل والخرافة.

فإذا استحضر العاقل ضرر الطيرة أقصر عنها، ولم يعد يلتفـت إليها.

٢- **المجاهـدة:** فقد تكون الطيرة مستحكمة في الإنسان، متمكنة من عقله.

وعلاج ذلك بالمجاهدة، وترك الاسترسال مع ما يلقيه الشيطان في رُوعه، وبتكلف ذلك مرة إثر مرة حتى يزول أثر الطيرة من قلبه.

٣- الإيمان بالقضاء والقدر: وذلك بأن يعلم الإنسان علم اليقين بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه لن يصيبه إلا ما كتب له؛ فذلك يحسم مادة الطيرة، ويزيل أثرها من القلب؛ فمن سلم لله، واستسلم له لم يبق للخوف في قلبه موضع.

«وفي التسليم ـ أيضاً ـ فائدة لطيفة، وهي أنه إذا سلمها لله فقد أودعها عنده، وأحرزها في حرزه، وجعلها تحت كنفه؛ حيث لا تنالها يدُ عدوٍّ عادٍ، ولا بغي باغٍ عاتٍ»[1].

٤- إحسان الظن بالله: فذلك موجب لراحة القلب، وطمأنينة النفس، فالله ـ عز وجل ـ عند ظن العبد به؛ فالمؤمن الحق يحسن ظنه بربه، ويعلم بأنه ـ عز وجل ـ لا يقضي قضاء إلا وفيه تمام العدل، والرحمة، والحكمة؛ فلا يتهم ربَّه فيما يجريه عليه من أقضيته وأقداره.

وذلك يوجب له استواء الحالات عنده، ورضاه بما يختار له سيده، كما يوجب انتظار الفرج، وترقُّبه.

وذلك يخفف حمل المشقة، ولا سيما مع قوة الرجاء، أو القطع بالفرج؛ فإنه يجد في حشو البلاء من رَوْح الفرج ونسيمه وراحته ما هو من خفي الألطاف، وما هو فرج مُعَجَّل.

٥- التوكل على الله ـ عز وجل ـ: والتوكل في لسان الشرع إنما يراد به توجه القلب إلى الله حال العمل، واستمداد المعونة منه، والاعتماد

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٢.

عليه وحده؛ فذلك سر التوكل وحقيقته.

والشريعة أمرت العامل بأن يكون قلبه مطوياً على سراج من التوكل والتفويض، والذي يحقق التوكل هو القيام بالأسباب المأمور بهـا؛ فمن عطَّلها لم يصحَّ توكله.

فإذا توكل العبد على ربه، وسلم له، وفوض إليه أمره ـ أمده الله بالقوة، والعزيمة، والصبر، وصرف عنه الآفات التي هي عُرْضَةُ اختيار العبد لنفسه، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.

وهذا يريحه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات، ويفرغ قلبه من التقديرات، والتدبيرات التي يصعد منها في عقبة، وينزل في أخرى.

ومتى صح تفويضـه، ورضاه اكتنفه في المقدورِ العطفُ عليه، واللطف فيه؛ فيصير بين عطفه ولطفه؛ فعطفه يقيه ما يحذره، ولطفه يهوِّن عليه ما قدِّر له.

ومع هذا فلا خروج للعبد عما قدر عليه؛ فلو رضي باختيار الله أصابه القدر وهو محمود، مشكور، ملطوف به.

وإلا جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به.

وصدق الله إذ يقول: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٦- **الاستعاذة بالله:** فالطيرة ـ كمـا مر ـ من وساوس الشيطـان، وتخويفه.

فإذا استعاذ الإنسان بالله من الشيطان أعاذه الله منه، ووقاه من كيده ووسوسته.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

٧- **استعمال الاستخارة:** فالاستخارة علاج نبوي ناجع لمن تعارضت عنده الأمور، وصعب عليه الاختيار؛ فحري بمن أراد الإقدام على أمر يترتب عليه ما يترتب ألا يستهين بأمر الاستخارة؛ فهي تفتح له الأبواب، وتزيل عنه الحيرة، والتردد والاضطراب؛ فإذا أقدم على أمره ـ أقدم ونفسه مطمئنة، وإذا أحجم أحجم وقد طابت نفسه منه.

ولهذا كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم أصحابه الاستخارة.

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن يقول: «**إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني، ومعاشي، وعاقبة أمري، أو قال: في عاجل أمري وآجله ـ فاقدره لي.**

وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي، وعاقبة أمري، أو قال: في عاجل أمري، وآجله ـ فاصرفه عني، واصرفني عنه،

واقدر لي الخير حيث كان، ثم رَضِّني به، ويسمي حاجته»[١].

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «الاستخارة هي استفعال من الخير، أو من الخِيَرة بكسر أوله وفتح ثانيه بوزن العِنبة: اسم من قولك: خار الله له.

واستخار الله: طلب منه الخِيَرة، وخار الله له: أعطاه ما هو خير له.

والمراد طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما»[٢].

قال النووي ـ رحمـه الله ـ: «وقال العلماء: تستحب الاستخـارة بالصلاة، والدعاء المذكور، وتكون الصلاة ركعتين من النافلة، والظاهر أنها تحصل بركعتين من السنن الرواتب، وبتحية المسجد، وغيرهـا من النوافل، ويقرأ في الأولى بعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ①﴾، وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾.

ولو تعذرت عليه الصلاة استخار بالدعاء»[٣].

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «وأفاد النووي أنه يقرأ في الركعتين: الكافرون، والإخلاص.

قال شيخنا في شرح الترمذي: لم أقف على دليل ذلك، ولعله ألحقهما بركعتي الفجر، والركعتين بعد المغرب.

---

(١) رواه البخاري (٦٣٨٢).

(٢) فتح الباري لابن حجر ١١/ ١٨٧.

(٣) الأذكار للنووي ص١١٠-١١١.

قال: ولهما مناسبة بالحال؛ لما فيهما من الإخلاص والتوحيد، والمستخيرُ محتاجٌ لذلك»[١].

وقال ابن حجر - رحمه الله -: «قال ابن أبي جمرة: الحكمة في تقديم الصلاة على الدعاء أن المراد بالاستخارة حصول الجمع بين خيري الدنيا والآخرة؛ فيحتاج إلى قرع باب الملك، ولا شيء لذلك أنجع ولا أنجح من الصلاة؛ لما فيها من تعظيم الله، والثناء عليه، والافتقار إليه مآلاً وحالاً»[٢].

قال النووي - رحمه الله -: «ثم إن الاستخارة مستحبة في جميع الأمور، كما صرح به نص هذا الحديث الصحيح، وإذا استخار مضى بعدها لما ينشرح له صدره، والله أعلم»[٣].

هذه بعض الأمور المعينة على علاج الطيرة، بل والوقاية منها لمن لم يقع فيها.



(١) فتح الباري ١١/ ١٨٩.

(٢) فتح الباري ١١/ ١٨٩.

(٣) الأذكار ص ١١١.

خلاصة البحث

* الطـيرة، والتطير بمعنى واحـد، والطيرة: هـي التشاؤم من الشئ المرئي، أو المسموع.
* سميت بذلك إما من الطير، لأن العرب كانت تزجر الطيـر، أي ترسلها، وتتفاءل في أصواتها، وممراتها.

وإما من الطيران؛ وذلك لأن الإنسان إذا سمع أو رأى ما يكره ـ كأنه يطير بسبب ذلك.

ثم أطلق التطير على كل ما يتوهم أنه سبب في لحاق الشر أياً كان.

* العيافة هي زجر الطير، وتنفيرها، وإرسالها، والتفاؤل بأسمائها، وأصواتها، وممراتها؛ فعن العيافة يكون الفأل، أو الطيرة.
* الفأل يقوي العزائم، ويحض على البغية، ويفتح أبواب الخير.

والطيرة تكسر النية، وتصد عن الوجهة، وتفتح أبواب الشر، وهذا من الفروق بينهما.

* جاء الإسلام بنفي الطيرة، وتحريمها، وبيان ضررها، وبيان أنها من صنيع أعداء الرسل.
* جاء الإسلام بالوقاية والعلاج من الطيرة، وذلك بإحسان الظن بالله، وصدق التوكل عليه، وترك الالتفات إلى الطيرة.
* حد الطيرة المنهي عنها أنها ما أمضى الإنسان، أو رده.
* الطيرة شرك بالربوبية؛ لما فيها من اعتقاد جلب النفع، ودفع الضر؛

وشرك بالألوهية؛ لما فيها من التعلق بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

* الطيرة كانت معروفة عند العرب، وكانوا مختلفين في مذاهبها ومراتبها؛ لأنها كانت خواطرَ، وحدوساً، وتخمينات لا أصل لها.

* كانت العرب تتطير بأشياء كثيرة؛ فكانت تتطير بالعطاس، وبالغراب، وبالسوانح، والبوارح، وبالصرد، وبالثور المكسور القرن، وببعض الأسماء، وذوي العاهات، وبعض الأيام، والشهور.

* من العرب من أنكر الطيرة بعقله، ونفى تأثيرها بنظره، وذم من اغترَّ بها، واعتمد عليها، وتوهم تأثيرها.

* هناك وقائع تذكر، وتدل على وقوع الطيرة.

وتوجيه ذلك أنه لا ينكر موافقة القضاء لهذه الأسباب؛ لأن البلاء قد يكون موكلاً بالمنطق، ولأن الطيرة على من تطير، والله ـ عز وجل ـ نصب لها أسباباً تدفعها من التوكل عليه، وإحسان الظن به، وإعراض القلب عن غيره.

ثم إن أكثر ما يُتطير به لا يقع، ولكن الناس ينقلون ما صح، وما وقع، ويُعْنَون به، فيُرَى كثيراً مع أن الكاذب أكثر من أن ينقل.

* الطيرة تضر من أشفق منها، وخاف، وأتبعها نفسه، وأكثر العناية بها، أما من لم يبال بها فلا تضره شيئاً، ولاسيما إذا قال عند رؤية ما يتطير به، أو سماعه: «**اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات**

إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك».

* المتطير إنسان ضيق الصدر، مغلق النفس، فاتر الهمة، ثقيل الظل، كسول، متبلد.

وهو جبان رعديد، يشتد فزعه من الحوادث التافهة الحقيرة، ويغضب أشد الغضب لأدنى تصرف لا يروقه.

والمتطير يعيش في عالم الأحلام، والأوهام والخيال، ويشعر دائماً بالخيبة، والخسارة، والخذلان.

* المتفائل واسع النظرة، فسيح الصدر، عالي الهمة، موفور النشاط.

وهو ـ أيضاً ـ أقدر على الجد، وحسن الإنتاج، ومقابلة الصعاب من الرجل المتشائم، المنقبض الصدر.

والمتفائل ليس سعيداً بنفسه فحسب، بل يسعد به من حوله.

والمتفائل جدير بتحمل المسؤولية، ومواجهة الشدائد، والإتيان بعظائم الأمور.

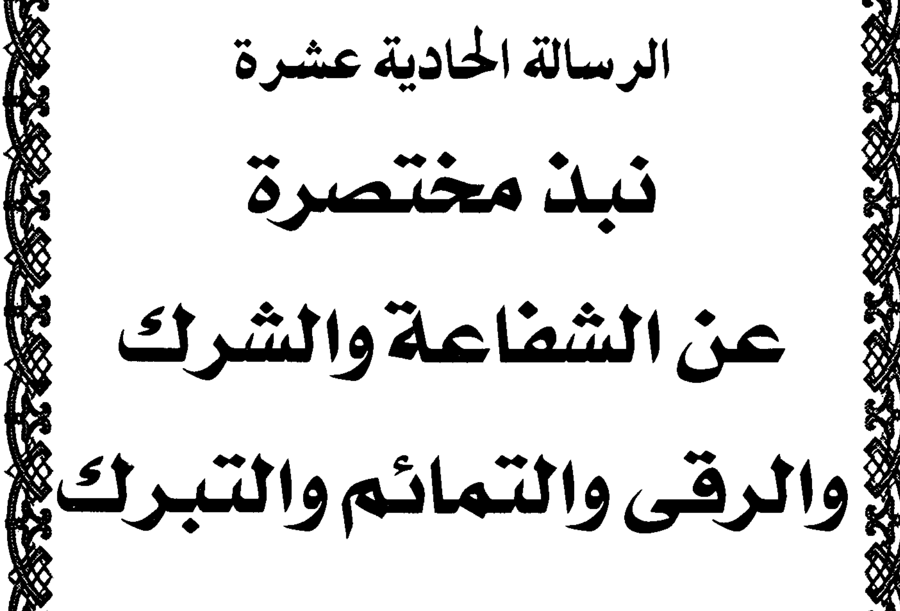
* هناك أمور كثيرة تُدفع بها الطيرة، وقد ورد ذكر لشيء منها.

هذا ملخص لأهم ما ورد في البحث، وأخيراً أسأل الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن يرزقنا خوفه، وخشيته، والتوكل عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.







الرسالة الحادية عشرة

نبذ مختصرة عن الشفاعة والشرك والرقى والتمائم والتبرك



نبذ مختصرة
عن الشفاعة، والشرك، والرقى، والتمائم، والتبرك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

فهذه نبذ في الشفاعة، والشرك، والرقى، والتمائم، والتبرك.

أولاً: نبذة في الشفاعة

* **تعريف الشفاعة:** الشفاعة في اللغة من الشفع، وهو ضد الوتر؛ لأن المشفوع له صار شِفعاً بالشفع.

وتعريفها عرفاً وشرعاً هو:

١ ـ سؤال الشافع الخيرَ لغيره.

٢ ـ أو: توسط الشافع لغيره بجلب نفع أو دفع ضره، أو رفعه.

٣ ـ أو: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم.

* **أقسام الناس في الشفاعة:** الناس في الشفاعة على ثلاثة أقسام:

١ - قسم غلا في إثباتها: وهم النصارى، والمشركون، وغلاة الصوفية، والقبوريون؛ حيث جعلوا شفاعة من يعظمونه عند الله يوم القيامة كشفاعته في الدنيا؛ حيث اعتقدوا أن هؤلاء المعظمين يشفعون استقلالاً.

٢- **قسم أنكر الشفاعة:** كالمعتزلة والخوارج؛ حيث أنكروا شفاعة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغيره لأهل الكبائر، وقصروا الشفاعة على التائبين من المؤمنين، لأن إثبات الشفاعة للفساق ينافي مبدأ الوعيد في مذهبهم الباطل؛ فهم يرون وجوب إنفاذ الوعيد لمن استحقه، ولا يرون الشفاعة له لا من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا من غيره.

٣ـ **قسم توسط:** وهم أهل السنة والجماعة؛ فلم ينفوا كل شفاعة، ولم يثبتوا كل شفاعة.

بل أثبتوا من الشفاعة ما دلَّ عليه الدليل من الكتاب والسنة، ونفوا منها ما نفاه الدليل؛ فالشفاعة المثبتة عندهم هي التي تطلب من الله ـ عز وجل ـ وهي التي تكون للموحدين بعد إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له؛ فلا تطلب من غير الله، ولا تكون إلا بعد إذنه ورضاه.

فهذه الشفاعة يثبتها أهل السنة بأنواعها، بما في ذلك الشفاعة لأهل الكبائر.

أما الشفاعة المنفية عند أهل السنة فهي التي نفاها الشرع، وهي التي تطلب من غير الله استقلالاً، ولم تتوافر فيها شروط الشفاعة.

«**نوعا الشفاعة**» من خلال ما مضى يتبين لنا أن الشفاعة نوعان:

١- **مثبتة:** وهي التي توافرت فيها شروط الشفاعة.

٢- **منفية:** وهي التي لم تتوافر فيها تلك الشروط.

«شروط الشفاعة» للشفاعة المثبتة شرطان: وهما:

١- إذن الله للشافع، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- رضاه عن المشفوع له: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وبعضهم يزيد شرطين وهما:

٣- قدرة الشافع على الشفاعة، كما قال ـ تعالى ـ في حق الشافع الذي يُطلب منه: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

فعُلم أن طلبها من الأموات طلب ممن لا يملكها.

٤- إسلام المشفوع له، قال ـ تعالى ـ ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. والمراد بالظالمين هنا: الكافرون، ويستثنى منهم أبو طالب.

وهذان الشرطان ـ في الحقيقة ـ يدخلان في الشرطين الأولين؛ فلا يَقْدِر على الشفاعة إلا من أذن له الله، ولا يُشفع إلا لمسلم.

* **«أنواع الشفاعة المثبتة»**

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

فهذه الآية تدل على أن للشفاعة أنواعاً متعددة، وفيما يلي ذكر لتلك الأنواع:

١- الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم من الرسل، حتى تنتهي

إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول: «**أنا لها**»، حين تهرع الخلائق إلى الأنبياء، ليشفعوا لهم عند ربهم؛ ليريحهم من مقامهم في الموقف، ويقضي بينهم.

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

٢- شفاعة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأهل الجنة بدخولها، وهذه ـ أيضاً ـ خاصة بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

٣- شفاعة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعمه أبي طالب بأن يخفف عنه من عذاب النار، وهذه خاصة بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

٤- الشفاعة لقوم من العصاة من أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد استوجبوا النار، فيشفع لهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألا يدخلوها.

وهذه للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولغيره من الملائكة، والمؤمنين.

٥- الشفاعة للعصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم بأن يخرجوا منها، وهذه للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغيره.

٦- الشفاعة لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم، ورفع درجاتهم. وهذه للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغيره.

٧- شفاعة الأفراط لوالديهم المؤمنين.

٨- شفاعة الشهداء لذويهم من المؤمنين.

٩- شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض.

ثانياً: نبذة في الشرك بالله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..

أما بعد: فهذه كلمات يسيرة في الشرك

*** تعريف الشرك:**

هو أن يشرك مع الله غيره في حق من حقوقه.

أو هو أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو أن يُعظَّم كما يعظم الله، أو أن يُصرَف له نوع من أنواع الألوهية أو الربوبية.

*** أقسام الشرك:**

١- شرك أكبر.

٢- شرك أصغر.

*** تعريف الشرك الأكبر:**

هو اتخاذ العبد نداً من دون الله يسوِّيه بربٍّ العالمين.

*** تعريف الشرك الأصغر:**

ما أتى في النصوص أنه شرك، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر.

أو هو الذرائع والوسائل الموصِّلة للشرك الأكبر.

*** أمثلة للشرك الأكبر:**

١- الذبح لغير الله.

٢- النـذر لغير الله.

٣- الطواف بالقبور، ودعاء أهلها.

٤- دعاء الأموات والغائبين كما يُدعى الله عز وجل.

٥- محبة غـير الله كحبِّ الله.

٦- الخوف من غير الله كالخوف من الله.

٧- الاستعاذة والاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٨- جعل العبد وسائط بينه وبين الله يدعوهم ويتوكل عليهم.

*** أمثلة للشرك الأصغر:**

١- الحلف بغير الله.

٢- تعظيم المخلوق تعظيمًا لا يبلغ رتبة العبادة.

٣- تعليق التمائم والحروز؛ بزعم أنها تدفع العين ونحو ذلك.

٤- الصلاة لله عند القبور.

*** الفروق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:**

هناك فروق عديدة منها:

١- يختلفان في التعريف كما مرَّ.

٢- الشرك الأكبر محكوم على صاحبه بالخروج من الملة، والتخليد من النار، أما الأصغر فبخلاف ذلك.

٣- الأكبر يحبط جميع الأعمال، والأصغر يحبط العمل الذي قارنه.

٤- الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة، أما الأصغر ففيه خلاف، والصحيح

ـ والله أعلم ـ أنه تحت المشيئة.

*** ضوابط في تمييز الشرك الأصغر من الأكبر:**

١- صريح النص كقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**».

٢- أن يأتي منكَّراً: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**».

٣- ما يفهمه الصحابة من النص أنه أصغر؛ فهم أعلم الناس بمعاني نصوص الكتاب والسنة.

*** أسباب وقوع الشرك:**

١- الجهل.

٢- الإعجاب، والتعظيم.

٣- الميل إلى الأمور المحسوسة.

٤- الهوى، والشهوات.

٥- التقليد الأعمى للآباء والأجداد.

٦- علماء السوء، وجهلة العُبَّاد.

٧- وجود طواغيت يصدون الناس عن عبادة الله.

٨- حب المال والشهرة والجاه.

٩- الكبر.

١٠- التقصير في جانب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* **أضرار الشرك:**

١- أنه السبب الأعظم في دخول النار والخلود فيها.

٢- أنه السبب الأعظم لحرمان الجنة.

٣- السبب الأعظم لحبوط العمل.

٤- الشرك يطفئ نور الفطرة.

٥- هو أعظم سبب للشقاء في الدنيا.

٦- الشرك يقضي على عزة النفس، وعلى الأخلاق الفاضلة.

٧- سبب للفرقة والتناحر، وفقدان الأمن.

٨- سبب للتخلف في شتى الميادين.

٩- سبب للهزائم وتسلط الأعداء.



ثالثاً: كلمات في الرُّقى

تعريف الرقيــة:

هي القراءة على المريض، وتكون من العين، واللدغة، والسحر، والسم، والألم، والمرض، والهم، والغم، والمس، والجنون، والفزع، والصرع، وغير ذلك.

شروط الرقية:

١- أن تكــون بكــلام الله أو بالأدعية الشرعية، أو بالأدعية التــي لا تصادم الأدعية الشرعية.

٢- أن تكون باللسان العربي إلا إذا لم يمكن ذلك.

٣- ألا يُعتمد عليها بنفسها؛ فهي سبب فقد تجدي، وقد لا تجدي.

٤- أن تكون واضحة المعنى.

٥- ألا تشتمل على شيء من دعاء غير الله.

٦- ألا تشتمل على شيء من عبارات محرمة كالسبِّ أو الشتم.

٧- ألا تكون بهيئة محرَّمة كفعل بعض القراء؛ حيث يَتَقَصَّد حالة كون المريض جنباً، أو في مقبرة، أو في حالة تلطُّخه بنجاسة أو غير ذلك من الأمور المريبة الغريبة.

آداب الراقي:

أن يكون معروفاً بصلاح العقيدة، وبالاستقامة، والمحافظة على الصلوات مع جماعة المسلمين، وأن يكون ذا نفس مشرقة، مفعمة

بالأمل وقوة الرجاء، بعيداً عن اليأس والقنوط، حافظاً لأسرار المرضى، وأن يكون قوي الشخصية، رابط الجأش؛ حتى لا تتلاعب به الشياطين.

حكم طلب الرقية من الآخرين:

يجوز ذلك بالشروط السابقة، ولكن الأولى أن يقرأ الإنسان على نفسه أو على مريضه؛ فذلك أكمل لتوحيده، ثم إنه أحرص من غيره على شفاء مريضه، فكلما اشتد اضطراره كلما قرب فرجه، فليقرأ، وليثق بالله، ولا يستعجل النتائج.

هل يجوز الذهاب للعرافين والسحرة للاستشفاء عندهم؟

لا يجوز؛ لأن الله لم يجعل شفاء الأمة فيما حرم الله عليها، قال - صلى الله عليه وسلم -: «**من أتى عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**».

وقال: «**من أتى عرافاً لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**». فواجب على المسلم أن يحذر من الذهاب لهؤلاء، وحري بـه أن يأخذ بالأسباب المشروعة والمباحة، ويستحضر أن الشفاء قد يتأخر لحكمة، وأن بعض الأمراض قد تستعصي ويتأخر شفاؤها.

بعض علامات السحرة والعرافين والدجالين:

١- أن يسأل عن اسم المريض أو أمه أو والده؛ ليستعين بذلك على معرفة المريض عن طريق الشياطين، ولا يدخل في ذلك سؤال

الطبيب؛ لأنه لا يُرتّب على الاسم شيء سوى تنظيم العمل.

٢- أن يأخذ أو يطلب أثراً من آثار المريض كشعر، أو ثوب أو صورة، أو غير ذلك.

٣- أن يعطيه حرزاً في كتابات.

٤- أن تكون قراءته غير مفهومة.

٥- أن يطلب من المريض أن يذبح حيواناً، وقد يأمره بألا يذكر اسم الله عليه.

٦- قد يطلب من المريض ألا يمس الماء مدة معينة.

٧- وقد يعطيه أشياء يدفنها في الأرض.

٨- وقد يعطيه أوراقاً؛ ليحرقها ويتبخَّر بها.

٩- قد يخبر المريض باسمه واسم أمه ويخبره بعلته التي جاء من أجلها.

١٠- قد يطلب من المرأة أن تتكشف، وتتبرج أمامه.

١١- أن يشتمل كلامه على استغاثات بالجن كأن يقول: يا بدوح ونحو ذلك.

وأخيراً فإنه يحسن بالإنسان ألا يستعجل بوصف الراقي بالسحر، أو الشعوذة.

❀ ❀ ❀

سُبل الوقاية من العين والسحر والمس وما شاكلها

١- سلامة العقيدة من التلبُّس بالشرك والبدع.

٢- قوة التوكل على الله، واليقين بأنه وحده هو النافع الضار؛ فالتوكل من أعظم الأسباب لدفع البلايا ورفعها: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

٣- تجريد الخوف لله وحده، وترك الخوف من غيره.

٤- تجنُّب الاسترسال مع الأوهام والخيالات.

٥- الحرص على الاستعاذة بالله.

٦- صفاء القلب، وسلامة النية، والبعد عن الغِلِّ للمسلمين.

٧- المحافظة على الصلوات في أوقاتها مع الجماعة وأداؤها كما ينبغي؛ فتركها أو التهاون بها سبب لتسلُّط الشياطين.

٨- قيام الليل.

٩- كثرة ذكر الله، والتحرُّز بالأوراد في الصباح والمساء.

١٠- تعويذ الأولاد.

١١- التوبة، والاستغفار؛ فما يصيب العبد من بلاء إنما هو بسبب ذنوبه، فإذا تاب صُرف عنه ذلك.

١٢- الطهارة؛ فإن الشياطين تنفر منها ومن أهلها.

١٣- ستر المحاسن على ألا يترتب على ذلك ترك طاعة يجب إظهارها، أو فعل معصية.

١٤- تطهير المنزل من الصور، والتماثيل، والكلاب، وآلات اللهو، وأجهزة الفساد.

١٥- الدعاء؛ فإنه ينفع مما نزل ومما لم ينزل.

١٦- كثرة قراءة القرآن في المنزل وغيره وخصوصاً سورة البقرة.

١٧- أن يقول الإنسان إذا رأى ما يعجبه من نفسه أو من ولده أو غير ذلك: تبارك الله، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله.

١٨- أكل سبع تمرات عجوة، وهو نوع من أجواد أنواع التمر بالمدينة. وقيل: سبع تمرات من أي تمر.

١٩- حفظ الله ـ عز وجل ـ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه فمن حفظ الله حفظه الله.



رابعاً: كلمات في التمائم

تعريفها: التمائم جمع تميمة، وهي ما يُعَلَّق على الأعناق أو المراكب أو البيوت، أو غيرها؛ لجلب نفع، أو دفع ضر، أورفعه، سواء كانت من القرآن، أوالخيوط، أوالخرز، أوالحصى، أو غيرها.

أسماؤها الأخرى: للتمائم أسماء أخرى منها:

١- الحروز.

٢- الحجب.

٣- التعاليق.

٤- الــودع.

تحريمها: التمائم محرمة بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**من تعلق تميمة فلا أتمَّ الله له، ومن تعلّق ودعة فلا ودع الله له**» رواه أحمد، والحاكم، وصححــه، ووافقه الذهبي.

أسباب تحريمها:

١- لما فيها من تعلُّق القلب بغير الله.

٢- لأنها ليست سبباً شرعياً ولا قدرياً، واعتقادُ أنها سبب تشريعٌ مع

الله، ومنازعة له في خلقه وأمره.

٣- أنها تفتح على العبد باب الخرافة، وتقوده إلى الشرك.

٤- أنها سبب للخذلان؛ لأن من تعلق شيئاً وُكل إليه.

هل التمائم من الشرك الأصغر أو من الأكبر؟:

الجواب كما يلي:

١- إذا كانت التميمة صنماً، أو رقية شركية، أو صليباً ـ فهذا شرك أكبر بلا ريب.

٢- إذا كانت من الخيوط، أو الخرز، أو نحوهما، واعتمد عليها العبد اعتماداً كلياً، وقام بقلبه أنها تؤثر بنفسها استقلالاً ـ فهذا أيضاً شرك أكبر.

٣- إذا كان من الخيوط، أو الخرز، ونحوهما، واعتقد أنها مجرد سبب، ولم يعتمد عليها اعتماداً كلياً ـ فهذا شرك أصغر.

حكم المعلَّق إذا كان من القرآن أو الأدعية النبوية:

الصحيح أنه لا يجوز للأسباب الآتية:

١- سداً للذرائع الموصلة للشرك.

٢- لعموم النهي في التمائم.

٣- لأنه قد يفضي إلى امتهان القرآن والأدعية النبوية، وذلك بالدخول بها في الخلاء، وبتعريضها للأوساخ.

٤- لأنه ذريعة للدجَّالين؛ كي يكتبوا آية أو سورة أو بسملة، ثم يضعوا تحتها طلاسم شيطانية واستغاثات شركية.

٥- لأنه قد يكون مدعاة لهجر القرآن، والدعاء؛ اكتفاءً بما عُلِّق.

نماذج للتمائم الموجودة:

١- ما يُعلَّق على الأطفال؛ خشية العين.

٢- ما تُعلِّقه بعض النساء، أو تضعه في غرفتها، أو تحت وسادتها، لاتقاء العين، أو للحفظ من الأذى أو لجلب محبة الزوج، ونحو ذلك.

٣- ما يعرف بدبلة الخطوبة، فزيادة على أنها مأخوذة من النصارى فهي ـ أيضاً ـ ذريعة للشرك؛ لأنه قد يُعتقد أنها هي التي تجمع قلبي الزوجين.

٤- ما يعلق على السيارات من رسوم، أو خرز، أو غير ذلك، لدفع العين.

٥- ما يعرف بالدنبوشي عند بعض لاعبي الكرة؛ حيث يضعون على سواعدهم لفة معينة، أو يعلقونها على الشباك، وربما كان المعلق مشتملاً على آيات قرآنية توضع تحت حذاء اللاعبين؛ زعماً منهم أن ذلك يجلب الفوز! كل ذلك من الأمور الشركية المحرمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

خامساً: كلمات في التبرك

تعريفه: التبرك هو طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر، وكلِّ ما يحتاجه العبد في دينه ودنياه، بسبب ذات مباركة، أو زمان أو مكان مبارك، وتكون هذه البركة قد ثبتت ثبوتاً شرعياً، وثبتت الكيفية التي تنال بها عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

قواعد عامة مجملة في التبرك:

١- أن البركة كلَّها من الله، كما أن الرزق، والنصر، والعافية من الله؛ فلا تطلب إلا من الله، وطلبها من غيره شرك.

٢- أن ما ورد شرعاً أن فيه بركةً من الأعيان، والأقوال، والأفعال إنما هو سبب للبركة، وليس هو مصْدَرَها.

٣ ـ أن الذي يدل على وجود البركة من عدمها بسبب شيء أو في شيء إنما هو الدليل الشرعي فحسب.

نماذج للتبرك المشروع:

١ ـ التبرك بذات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآثاره.

٢ ـ التبرك بالأفعال والأقوال، والهيئات المشروعة: فإذا جاء المسلم بها ملتمساً الخير بسببها، متبعاً السنة بفعلها ـ حصل له من الخير والبركة بقدر نيته واجتهاده.

ومن ذلك ذكر الله، وقراءة القرآن، والاجتماع على الذكر، والتقدم

في ساحات الوغى جهاداً في سبيل الله.

ومن ذلك الاجتماع على الطعام، والأكل من جوانب القصعة، ولعق الأصابع بعد الانتهاء من الطعام.

٣ ـ التبرك المشروع بالأمكنة: كالتبرك بالمساجد عموماً، وبالمسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى ومسجد قباء خصوصاً، فلهذه المساجد مزيّة على غيرها.

والتبرك بالمساجد كالتبرك في غيرها لا بد فيه من الإخلاص والمتابعة، فمما تحصل به البركة في المساجد الاعتكاف، والصلاة، والذكر، وغير ذلك.

ومن الأمكنة المباركة أيضاً: مكة، والمدينة، والشام.

٤- التبرك بالأزمنة: مثل رمضان، وليلة القدر، وثلث الليل الآخر، والجمعة، والاثنين، والخميس، وعشر ذي الحجة.

٥- التبرك بالمطعومات وما في حكمها: كالتبرك بزيت الزيتون، واللبن، والتمر، والحبة السوداء، والكمأة، وأكلة السَّحَر، وكالعسل، وماء زمزم.

ويلحق بما سبق: الخيل، والغنم؛ ففي تربيتها بركة.

وكل ما مضى وردت به الأدلة الشرعية، والمقام لا يتسع لبسطها.

٦- وبالجملة فأعظم سبب للبركات هو الإيمان والتقوى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

التبرك الممنوع:

هو ما لم يرد فيه نص، أو ما ورد النص في النهي عن التبرك فيه، كالتبرك بالطواف بالقبور، ودعاء الأموات والغائبين، وكالتبرك بالأشجار، والأحجار، والغيران، وغيرها، وكالتبرك بذوات العلماء والصالحين؛ فإن هذا لا يجوز، وإنما تلتمس البركة بأخذ العلم عنهم، وبالاستفادة من سمتهم وهديهم.





المحتويات

الرسالة الأولى
مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة ـ المفهوم والخصائص

الرسالة الثانية
الإيمان بالله

الرسالة الثالثة

لا إله إلا الله ـ معناها ـ أركانها ـ فضائلها ـ شروطها

الرسالة الرابعة

توحيد الربوبية

الرسالة الخامسة
توحيـد الألوهيـة

الرسالة السادسة
توحيد الأسماء والصفات

الرسالة السابعة

الإيمان بالكتب

الرسالة الثامنة

الطريق إلى الإسلام

الرسالة التاسعة
كلمات في المحبة والخوف والرجاء

الرسالة العاشرة

الطيـــــرة

الرسالة الحادية عشرة

نُبَذٌ مختصرة عن الشفاعة، والشرك، والرقى، والتمائم، والتبرك

